

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهرارز - فاس



مركز دراسات الدكتوراه: الجماليات وعلوم الإنسان
تكوين الدكتوراه: آليات التفكير والديناميات النفسية والاجتماعية
تخصص: علم الاجتماع

عنوان الأطروحة :

الثقافة وأثرها على العصبية القبلية
بمنطقة الساقية الحمراء جنوب المغرب
مقدمات سوسيولوجية من أجل الفهم والتأويل

ملخص أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

تحت إشراف الاستاذ:
د. أحمد شراك

اسم الطالب :
حمادي شربار
ر.و.ط : 2320009423

السنة الجامعية : 2019-2020

إلى روح أبي... الذي استشهد من أجل مغربية الصحراء.

إلى أمي التي زرعت في بذرة، أن أكون إنساناً أولاً.

إلى إخوتي، الذين أرى المجتمع من خلالهم.

كلمة شكر

إلى أستاذي الدكتور أحمد شراك، الذي يعود له الفضل في هذا العمل الأكاديمي، وله الفضل في تهذيب طباعي العلمية وحتى الأخلاقية.

والى أساتذتي في مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية، والذين علموني روح العمل الجماعي في البحث العلمي.

والى كل من قدم لي يد المساعدة في هذا البحث، وأخص بالذكر: ذ. حمادي هباد، ذ. حسان الزواوي، ذ. عبد الرحيم بوغذا.

مقدمة عامة:

عرفت العلوم الإنسانية خلال تاريخها الطويل، مناقشة العديد من المواضيع في الفلسفة والتاريخ والأدب والجغرافيا وغيرها من العلوم، ومن المواضيع التي حاولت هذه العلوم بحثها وشغلت العديد من الباحثين، وكانت من التيمات التي أزعجتهم بحضورها في أغلب المواضيع البحثية، وذلك من حيث قدرتها على التأثير في ظواهر ومؤسسات اجتماعية، هذا جعل العديد من الدراسات والأطروحات تتناول هذه المواضيع، من مختلف الاتجاهات والنظريات والذي تطلب منهم العديد من الأمثلة.

يعطي لهذه المواضيع قوتها هي أنها في سجل دائم مع النصوص التقليدية، حيث تتميز بتراكم معرفي، يجعل الباحث في هذه المواضيع يدخل في نقاش دائم مع مجموعة من البحوث والدراسات السابقة، يجد الباحث موطئ قدم من داخل هذه البحوث، لم يتم تسليط الضوء عليها، وهذا راجع إلى الكم المفاهيمي والنظري الذي مازال ينتظر الدراسة والتمحيص، والذي يتطلب من الباحث خلفيات متعددة، والقدرة على اللعب على أوتار المفاهيم، فالمواضيع التي سأتناولها هي مواضيع المفاهيم والمصطلحات التي لا ساحل لها.

يتطلب منا خلال مقارنتنا لهذا الموضوع، والذي الانتقاه على مجموعة من المقاربات وأهمها الفلسفية والتاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية، وهذا دليل على الغنى النظري للموضوع وطابعه الموسوعي، والذي يتطلب استدعاء مجموعة من الأطروحات التي تقارب الموضوع من أبعاد عديدة ومتنوعة، والأهم هو اختيار محددات نظرية توجه العمل النظري والميداني لبحثنا، والالتزام بالضبط المنهجي للدراسات التي تطرقت لهذا الموضوع، من أجل حصر التوجيه العام للبحث العلمي، في تفكيك ودراسة هذا الموضوع المفتوح والمتعدد الحقول المعرفية والإبستمولوجية.

كل هذا تطلب مني العودة إلى البحوث التي لامست الموضوع بطريقة أو أخرى، وذلك من باب الحجاج أو المناقشة، والذي جعل هذا السجل يتعمق استناده على وقائع

اجتماعية وتاريخية بالمجال المدروس، فالموضوع هو عبارة عن شبكة عنكبوتية، تطلب منا الحذر عند اللعب على خيوطها، والدقة في تتبع أوتارها وتمفصلاتها.

جعلني كل هذا، أستقر على موضوع: "الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمجتمع الصحراء بمنطقة الساقية الحمراء جنوب المغرب". والذي جعلني اختار هذا الموضوع المتشابك، هو ضرورة البحث عن محددات مجموعة من الظواهر والتمثيلات الاجتماعية وعمقها الثقافي القبلي، حيث يجد الباحث في العديد من المناسبات نفسه أمام الكثير من الظواهر والسلوكيات التي لها أبعاد ومحددات كثيرة ومختلفة، تجتمع في موضوع معين ولكن يصعب تحديدها.

الموضوع الذي بين أيدينا لا يتطلب مني فقط، البناء النظري على أساس أني باحث سوسيولوجي يهتم بالظاهرة الاجتماعية وسياقها الاجتماعي، وهذا سيكون انتقاصا من البحث والمفاهيم المبنية عليه، وهي في طبيعتها إشكاليات متفرعة ومتباينة ومتقاطعة، هذا البناء النظري يشغل على أنساق ثقافية واجتماعية ودينية لها دور في مجتمع الصحراء القبلي، فالموضوع يستدعي حضور مؤسسات تقليدية مازالت فاعلة في مجتمع الصحراء.

تدور هذه الأنساق في فلك الثقافة والعصبية القبلية بمجتمع الصحراء، وهي تدخل في علاقة تفاعلية بين الفعل ورد الفعل، وهذا يجعلها في تطور ودينامية وحركية دائمة في الزمان والمكان، ومن خلال العديد من المستويات والتمفصلات الفكرية والعقدية والروحية، ولا يقف تأثير هذه الأنساق عند طابعها السوسيولوجي، بل يصل إلى تأثيرها الاقتصادي والسياسي والديني، فالباحث الذي يشغل على الأنساق والبناء النظري للقبيلة، يجد نفسه يشغل على تطور تاريخي للإنسان وثقافته.

إن التداخل بين هذه المفاهيم التي تنتسب إلى كل الحقول المعرفية في حد ذاته هو ثقل وغنى لهذه المفاهيم من جهة، وصعوبة دراستها وتفكيكها من جهة أخرى، فالثقافة تجمع كل ما هو حضاري وقيمي ومعرفي وتاريخي للإنسان، والقبيلة تشكل ذلك التنظيم الذي يتطور

فيه الإنسان، وفق المعطيات الثقافية التي تتبني على أبعاد أنثروبولوجية وتاريخية، حيث لا يستقيم وجود هذا النسق من البناء النظري للمفهوم إلا بوجود الآخر.

ما يثير في هذا الموضوع هو أنه مفتوح على جميع الآراء والمواقف، حتى أننا لا يمكن أن لا نعطي أية منها حقها في التحليل والمناقشة، فعند الحديث عن الثقافة والعصبية القبلية، فالمقاربات التي حاولت تحليلها متماهية مع تطور هذه المفاهيم في البلدان العربية وشمال إفريقيا، حيث مازالت هذه التصنيفات تشتغل في البناء السياسي والعائدي والاجتماعي والاقتصادي بهذه البلدان.

يعتبر المغرب نموذجا لقدرة هذه التمهصلات في التأثير على البناء الاجتماعي والسياسي للمجتمع، فقد استطاعت هذه الأنساق التغلغل في النظام العام المكون للدولة، وفق مراحل تاريخية تؤكد درجة تأثيرها على مراكز القوى في النظام السياسي بالمغرب، وذلك راجع إلى قوتها في المجتمع، فالقبيلة هي مؤسسة منتجة للقيم المهنية والفكرية للمجتمع، ولا يتوقف تأثيرها في إنتاج القيم، بل إلى إعادة إنتاج قيم ورموز دينية وسياسية واجتماعية، تسيطر على المجتمع وتتحكم فيه.

لازال المغرب يعيش تطورا ثقافيا، يتسم بتداخل الجانب القبلي مع تنظيمات أخرى كالزاوية وأنساق اجتماعية متعددة، وتتميز القبيلة باختلافها عبر جهات المملكة، وهذا راجع إلى الظروف السياسية والاجتماعية لكل جهة، وأيضا مع بعدها عن المركز كمراكش وفاس وسجلماسة وغيرها من مراكز الدولة التي تعاقبت على حكم المغرب، بالإضافة إلى الاستعمار الفرنسي والأسباني الذي قسم المغرب إلى العديد من المناطق، وجعل الانتقال إلى المناطق الأخرى صعب بل مستحيل في بعض الأحيان.

فعلى سبيل المثال تستمد الزاوية مكانتها كأحد تصنيفات القبيلة والثقافة بمجتمع الصحراء من البعد الديني وكذا اهتمام سلاطين الدولة العلوية بالظاهرة الصوفية بالمغرب. فالشيخ ماء العينين بفعل انتمائه إلى بلاد شنقيط المعروفة لدى سلاطين المغرب بالعلم والدين، فالسلطان مولاي الحسن الأول أثناء بناء أول زاوية بالساقية الحمراء، قام بدعمها

وإرسال كل التجهيزات من ميناء الصويرة حتى طرفاية، لكي تصبح هذه المؤسسة الدينية والتربوية، ذات أبعاد ثقافية متمثلة في ثقافة البيضان التي ينتسب إليها الشيخ المؤسس.

يتبين هنا الدور الفاعل لمؤسسة كزاوية الشيخ ماء العينين، في تجديد العلاقة بين الدولة العلوية وتلك الربوع البعيدة عنها، هذا الاختيار للجانب الديني في تجديد ولاء القبائل بالصحراء، ينبني على أبعاد كثيرة تعكس رؤية السلطان البعيدة المدى لعلاقته مع مؤسسة القبيلة في الساقية الحمراء والصحراء بشكل عام، حيث تتبني هذه العلاقة على الجانب الروحي، والذي يجعل أهل الصحراء يبايعون سلاطين المغرب بطريقة إرادية، إذ تتجدد هذه البيعة بطريقة سهلة عن طريق شيوخ القبائل، واعتبار هذه الزاوية نموذج محبة السلاطين لقبائل الصحراء.

تعرف الصحراء بامتدادها الشاسع؛ وشساعتها تقاس بشساعة عاداتها وتقاليدها، والتي يحتفل بها أهل الصحراء بأوجه مختلفة، تظهر مدى الانتماء لهذا المجال المتقلب الذي يبرز مجموعة من الخصائص الثقافية المتجذرة في الإنسان، وتعكس مدى تشبته بهذه العادات والتقاليد المتوارثة، انطلاقاً من مؤسسات ثقافية ذات بنى قبلية تقليدية، تهتم بتلك العادات وتحافظ على استمرارها وصونها.

يزكي هذا الطرح التراث الذي يعتبر مرآة المجتمع، ولا بد من صونه والحفاظ عليه، فالتراث لا يقتصر عند هؤلاء على المعمار أب المعالم الثقافية، بل يصل إلى الأفكار والمواقف التي يلزمها أن لا تتغير، وهنا نتحدث عن الأعراف والمعتقدات التي تشكل هوية المجتمع وتميزه عن المجتمعات الأخرى، والتي تجعل الفرد محكوم وفق قوانين عرفية، تشكل رقابة اجتماعية على الأفراد، وهو نظام سلوك يجعل من الحفاظ على النظام العام القائم على القبيلة هدفه.

يشكل ترتيب البنى الداخلية داخل القبيلة مؤشراً على قدرة الفرد في التأثير والتأثر، فالقبيلة كبنية فوقية تتسم بقدرتها على تغيير أدوار كل الفاعلين فيها، حسب الظروف المحيطة بالقبيلة وقدرتهم على تمرير خططها تجاه عناصرها والقبائل المحيطة بها، وتتجسد

هذه الخطط انطلاقاً من الجماعة، التي تشكل "البرلمان" المصغر للقبيلة، حيث يتم من خلالها مناقشة المشاكل التي تخص القبيلة وتعد قراراتها ملزمة لأفراد القبيلة.

سنحاول من خلال بحثنا الوقوف على مجموعة من المحددات التي تساهم في استمرار العصبية القبلية، كمجموعة من الاحتفالات الموسمية أو السنوية، وامتدادها في الصحراء عامة ميدان البحث خاصة، ودور الذاكرة الجماعية في إعادة إحياء هذه الممارسات والطقوس، وأبعادها السوسيولوجية والأنثروبولوجية حتى أصبحت قيم حقيقية تتكيف مع أنماط العيش والتفكير بالمجتمع، وما يميز هذه القيم أنها تعبير عن عادات وتقاليد ثقافة البيضان بشكل عام، ثقافة أهل الساقية الحمراء بالخصوص.

كما سنحاول تتبع دور بعض الظواهر والممارسات الجماعية والفردية في الثقافة الحسانية، وذلك في علاقتها مع القبيلة، ودراستها من خلال سيرورتها التاريخية والأنثروبولوجية وتمثالاتها الاجتماعية، ثم تحليلها، خصوصاً وأن الطبيعة البشرية تلزم الفرد والجماعة على حد سواء التواصل بشكل دائم مع المحيط، والذي يشكل النواة الأولى لبنائه الروحي والعقدي والاجتماعي، لهذا فالإنسان بالصحراء لا ينفصل عن أقربائه وقبيلته والمنطقة التي يعيش بها، فهو في تواصل مستمر مع هذه العناصر التي تساهم في تكوين شخصيته.

ما يميز البعد القبلي في الساقية الحمراء؛ هو اتخاذ مجموعة من الأشكال والقيم والمعتقدات والعادات، حتى أصبحت القبيلة نسقاً مركزياً يوزع معاييرها على الأنساق الأخرى والنظم الاجتماعية المشكلة للمجتمع، فهذا النسق تتوحد حوله الأنساق المختلفة، وتحافظ عليه رغم الضرر الذي يصيبها من هذا النسق، فهذه العلاقة تتسم بالمد والجزر تكون القبيلة الفاعل الرئيس في هذه الظاهرة الاجتماعية.

تضافرت جهود قبائل الساقية الحمراء ومختلف الفاعلين بها من أجل إحياء مجموعة من الطقوس التي تظهر الجانب الآخر للقبيلة، والذي هو امتدادها بالمنطقة، ورغم هذه المبادرات فإن القبيلة تنتظر إلى فاعل آخر هو الذي سيرجح كفتها في المنطقة، وهي

الدولة التي تعتبرها قبائل الساقية الحمراء موزع السلطة في المجال، وكلما تقربت القبيلة منه إلا وأصبحت تلعب أدوارا أكبر في المنطقة، وتكسب بذلك حلفاء من قبائل أخرى أصغر.

فصل تمهيدي: تيمة البحث ومنهجيته

مقدمة منهجية:

يتوخى البحث السوسيولوجي في دراسته لمختلف الميادين اتباع منهجية علمية دقيقة، ويتطلب استيعاب الباحثين على مختلف مشاربهم واتجاهاتهم النظرية، مجموعة الخطوات التي تشكل بؤرة "مناهج" البحث الاجتماعي، كما يتطلب البحث الميداني والتطبيقي دراستنا لواقع اجتماعي ما، مقارنة شاملة تحيط بالظروف الموضوعية للوضع البشري، الأمر الذي يلزم الباحث التجرد من ميولاته ومواقفه ونوازه القبلية بخصوص موضوع البحث، من خلال الالتزام، إلى حد معين، بالضوابط والمراحل التي يقتضيها البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، خاصة في شقه التطبيقي الميداني.

يكاد يكون من الصعوبة بمكان دراسة ظاهرة اجتماعية مرتبطة بالثقافة المغربية بشكل عام، الصحراء بشكل خاص، وذلك راجع إلى التنوع والتداخل والتمازج الثقافي واللغوي والاجتماعي لهذا المجتمع، فالثقافة المغربية متنوعة بتنوع مصادرها وطبيعة تداخلها ولا يمكن حصرها في مجال دون غيره، فالبنية الاجتماعية معقدة ومتباينة بين مختلف المناطق بالمغرب، فالانتماء لمجال محدد أساسي في بناء شخصية الفرد، وبالرغم من كوننا في القرن العشرين وما حمله ويحمله من ثورة معلوماتية، أصبحنا نتحدث معها عن العالم كقرية صغيرة وواحدة، إلا أن هذا القول يصبح محدودة التأثير في المجتمعات التقليدية، التي تتحكم فيها المؤسسات الاجتماعية والثقافية والتربوية، وما زالت لم تصل لمجتمع المعرفة الحقة، فضلا عن استمرارية وترسخ قيم اجتماعية وثقافية في المجتمع، ويتجلى ذلك في الحديث عن الثقافات الأصلية واللغة الأم وغيرها من المفاهيم التي تتداول في ساحة النقاش والشأن العام الثقافي بشكل مستمر.

1. موضوع البحث وسياقه:

عرفت الصحراء مجموعة من التحولات، منذ تقسيم الاستعمار الفرنسي والاسباني للصحراء إلى قسمين. فمعروف أن العلاقات التي تربط القبائل الصحراوية فيما بينها تستند في أساسها على الأعراف عند حدوث مشكل أو طارئ، وهنا نستحضر المكانة التي تحتلها جماعة **أهل الحل والعقد (الربط)**، والتي يطلق عليها اسم "أيت لربعين"، والتي تتكون من مجموعة من الحكماء، والتي من مهامها السهر على حل المشاكل التي تقع نتيجة مجموعة من الظروف، فأغلب القبائل تعيش حياة البداوة، التي تجعلها في بحث عن المجال، ما يؤدي إلى تصادمات بين القبائل حول نفوذ كل منها، ويشد الصراع بينها، وهنا يتحد أفراد القبيلة من أجل ضمان السيطرة على المجال وعدم تمكين القبائل الأخرى منه.

تعتمد القبيلة لضمان التحكم في المجال، على عصبية أفرادها وعددهم، فقرابة "الدم" محدد أساس في قوة عصبية القبيلة. أما الأفراد الذين ينتسبون إليها أو "يذبحون على القبيلة" أو ما سمي بـ: "الدخيلة"، أي الأفراد الذين يطلبون الحماية من القبيلة يستدعون شيوخها لمأدبة يتم فيها ذبح رأس من الغنم، وفيذلك إشارة لانتساب الفرد الغريب للقبيلة. فأغلب القبائل تلجأ إلى هذه الطريقة من أجل زيادة كثافتها وللدفاع عنها، حتى إن القبائل المجاورة لها تطلب حمايتها لكثرة عدد أفرادها مقابل فدية (الغرامة، الحرمة، المداراة...).

بعد خروج الاستعمارين الفرنسي (منطقة 1958) والاسباني (منطقة 1975) من الصحراء، ولجوء أغلب القبائل إلى الاستقرار (القسري)، وذلك راجع إلى عدة أسباب أهمها: قساوة طبيعة الصحراء مع توالي سنوات الجفاف، وظهور الحدود التي أقامها الاستعمار داخل مجال الصحراء، فضلا عن عملية "إيكفيون" سنة 1958 التي هجرت السكان نحو الشمال، وحرب الصحراء بعد سنة 1975، ثم تأثر أهل الصحراء، لاحقا، بالمدينة وتمدرس

الأبناء كوسيلة للرقى الاجتماعي، وتشكل صور أخرى للزعامة والوساطة والتمثيلية (الانتخابات).

تطور مجتمع الصحراء داخل إطار سوسيو-مجالى تسمه "البداءة" كمعطى مادي واجتماعي متميز يتسم بحضور مكثف للثقافة وبعدها الرمزي، مما يجعل المدخل الثقافي محددًا أساسًا لفهم بنية ومنطق السلوك الإنساني على مختلف المستويات خاصة في سياق مماثل للصحراء حيث كثافة حضور الثقافة وامتدادها.

ظلت الثقافة كنسق متواضع في شأنه، تمثل ذلك الكل الشامل والمشارك، حيث لم تستقد الثقافة بهذا المعنى من مقارنة مجهرية Micro عميقة، مما يزيد في راهنية هذا النوع من الدراسات التي تبحث في العمق الثقافي المفرز للفعل والموجه له، كما أن دراسة البعد الثقافي لمسألة العصبية، وخاصة العصبية القبلية، قيمة مضافة، قد تساهم في تسليط الضوء على دور العوامل في معرفة زمن القبيلة¹ وتفسر واقعه المعاصر، والتي لم تحاول البحث في العمق الثقافي المفسر لهذا الوضع والمؤصل لهذه القيم الثقافية الخاصة بالعصبية، التي تجد مفعولها وأثرها على المستوى الثقافي، ولهذا سوف نتعقب هذه الإشكالية لدى قبائل الساقية الحمراء انطلاقًا من أسس سوسيولوجية، أنثربولوجية، وتاريخية.

لقد حكمت الثنائيات مجال الصحراء حتى لحظة التغلغل الأجنبي وتبلور مفهوم الحدود الإدارية، وظهور الدولة الوطنية ومنها:

- البداءة/الاستقرار: غلب على قبائل الساقية الحمراء، طابع البداءة والترحال، لذلك ارتبطت الظاهرة الحضرية والاستقرار كابوخوبي (طرفاية)، اسمارة، فم الواد، رأس بوجدور...

¹ رجال بوبريك، زمن القبيلة: السلطة و تدبير العنف في المجتمع الصحراوي. الطبعة الاولى، دار ابي رقرق، الرباط، 2005.

ومدن الصحراء بعد الاستقلال ونشأة المدينة لظروف وأسباب، منها ما هو سياسي، تجاري، ومنها ما هو طبيعي (الآبار، الأنهار، المجاري المائية، الفلاحة، الواحة)؛ غير أن هذا لا ينفي علاقة التوتر التاريخية بين الحاضرة والبادية، وأشكال التعايش بين المجالين.

-**السيف/القلم:** لقد كرس حروب الصحراء التي خاضتها قبائل الساقية الحمراء العداء بين القبيلة والقبائل المجاورة لها، فالصراع التقليدي بين القبائل تولد عنه نظام **طبقي** - وظيفي بين فئتين: أهل السلاح (أهل السيف) وأهل القلم (أهل لكتوب"الكتاب")، بالإضافة إلى فئة ثالثة من التابعين، وتضم: اللحمة، الحراطين، لمعلمين، غير أن هذا لا يخفي المكانة التي تحظى به بعض فئات الزوايا من مكانة في الساقية الحمراء.

-**القافلة/السفينة:** لقد كان اقتصاد الصحراء قائم على التجارة الصحراوية، غير أن الاكتشافات الجغرافية، وظهور طرق جديدة، غير من مسار التأثير الصحراوي لصالح البحر، فبدل القافلة أصبحت السفينة، وبدل مدن القوافل أضحت مدن الموانئ، خصوصا بعد محاولات الاستعمار المتكررة لبناء ميناء بعدة مناطق: طرفاية، الداخلة، أساكا... مما أثر على القبيلة التي كانت تعتبر من القبائل المحاربة التي تراقب وتقوم بحماية القوافل بالصحراء (الزطاطة)².

تطورت ثقافة الصحراء وفق سيرورة تاريخية أدمجت المكونات الصنهاجية وثقافتها ثم المكونات العربية المعقلية إلى جانب المؤثرات الزنجية الأفريقية، حيث أسهمت هذه المؤثرات في صياغة هذه التمثلات الثقافية تجاه القبيلة.

اعتقد أن مشروع الأطروحة الذي أعدناه من أجل مقاربة، دور "الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمجتمع الصحراء منطقة الساقية الحمراء جنوب المغرب"، تحدوه الرغبة

² عيد الأحد السبتي، بين الزطاط و قاطع الطريق امن الطريق في المغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقال للنشر - الرباط- 2009.

في الاستفادة مما شكلته الدوافع المتمثلة في معرفة تصورات وتمثيلات مجتمع البداوة تجاه الثقافة والقبيلة والعصبية في الزمن الراهن، خصوصا بعد أن دخل في سلسلة من التحولات الكبرى بفعل الاستعماريين الفرنسي والاسباني، الذي حد نوعا ما من الترحال بفعل إقامة الحدود بين الكيانات المستعمرة، ولاحقا بفعل ظهور الدول وإنشاء الحدود فيما بينها، غير أن جلاء الاستعمار عن الصحراء، وحرب الصحراء فرضا نوعا من الاستقرار على البدو، رغم أنه يمكن القول إن منطقة الساقية الحمراء عرفت الاستقرار منذ عصور، حيث تعتبر اسمارة وطرفاية من المدن التاريخية بجنوب المغرب، كل ذلك أدى إلى دفع بدو المنطقة نحو "التحضر القسري".

رغم حياة التحضر التي يعيشها مجتمع الساقية الحمراء، بمدن اسمارة، طرفاية، العيون، بوجدرو التي تعتبر "العاصمة التاريخية لبعض قبائل الساقية الحمراء". والتي تضم مجموعة من المآثر التاريخية، من قبيل النقوش الصخرية، المدافن القديمة، الآثار المطمورة، الكهوف، إلى غير ذلك. فضلا عن الزوايا مثلزاوية الشيخ ماء العينين وزاوية سيد احمد اركيبي، وهما معلمتين تاريخيتين يعمل جميع أفراد هذه القبيلة للحفاظ عليهما، فهما محل رعاية وعناية قبائل الركيات و قبيلة الشيخ ماء العينين، وزيارة قبائل الصحراء ومكان اجتماع وتداول شؤون القبائل، فأفراد قبائل الركيات وشيوخ ماء العينين يجتمعون كل سنة لإحياء ذكرى الزاويتين، في حفل ديني كبير بمقر الزاويتين تحضره قبائل الصحراء من مختلف جهات ومناطق المغرب، احتفال تتجدد فيه العلاقات بين أفراد القبيلة وتتقوى، ويُنظر فيه في أحوال القبيلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتظهر فيه مكانتها بين قبائل الصحراء، وقد قيل أن الذكرى أوله تجارة وآخره إجارة³، بحيث يبدأ موسما تجاريا، ثم روحيا دينيا وينتهي سياسيا، بالنظر في النزاعات بين القبائل.

³ قول أبو سفيان: يا أيها الناس إني قد أجرت بين الناس.

2. الإشكالية:

يصعب تشخيص موضوع الدراسة، "فالمشكلة التي يدرسها الباحث يجب أن لا تكون عريضة ومتشعبة وشائكة بل يجب أن تكون دقيقة وواضحة. ومركزة وخالية من التعقد والتشعب والتشوش"⁴. وقد صادفتنا مجموعة من الصعوبات في إدراك وفهم العوامل المؤثرة في العصبية القبلية لدى مجتمع الساقية الحمراء بشكل عام والقبائل بشكل خاص، وتشكل "الثقافة" مدخلا وخيطا ناظما، نعتقد أنه يمنحنا إمكانية بناء فهم، ندعي بأنه جديد، بخصوص مفهوم العصبية القبلية بالصحراء، من خلال نموذج منطقة الساقية الحمراء، ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن العصبية القبلية مرتبطة بمجموعة من المؤثرات، والتي تشكل الثقافة رابطها الجوهرى الذي يجمع بينها، فالصحراء غنية بإرثها المتنوع، فكل منطقة تزخر، بالرغم من الوحدة العامة: الثقافية، اللغوية والاجتماعية، بمميزات خاصة، الشيء الذي يدل على خصوصية القبيلة أو القبائل التي تعمره، وهذا الموروث الثقافي يدفع قبائل الصحراء إلى تبنيه والاهتمام به وصيانتها باعتباره مؤسسا لـ: "الأصل والذاكرة والتاريخ".

كان من اللازم أن نستشكل ونستدلّ على أمور رئيسة لا يستقيم النظر في دور "الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمجتمع الصحراء الساقية الحمراء جنوب المغرب" إلا بطرحها ومعالجتها من قبيل:

أولا، يوجد إشكال بالنسبة لسكان الصحراء قائم على الحضور القوي للعصبية القبلية في الحياة اليومية، التي مازالت فاعلا في المجتمع (الاحتكام إلى العلاقات الدموية). وهذا ما يظهر من خلال نموذج الساقية الحمراء.

⁴Festinger.L ,and Katz. D. **Research Methods in the Behavinoual Sciences**. Staples Press، London ، 1954، P: 23.

ثانياً، إن العصبية القبلية لم تمنح أو تضحل بفعل ظاهرة التحضر القسري و حياة المدينة، بل ازدادت بفعل عوامل قائمة ومؤسسة على التسابق نحو الزعامة والوساطة والتمثيلية (الانتخابات) التي أفرزتها الدولة الوطنية الحديثة، ويبرز ذلك من خلال التعدد القبلي بمنطقة الساقية الحمراء.

ثالثاً، الاستناد إلى العوامل الثقافية في تقوية هذه الرابطة، بالاستناد إلى العامل الروحي الذي تلعبه الزوايا والمواسم بالمنطقة، والإرث الجهادي لقبائل الساقية الحمراء، بالإضافة إلى مناطق مقدسة، والمزارات والقبور المنتشرة على طول المجال، فضلاً عن التاريخ الحربي ضد القبائل الأخرى، دون أن ننسى الطابع الأسطوري لتاريخ المنطقة.

لذلك ينبغي التوقف عند التحولات الكبرى التي عرفتتها الصحراء، خاصة تلك المتعلقة بالقبيلة في مجتمع بدوي في علاقة متوترة مع الظاهرة الحضرية و حياة الاستقرار؛ ثم تحليل "الصدمة الثقافية" التي خلقها "التحضر القسري" الذي عرفتته الصحراء بفعل أسباب عديدة (الحدود بين البلدان، حرب الصحراء...).

انطلاقاً من هذه التوطئة للإشكالية التي سنقوم بدراستها حيث اتخذنا منطقة الساقية الحمراء نموذجاً للبحث، يمكننا تفكيك الإشكالية إلى مجموعة من الأسئلة، حتى يسهل علينا الإجابة عليها:

- ماهي الأبعاد الثقافية للعصبية القبلية، بشكل عام، وبالصحراء خاصة وبمنطقة الساقية الحمراء أخص؟
- ماهي مظاهر حضور البعد الثقافي للعصبية القبلية، بالمنطقة؟
- ماهي العوامل الثقافية المؤثرة والفاعلة في انصهار وانشطار العصبية القبلية بمنطقة الساقية الحمراء؟

- ما مدى قيمة البعد الثقافي للعصبية القبلية بالصحراء، ولدى قبائل الساقية الحمراء مقارنة بالأبعاد الأخرى: علاقة الدم، النسب، العرف... الخ؟
 - هل يمكن القول بأن زاوية، بما تمثله من حمولة تاريخية وروحية، تلعب دورا مهما في ترسيخ القيمة الثقافية للعصبية القبلية بالساقية الحمراء؟
 - وهل الانتساب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال شجرة القبيلة، ونحر ناقة، يساهم في ترسيخ العصبية القبلية لدى قبائل الساقية الحمراء المنتمين إلى بيت الرسول عليه الصلاة والسلام؟
 - ثم مدى مساهمة أجماعة (الجماعة: أهل الحل والربط "العقد")، وقانون أيت لربعين⁵ في بناء تصورات وميولات الأفراد تجاه المحيط والقبائل المجاورة والأدوار المنوطة بها زمني الحرب والاستقرار؟
- 3. فرضيات البحث:**

تشكل الثقافة محددًا أساسًا لفهم بنية المجتمع وسلوكه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. تشكل الثقافة؛ ذلك المشترك الذي يميز مجتمعًا معينًا ويحدد هويته ويميزها عن غيرها، حيث تتبلور الثقافة وفق صيرورة تاريخية يجعلها تدمج وتستوعب مجموع المعطيات التاريخية والعرقية والمجالية والاقتصادية، التي تتكامل في صياغة الثقافة ككل مركب يتجاوز المعطى المادي والفكر والإنتاج (العمل) إلى التمثلات والمخيال الذي يصنع النفسية الجماعية للأفراد، ويفسر سلوكهم الاجتماعي والسياسي على مستوى العلاقات والقيم والمعاملات، حيث تفسر الثقافة الفعل السياسي والسلوك والتعاطي مع النخب السياسية وأسس تشكلها، وبذلك تعتبر الثقافة ببنيتها المركبة مدخلًا أساسًا لتحقيق الفهم العميق لأي مجتمع ومن ثم منطلقًا للبلورة السياسات التي تستهدف المجتمعات والتي تتأسس على الخصوصية الثقافية لكل مجتمع.

⁵ أيت لربعين: أنظر المبحث الأول من الفصل الثالث.

بناء عليه؛ نستشف دور الثقافة في تكريس صيرورة الظواهر الاجتماعية داخل كل مجتمع. ففي ملاحظتنا لقبائل المنطقة يتبين لنا دور الثقافة في بناء سياسة القبيلة، مما جعلنا نطرح مجموعة من الفرضيات، استقيناها من الفرضية الرئيسة، و"تتكون من مجموعة آراء ومفاهيم تتعلق بموضوع دراسي معين يهتم به الباحث، والفروض هي أفكار مبدئية تدرس العلاقة بين الظواهر قيد الدراسة والبحث والعوامل الموضوعية التي تؤثر فيها"،⁶ رغم أننا غير متأكدين من صحة الفروض التي سنحاول اختبارها وتجريبها وفق منهجية علمية دقيقة، من خلال نموذج منطقة الساقية الحمراء كمحدد رئيس لصحتها، لكن لابد "للباحث القيام بجمع الحقائق والبيانات والمعلومات التي يعتقد بأنها ترتبط بمشكلة البحث الأساسية"⁷، فقد قمنا بجولات في منطقة الساقية الحمراء، من أجل جمع أكبر قدر من المعلومات والروايات، حتى يتسنى لنا صياغة عدة فروض تكون انعكاسا للإشكالية المطروحة، نجلها كما يلي:

- يعتبر المجال ومناطق نفوذ القبيلة محددًا أساسًا في إثارة النزاعات القبلية تغذيتها.
- تعتبر الأعراف والتقاليد ضامن في استمرار العصبية القبلية.
- تتميز زاويا كونها رمز ديني لا اختلاف عليه، وفيها يتجدد الوفاء والإخلاص للقبيلة.
- يعتبر الإهتمام بالمواسم الدينية والاحتفال بها بالمنطقة، مناسبة لتجديد أفراد القبيلة الولاء لها.
- تلعب الجماعة دورًا أساسيًا في تقوية العلاقات الاجتماعية داخل القبيلة.
- التباهي بالانتماء القبلي والعائلي يزيد من العصبية القبلية.

⁶Cohon. Paul J. *Set Theory and Continuum Hypothesis*, New York.1966. P:39.

⁷ الدكتور احسان محمد الحسن الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي. مطبعة الطليعة، الطبعة الثالثة، بيروت، ص:46

• المصاهرات والولائم والملتقيات فرصة لتجدد العلاقات الاجتماعية بين

أفراد القبيلة والتعارف فيما بينهم.

4. منهج البحث و تقنياته:

(أ) منهج البحث:

لقد عرفت مناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية تحولا مهما في اتجاه أعمال مقارنة شمولية تقتضي استثمار تقاطع العلوم الإنسانية في مقارنة أي ظاهرة ذات طبيعة إنسانية، وتزداد ملحاحية أعمال هذا النوع من المقاربات عندما يتعلق الأمر بموضوع العامل الثقافي في توجيه السلوك القائم على العصبية القبلية عند البدو/الرحل، حيث تتداخل الثقافة بالقبيلة وبالمجتمع وباللغة، لذلك سنعمل على الانفتاح على الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية والتاريخية والفلسفية، لفهم ظاهرة تتسم فعلا بتقاطع هذه الأبعاد، وسنستحضر هذه الحقول منهجيا وببيبلوغرافيا عبر إدماج مادة متنوعة المشارب، إلى جانب أعمال المنهج الإحصائي القائم على استثمار المعطيات الميدانية (الاستمارات) من خلال العمل على تفرغ معطياتها ودراستها بشكل يتيح وصف الظاهرة وتفسيرها.

لقد آن الأوان للقيام بمقاربة شمولية لا تقنع بمقاربة أحادية، بل تفتتح على مقارنة متعددة، لتمتحن منها بعض الأصول لاستكناه "الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمجتمع الصحراء بمنطقة الساقية الحمراء"، لذلك ارتأينا أن نعتمد منهجية تستحضر مختلف الرؤى السالفة الذكر:

• دراسة تكاملية: دراسة متعددة التخصصات تتناول "الثقافة وأثرها على

العصبية القبلية بمجتمع الصحراء بمنطقة الساقية الحمراء" لا تقتصر على

المقاربتين الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، بل تتعدى ذلك إلى توظيف مختلف المناهج

والمعطيات الأركيولوجية، التاريخية، الجغرافية، الاقتصادية، الدينية، الرمزية، الأسطورية وغيرها.

- **دراسة مقارنة:** تعمل على استحضار دراسات طبقت على مناطق مشابهة، في الطبيعة والسكان والبيئة والثقافة والأعراف أو مقارنتها، متى سمحت الحالة بذلك، بظواهر مشابهة بمناطق أخرى.

- **دراسة Micro مجهرية أو جزئية** في مقابل الدراسة الشمولية: تنطلق من المبدأ الذي يرى أننا قد نطل من خلال معطى جزئي على عالم بأكمله يخفي وراء هذا المعطى.

- **دراسة ميدانية:** من خلال معاينات واستطلاعات واستبيانات ومقابلات (على الأقل 6 أشهر) تسعف في تعقب وتقصي ما صار عليه الأمر (تقويم الحصيلة وتمحيص النتائج في ضوء الواقع).

وتتقسم مناهج البحث في علم الاجتماع إلى نوعين، وهذا ما سنعتمد عليه في دراستنا:

- **دراسة كمية:** وتأتي إلينا المادة الكمية من الميدان من خلال بيانات حول الأفراد المبحوثين من خلال خبراتهم وتجاربهم، فالمنهج الكمي يحاول قياس ووصف الظاهرة الاجتماعية. بالاعتماد على تقنيات تعتمد القياس، فالأسئلة الإستبائية تجعل المبحوث مقيدا بإجابات محددة، عكس البحوث الكيفية التي تعطي للمبحوث مجالا للتعبير عن ما في نفسه وتنسم بالمرونة. ورغم صعوبة استعمال المناهج الكمية في العلوم الاجتماعية، لكن بعض الباحثين حاولوا استعمال هذا المنهج في ظواهر اجتماعية: كالانتخابات والتنمية... لكن في ظواهر اجتماعية متعلقة بالثقافة فاستعمال هذا النهج يبقى محدودا.

● **دراسة كيفية:** تعتبر أساليب التحليل الكيفية مختلفة عن نظيرتها الكمية. ذلك أنها أكثر تعبيراً عن جوهر الأشياء وعن معانيها الخفية، وذلك راجع إلى طبيعة البحوث الكيفية. فهي تختلف من حيث المبدأ في طريقة دراسة العلوم الاجتماعية، وتؤمن بتأثير السياق العام في السلوك الإنساني، وهذا ما سنحاول استثماره في دراستنا من خلال تتبع تأثير الثقافة على سلوك أفراد قبائل الصحراء. من خلال الاقتراب من أفراد القبيلة ومصاحبتهم ومعاشرتهم، وهذا يجعل الباحث يعيش واقع المبحوثين، ولعل هذا ما يميز البحوث الكيفية. فالبحوث الاجتماعية هي بحوث استكشافية إلى حد ما، إذ تؤكد على التفاعل بين الباحث والمشاركين في البحث من أجل خلق دينامية تميز هذه البحوث عن البحوث الأخرى. فالتفاعل مع أفراد قبائل الصحراء ضروري بفعل طبيعة هؤلاء الأفراد الذين يوصفون بالمتقليبين والمزاجيين، وكسب ثقتهم أمر صعب، "ومع ذلك فإن المنهجين يكملان بعضهما بعضاً علماً بأنهما يختلفان في نقاط أساسية، وخصوصاً ما يتعلق منهما بموضوعية الباحث ودوره"⁸.

(ب) تقنيات البحث:

(1) الملاحظة

تعتبر الملاحظة في البحوث الاجتماعية، وسيلة أساسية لجمع المعلومات، وذلك راجع لأهميتها وفوائدها الكبيرة، "فهي تعطي المجال للباحث أن يلاحظ الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة التي ينحصر فيها البحث وتمكنه من ملاحظة سلوك وعلاقات وتفاعلات المبحوثين والاطلاع على أنماط معيشتهم والمشكلات الحياتية التي يتعرضون

8 عبد القادر عرابي "المناهج الكيفية في العلوم الاجتماعية"، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، الاصدار 2014، القاهرة، ص: 96.

لها⁹. كما تتيح "المجال للباحث ملاحظة الأجواء الطبيعية غير المتصنعة لمجتمع البحث حيث أن المبحوثين لا يعرفون بأن سلوكهم وعلاقاتهم أو تفاعلاتهم وظروفهم اليومية هي تحت الدراسة والملاحظة والفحص، لذا يكون تصرفهم طبيعياً وتكون علاقاتهم وتفاعلاتهم سليماً ويعيداً عن التصنع والتكلف"¹⁰.

يتميز مجال الصحراء بالإتساع والتنوع بفعل الظروف الطبيعية التي تعيش فيه مختلف القبائل الصحراوية، ومناخ الصحراء معروف عليه القساوة والتغير المستمر، هذا أثر على الإنسان بالصحراء وجعله دائم الحذر والاستعداد لظروف مناخية أشد قساوة، فتقنية الملاحظة مع الإنسان الصحراوي تتطلب مواصفات خاصة على الباحث اتباعها، أهمها اكتساب الثقة والوعي بثقافة أهل الصحراء، حتى تزيل كل الحدود بينك وبينهم، ويحسوا أنك لست إنساناً غريباً، وبهذا يطمئنون لك، "فليست الملاحظة الاجتماعية مقصورة على الإدراك المباشر للظاهرة أياً كانت أو الوصف للحوادث، ولكن توجد وسائل أخرى لتحقيق ذلك مثل دراسة العادات والتقاليد والفنون والآثار وتحليل ومقارنة اللغات والوثائق وجمع البيانات عن طريق الإحصاء وغير ذلك من الوسائل التي تختلف في أهميتها"¹¹.

من خلال مختلف الأنماط الثقافية التي تمر أمامنا، والحوادث التي نستمد منها الحياة الاجتماعية لقبائل الصحراء، وطبيعة العلاقة بين الموروث الثقافي وأفراد القبيلة، التي يستمد منها سلوكها الاجتماعي ونظامها الاقتصادي والسياسي، ومن المؤكد أن تقنية الملاحظة المباشرة تمكن الباحث من الغوص في تحليل إشكالية الثقافة وأثرها على العصبية القبلية

⁹Swedner. H ، Observation As Method of Social Research ، st Paper Submitted to the 2nd UnescoSeminer On Social Research Methodology ، Denmark، 1968، P:2

¹⁰Swedner ، H. Observation As Method of Social Research ، P:5

¹¹ احسان محمد الحسن، الاسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص: 105

بمجتمع الصحراء، ينبغي تتبع تأثير العادات والتقاليد على أفراد القبيلة، وطريقة اندماج الأجيال الحالية التي تعيش حياة الاستقرار، والتي ترفض كل ما هو ثقافي وموروث عن الأجداد، وتطالب بالتححرر من المعتقدات والتقاليد الموروثة، لأنها في نظرهم عديمة الجدوى في عصرنا الحالي.

لقد تبين لنا، من خلال معاينتنا لطقوس نحر الناقة بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف، زمن موسم زاوية أساء، أن أفراد قبائل الصحراء، مازالوا محافظين على ثقافة القبلية ويكونون الاحترام للعادات والتقاليد وللقيم الموروثة، وهذا يظهر بشكل واضح في أيام المناسبات العائلية والدينية والمناسبات المتعلقة بكل قبيلة. فالشباب وحتى الأطفال يلبسون الزي الصحراوي، ويرحبون بالوفود الزائرة، فمن خلال هذه الأجواء الاحتفالية لكل قبيلة طريقته، تشعر الزائر أن الثقافة الصحراوية مترسخة، والعصبية القبلية تستمد من الموروث الثقافي للصحراء.

يتبين من خلال المشاركة في إحياء بعض الطقوس والعادات الخاصة بالمنطقة، وتسمى هذه الوسيلة الملاحظة بالمشاركة، "ويستعملها كل من العالم الأنثروبولوجي والعالم الاجتماعي في البحوث الميدانية التي يقومون بها والتي تتطلب منهم مشاهدة الظروف الاجتماعية والمادية والحضارية للمبحوثين والمشاركة في نشاطاتهم اليومية والاطلاع على معتقداتهم ومواقفهم وأغراضهم وطموحاتهم"¹²، وهي طريقة اعتماد عليها في كثير من الأحيان من أجل الاطلاع على حياة أفراد القبيلة بطريقة لا تبعث على الشك، فالمجتمعات البدوية تتطلب من الباحث "أن يتطبع بسلوك وأخلاق وعادات وتقاليد أهلها ويرتدي ملابسهم

¹²Festinger ، L ، and Katz، D، **Research Methode in the Behavioural Sciences**، Staples Press،London، 1954،See the Ch Written by Heyns and Zander On Participant Observation.

ويتعلم لغتهم إلى أن يصبح مقبولا من قبلهم¹³، وبعد كل معاينة ومشاهدة نقوم بتسجيل وتدوين المعلومات التي نحصل عليها كل يوم.

(2) المقابلة:

تعتبر وسيلة مهمة من وسائل جمع المعلومات والبيانات في البحوث الاجتماعية، "وبدون المقابلة أي مواجهة الباحث أو المقابل للمبحث بقصد جمع الحقائق والبيانات المتعلقة بموضوع البحث لا يستطيع الباحث التعرف على الحقائق ولا يستطيع تبويبها وتصنيفها وتحليلها علميا يساعده على التواصل للنتائج النهائية والتي يستعملها في كشف موضوع الدراسة وتعريه جوانبه المختلفة"¹⁴، فهي عملية اجتماعية تحدث بين شخصين، لكن في البحوث الاجتماعية يتطلب من الباحث التركيز في موضوع بحثه مع المبحوثين.

كان لابد لنا من البحث على مبحوثين بعينهم، وذلك راجع لمعرفتهم بمجال القبائل، والفهم العميق للثقافة القبلية وتاريخها والعلاقات التي تربطها مع القبائل الصحراوية الأخرى، فكان لابد " للباحث اختيار الوقت المناسب لإجراء المقابلة"¹⁵، حتى يتسنى للمبحث إعطاء المعلومات الكافية حول الموضوع المدروس، بطريقة يحس معها بالأريحية وهو يجري هذه المقابلة، وقد حاولنا التمييز بين المبحوثين المتعلمين والمبحوثين غير متعلمين في طرح الأسئلة. فعلى سبيل المثال استعملنا مع المبحوثين غير المتعلمين "المسجل"، وذلك راجع إلى عدم تقيدهم بالموضوع وخروجهم عنه في أغلب الأوقات، مما جعلنا نحاول تقييدهم الدائم بالبحث، بالإضافة إلى طرح الأسئلة "بالحسانية" حتى يفهم ويستوعب الأسئلة المطروحة.

¹³ Evans-Pritchard ، E، **Social Anthropology** ، Routledge Paperback، London، 1967، P: 69-70

¹⁴ احسان محمد الحسن الاسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي مرجع سابق، ص: 93

¹⁵ Cole D. **Fieldwork in Sample Survey sot Household Income and Expenditure** ، Applied Statistics، London، 1956. PP:44-50

(3) المجموعة البؤرية:

تعد وسيلة فعالة في البحوث السوسيولوجية، وخصوصا في مجتمعاتنا العربية. فهذا النوع من المجتمعات معروف على أفراد الطابع الاجتماعي، والمجموعة البؤرية تتميز باجتماع مجموعة من نخبة المشاركين أي أنهم على اطلاع وفهم عميق للموضوع المدروس. ويفضل أن يكون بينهم درجة من السن متقاربة، يتم خلالها تبادل الخبرات والتعبير عن المشاعر والآراء بين مختلف أفراد المجموعة البؤرية. ويمتد هذا النقاش بين ساعة إلى ساعتين حسب ظروف النقاش ونظرة الباحث (الرئيس) لأهمية المناقشة. من حيث المعلومات المحصل عليها، وهي طريقة من طرق الأسلوب الكيفي.

هذه الطريقة استعملتها في الكثير من الأحيان في هذا البحث، وذلك راجع لطبيعة المجتمع الصحراوي الذي يحب الاجتماع "أجماعة"، خصوصا على جلسة الشاي الصحراوي الذي تتراوح مدته بين الساعة إلى ثلاث ساعات تقريبا، وهي مدة الجماعة البؤرية، ففي مثال شهير يؤكد حب الصحراويين للنقاش وتبادل الآراء والتجارب الشخصية يقول "يخلي جماعة ما تجمع"¹⁶، من هنا استلزم علينا توفير ظروف المجموعة البؤرية من خلال توفير الشاي مع توجيه النقاش إلى الموضوع المدروس

¹⁶ يعني يشنت الله جماعة لا تتواصل.



الجماعة بوئية (شخصين رفضى التصوير لمبررات شخصية)

4) عينة البحث

إن تحديد عينة البحث عمل لابد منه في العلوم الاجتماعية، وهي طريقة يتم فيها اختيار مجموعة من الأشخاص من مجتمع البحث، ويستحسن في اختيار هؤلاء الأشخاص أن يكونوا على اطلاع وفهم واسع بموضوع البحث، ويستحسن على الباحث أن يسأل عن الأشخاص الذين يمكن لهم إفادته في الإشكالية المدروسة، وهذا ما فعلناه في هذا البحث حيث قمنا برصد مجموعة من الأفراد لهم اطلاع بثقافة أهل الصحراء ومعرفة بالمجال المدروس، وكذلك على دراية بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية التي مرت منها القبيلة في مراحل تاريخية معينة، كما ينبغي أن يكون "حجم العينة التي يختارها الباحث تعتمد على موارده المالية، الوقت المتيسر لديه، عدد الباحثين الاجتماعيين الذين يعملون معه، نوعية المعلومات التي يرغب جمعها وتحليلها، وأخيرا دقة ودرجة صحة النتائج المتوقعة من البحث الإحصائي"¹⁷.

¹⁷ الحسن ، احسان محمد، استعمال الطريقة الإحصائية في البحوث الاجتماعية الميدانية. مجلة المركز القومي للبحوث الاجتماعية و الجنائية، العدد الاول ، السنة الثالثة ، اذار ، 1974.

ت) أهداف البحث

هدفنا من هذه الدراسة تسليط الضوء على موضوع الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمجتمع الصحراء، وذلك راجع إلى طبيعة الموضوع نفسه فالثقافة الصحراوية تعمق الإحساس بالانتماء للمنطقة والانتماء القبلي. مع تقديم التنوع الثقافي للقبيلة وتنوع مصادرها وطبيعة تداخلها، حيث لا يمكن حصرها في مجال دون غيره. ثم طبيعة التفاعل بين القوى ومصادر تنوعها. حيث نطمح إلى تقديم تحليل اجتماعي أنثروبولوجي يشكل مرجعا للثقافة الصحراوية وعلاقتها بالعصبية القبلية.

ح) صعوبات البحث:

يستدعي البحث العلمي القيام بمجموعة من التدابير، التي تتعلق بالعناصر المكونة للبحث (المشاركين، الميدان). ويشغل الباحث عليها؛ في ارتباط تام مع الجهة المشرفة على البحث. وهذا التنسيق مع هذه العناصر يتطلب من الباحث الحنكة والممارسة ووضع مسافة بين كل الأطراف، لكن هذا الأمر يبقى مستحيل وهو فوق قدرة الباحث المبتدئ، الذي لا يحسن بعد التعامل مع هذه العناصر الرئيسية في البحث. وبدوري كباحث يحمل رسالة يريد إيصالها، وهي تتطلب مني الكثير من الدقة والحيطة والحذر قبل الدخول في مغامرة الكتابة، فقد واجهتني صعوبات خلال القيام بالبحث العلمي، ومن أبرز هذه الصعوبات:

* عملية اختيار العنوان وميدان البحث، حيث واجهتني مشكلة اختيار العنوان بدقة وعناية، ثم ميدان البحث وبالأخص عندما يتعلق الأمر بميدان قد اشتغل عليه باحثون من قبل.

* نعرف أن الثقافة والعصبية القبلية من المواضيع الكبيرة والشاسعة، والبحوث التي اهتمت بهذا الموضوع عديدة ومختلفة ومتباينة، ولهذا وجب علينا دراسة أغلب تلك البحوث والتي عالجت الموضوع من زوايا مختلفة.

* طول المسافة عن الجامعة، والذي يتطلب مني 25 ساعة من السفر بالحافلة.

* غياب تام للمكتبات ومؤسسات داعمة للباحثين بمدينة العيون والصحراء عامة. وهذا يتطلب مني السفر إلى الرباط والدار البيضاء وفاس ومراكش للحصول على المراجع اللازمة للبحث.

* محاولة التنسيق بين الجانب الوظيفي والجانب العلمي.

* انتمائي القبلي تسبب لي في بعض المشاكل، خصوصا في البحث الميداني وبشكل رئيس مع القبائل التي لها حزازات مع قبيلتي، وهذا جعل الكثير منهم يمتنعون عن مقابلي.

* امتناع أغلب المشاركين عن أخذ صور أو التسجيل معهم، من ثم الاعتماد على أخذ رواياتهم عن طريق الكتابة، وذلك راجع إلى مخافة الدخول في كلام يسبب لهم إحراجا مع قبائل أخرى.

* وجدت صعوبة في التمكن من اللغة المناسبة للموضوع، وذلك راجع إلى الموضوع نفسه والذي يفتح على حقول معرفية مختلفة ومتباينة والتي لا يمكن الاستغناء عنها، ففي تناولنا لموضوع مرتبط به مفاهيم لها إمتداد تاريخي ومجالي وإيديولوجي وعقائدي وإجتماعي وسياسي وإقتصادي. تحاول مختلف الحقول المعرفية دراستها من خلال إتجاهات مختلفة، ولغة متباينة.

القسم الأول:

المفاهيم المحددة للمجال الصحراوي: الثقافة والعصية

تمهيد:

نعرف أن "العلوم الاجتماعية لم تستطع لحد الآن اكتشاف القوانين السببية الثابتة التي تعرفها العلوم الطبيعية ولم تتمكن من بناء وتكوين القوانين الواضحة التي تفسر ظواهرها والأشياء التي تدرسها تفسيراً منطقياً وعلمياً، وذلك لصعوبة حقولها الدراسية وكثرة العوامل والمتغيرات التي تؤثر فيها، ودراساتها لجوانب المجتمع المختلفة التي يلعب فيها الإنسان دوراً مهماً في عملية تنظيمها وتحديد قوانينها ونشاطاتها"¹⁸.

لكن يبقى البحث وفق ضوابط علمية واضحة ومحددة، يلزم الباحث في البحوث التطبيقية الاعتماد عليها. وبتحديد العنوان وصياغته وهي عملية ليست بالسهلة، إذ تتطلب من الباحث التركيز وحصر الموضوع وتحديد المفاهيم الأساسية للبحث. وهذه الخطوة تعتمد على مهارة الباحث في اختيار المصطلحات العلمية التي تناسب مشكلة البحث، وتكون الإطار المفاهيمي للبحث. وبالأخص إذا كان الموضوع متعلقاً بمواضيع متشابكة ويشهد امتدادات في الحياة اليومية.

يجب على الباحث أثناء عرض الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع المدروس، تحديد تطور البحوث والدراسات التي عرضت والاهتمام بالدراسات الجديدة، ومعرفة الأسباب والنتائج المتوصل إليها.

وإذا كان الموضوع يتعلق بالصحراء وعلاقتها بالمشكلات الأخرى، يتطلب من الباحث الالتزام بالبحث العلمي التطبيقي. والحرص على تطبيق منهجية تتبني على الملاحظة، وأن يصبح الباحث عضواً في الحياة اليومية للناس، وأن يشارك الجماعة نشاطاتهم اليومية، ويألفه الناس ويصبح واحداً منهم، فالاحتكاك والتفاعل مع الباحثين يعطي الباحث مجموعة

¹⁸Andresk, S. L, Method and Substantive theory in Max Weber , in British Journal of Sociology XV. 1.1964.

من الحقائق على جانب كبير من الأهمية. لأنه يستعمل بصره وإحساسه في معرفة الظاهرة الاجتماعية المدروسة.

في مجال كالصحراء تطلب منا الكثير من الحذر في جمع المعطيات، وذلك راجع إلى الظروف التي تعيشها الصحراء، وبفعل البيئة القاسية والمناطق الجغرافية المعروفة بشساعة مجالها.

يتميز مجتمع الصحراء بالقدرة على الترحال حسب مواسم الرعي، فقلة التساقطات تفرض على البدو الانتقال من مكان إلى آخر، مما يطرح السؤال هل هناك حدود معينة للقبائل الصحراء؟ وإذا كانت هناك حدود بين هذه القبائل فكيف يعرف أفراد هذه القبائل حدودها؟

يطرح موضوع "الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمجتمع الصحراء" تحديات معرفية كثيرة، تتعلق بموضوع الدراسة الذي يتطلب الكثير من الدقة في المنهج المتبع، مع الاستعانة بالمناهج الأخرى وذلك راجع إلى الموضوع نفسه، الذي يتطلب معرفة واسعة بالتاريخ والانتروبولوجيا والسوسيولوجيا.

المنهج المتبع هو "وسيلة محددة توصل إلى غاية محددة"¹⁹، يريد الباحث الوصول إليها من خلال المناهج المناسبة للبحث، و"بطبيعة البحث في كل علم، وأدوات هذا البحث، والغاية التي نتوخاها منه"²⁰. لهذا وجب على الباحث في مواضيع تتعلق بالمجتمعات البدوية توسيع مداركه العلمية.

¹⁹ معجم اللغة العربية، المعجم الفلسفي، مادة: منهج، ص: 195.

²⁰ عبودة عبد الله العسكري، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، سلسلة منهجية البحث العلمي -1، دار النمر، الطبعة 2004، دمشق، ص: 4.

تتسم دراسة المجتمع الصحراوي بمجموعة من العادات والتقاليد والسلوكيات والطقوس الدينية، هذه المواصفات تمتد على طول صحراء البيضان، وتعرف بنظام اجتماعي صارم تتحكم فيها العصبية للأقارب والقبيلة. ولا يمكن للأفراد الذي يعيشون داخل القبيلة إلا احترام هذا النظام والالتزام به، تأكيداً على الانتماء إلى القبيلة.

حاولت الاستعانة بمجموعة من الدراسات التي استعانت بدورها بمفاهيم سوسيولوجية تقترب من الواقع الاجتماعي للقبيلة ومجتمع البيضان. وتتعلق مما هو عام إلى ما هو خاص، فالقبائل الصحراوية كانت تعيش في فضاء شاسع، لكن مع الاستعمار الفرنسي والإسباني ستقع تغيرات ثقافية على مجتمع الصحراء، بفعل التحكم في المجال وتقسيم الاستعمار لتراب البيضان، مما أثر على الانتقال الطبيعي لقبائل الصحراء في مجالها الجغرافي، حيث أصبحت صحراء البيضان منقسمة إلى صحراء فرنسية وصحراء أسبانية.

الفصل الأول: مكانة مفاهيم القبيلة والعصبية القبلية في الأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية.

تمهيد:

يطرح موضوع تحديد المفاهيم والسياق الأنثروبولوجي والسوسيولوجي لكل مفهوم إشكالية منهجية بفعل تشابك الدلالات، وتعدد الميادين التي تفسرها وتعدد النظريات والمقاربات التي تفسرها وفق مناهج متداخلة وقريبة فيما بينها.

هذا المستوى النظري في الموضوع ينبني على تطور مفاهيم الموضوع والنظريات التي تحدثت عن الموضوع والباحثين، الذين حاولوا مقارنة الإشكالية المدروسة والمستوى المعجمي الذي وصل إليه الموضوع. فإذا استطاع الباحث تشكيل الكلمات والمفاهيم الموضوع، ستفتح له أفاق في تفسير وتحليل الإشكالية إنطلاقاً من رؤية علمية.

يفسر البحث المفاهيم الرئيسية الواردة ضمن عنوان البحث، وإعطاء حدود كل مفهوم وتطوره وخصوصاً إذا تعلق الأمر بالثقافة. ويقتدي من كل باحث الاستعانة بالدراسات السابقة حول موضوع البحث، وذلك من أجل وضع إطار عام للبحث على ضوء المفاهيم الخاصة بالموضوع، بالإضافة إلى النتائج التي توصل إليها كل باحث والمكانيزمات المحركة للظاهرة الاجتماعية، فيصبح للباحث تصور عام للحدود الموضوع وإعطاء إضافة جديدة للموضوع.

سنحاول في عرضنا هذا التطرق إلى مختلف الدراسات التي تحدثت عن العصبية القبلية وأسباب تطورها بالصحراء. وقد اخترنا أنثروبولوجيين من الصحراء وآخرين من الدول التي استعمرت الصحراء.

المبحث الأول: مفاهيم الثقافة والعصبية القبلية في الدراسات الإنسانية

1) الثقافة

تعتبر الثقافة المحدد الأساس في بناء التصور الجماعي والفردى لطبيعة العلاقات والسلوكيات في المجتمع، "من يقول أنه أعطى تعريف محدد للثقافة فإنه واهم. فكلمة (الثقافة Culture) كانت تعني في القرون الوسطى الطقوس الدينية (Cultes)، وفي القرن السابع عشر كانت تعبر عن (فلاحة الأرض)، وفي القرن الثامن عشر وفي اللغة الألمانية كانت تعني التقدم الفكري الذي يحصل للشخص أو للمجموعات الإنسانية بصفة عامة"²¹. إن دراسة المفهوم والإحاطة بكل جوانبه يقتدي بالإلمام "بالتراكم الثقافي"²² للمفهوم، باعتباره ضروري لدراسة علاقة الثقافة بأنماط التفكير والقيم والمعتقدات السائدة في المجتمعات الجزئية والمجتمع ككل، لهذا يجب أن ينصب تعرفنا للمفهوم باعتباره شاملا، يحدد طبيعة العلاقات الشائعة وسلوك الأفراد، وعلاقة المجموعة بالمجموعات المحيطة بها.

يهتم علم الاجتماع بالثقافة عن طريق إنشاء علم الاجتماع الثقافي، ويرجع الفضل في تأسيسه إلى "ألفريد فيبر" حيث أهتم بدراسة العلاقة بين الثقافة والحضارة، والسميات التي تميز كل منهما عن الأخرى. وقد عرف سبلمان Spillman علم الاجتماع الثقافي بأنه علم "يدرس كيف تحدث عملية إنشاء المعنى، ولماذا تختلف المعاني وكيف تؤثر المعاني على السلوك الفردي والجماعي، وكيف أن طرق إنشاء المعاني أمر مهم بالنسبة للتلاحم الاجتماعي وللهيمنة والمقاومة في المجتمعات."²³ ويعتمد علم الاجتماع الثقافي على أساليب

21- د. فاديا أبو الخليل ، الثقافة و التنشئة الاجتماعية وأثرهما في تكوين شخصية الفرد، دار النهضة العربية، ط: الأولى، 2015، ص142

22 احمد شرارك، سوسيولوجيا التراكم الثقافي، منشورات: المركز الوطني للإبداع المسرحي و السينمائي ، الطبعة : مايو 2004

23 محمود الداودي، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى 2010، ص:21-22.

علمية وأكاديمية في دراسة السلوك الاجتماعي للأفراد، والعلاقات الاجتماعية من خلال دراسة اللغة والقيم والمعايير والعادات والمعتقدات، من أجل فهم السلوك الفردي في سياقه العام والخاص، وبذلك يعطي تفسيرات منطقية لسلوكيات فردية وجماعية غير مفهومة من قبل.

وجب التذكير بالدور الذي لعبه الأنثروبولوجيون في تسليط الضوء على مفهوم الثقافة "والتي تعني في نظرهم دراسة الإنسان من الناحيتين العضوية والثقافية على حد سواء"²⁴، وقد تطور مفهوم الثقافة في الأنثروبولوجيا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي "تدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية، كالعائلة، ونسق القرابة، والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية، وغيرها، كما تدرس العلاقة بين النظم سواء في المجتمعات المعاصر والمجتمعات التاريخية"،²⁵ ومن هنا وجب "التأكد على اختلاف الثقافات والنظر إليها كسياقات للسلوك الإنساني المكتسب بالتعلم"²⁶، "فلكل فترة تاريخية قوانينها الخاصة، ولكل ثقافة ديناميتها الخاصة. علاوة على ذلك، فإن الثقافات تشكل الأفراد تبعاً لغاياتهم"²⁷ الاجتماعية التي تقتدي منهم بالالتزام بثقافة المجتمع وتطويعها من أجل تحقيق الأهداف الشخصية.

يبقى تأثير المجتمع حاضراً على الأفراد، إذ إن للمجتمع مصالحه الخاصة، وهو يفرض أهدافه على الفرد عن طريق الطقوس والرموزية"²⁸، وعرف إ.ب. بي. تايلور المفهوم

24 حسين فهم، قصة الأنثروبولوجيا فصول التاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، فبراير 1986، ص: 14.

25 نفس المرجع، ص: 16.

26 فريدريك بارث- أندريه غينغريتش- روبرت باركن- سيدل سيلفرمان، الأنثروبولوجيا حقل علمي واحد وأربع مدارس، ترجمة: أبو أحمد باقادر- إيمان الوكيائي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017 بيروت، ص: 391-392.

27 آدم كوبر، الثقافة التفسير الأنثروبولوجي، ترجمة: تراجي فتحي، مراجعة: د.ليلي الموسوي، مجلة: عالم المعرفة، مارس 2008، ص: 62.

28 نفس المرجع، ص: 64.

الانثروبولوجي للثقافة، "في الجملة الافتتاحية في كتابه «الثقافة البدائية» Primitive Culture في العام 1871 وكتب تايلور يقول «إن الثقافة أو الحضارة - بمعناها الإثنوغرافي العام- هي الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاقيات والقانون والعرف، أي قدرات أو عادات أخرى يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع»، فالثقافة كل متكامل، وهي مكتسبة، وتشمل عملياً كل شيء يمكن أن يفكر فيه الفرد، باستثناء البيولوجيا"²⁹، إلا أن هناك من العلماء من يرى ضرورة الفصل بين الثقافة Culture كمصطلح والحضارة Civilization كمصطلح آخر، ويستند دعاة التفريق على أن الثقافة إنما تطلق على «الأمر غير المادية في المجتمع» ومنها المعتقدات والمعارف والقيم والعادات والتقاليد ومختلف صور الفن ومظاهره.³⁰ وهذا يكسب الأفراد وسائل الضبط الاجتماعي، مما يؤدي إلى اتفاق جماعي على السلوك المقبول يلتزم به أعضاء المجتمع.

تتميز الثقافة بخاصيتين الكسب والتعلم، يكتسب الفرد الإحساس باهتمامات الجماعة ومشكلاتها، وهذا ما نسميه الضمير الجماعي، والذي يستتبط من قيم الجماعة والذي يكسب الفرد الإحساس بالذنب عند مخالفته قيم الجماعة. ويظهر الشعور بالانتماء إلى جماعة معينة، من خلال انتقال الأفراد للعيش في جماعة لها ثقافة مختلفة، يؤدي بالفرد إلى الشعور بانتمائه الثقافي المختلف، وفق مبدأ «ابن خلدون» الإنسان ابن بيئته.

تساهم الثقافة على التكيف مع المجتمع، فالأسرة تعمل "بفضل اللغة يستطيع كل جيل أن ينقل خبراته بطريقة رمزية إلى الجيل الناشئ"³¹ عن طريق تلقين أفرادها المعارف اللازمة، وتمكينهم من الوسائل الضرورية من أجل الاندماج في المجتمع حسب طاقاتهم

29 نفس المرجع، ص: 70.

30 صلاح مصطفى فوال، علم الاجتماع و العلوم الاجتماعية علاقات ومجالات و ميادين، عالم الكتب، القاهرة 1982، ص: 160.

31 عبد العني عامد، سوسيولوجية الثقافة، المفاهيم والإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 2006، ص: 116.

وقدراتهم المعنوية والمادية في المجتمع، من أجل توازنه الشخصي والتكيف في مكانته في المجتمع، وفي ظل الظروف الحالية يواجه الفرد أمراض نفسية نتيجة تعرض الفرد لضغوط اجتماعية ونفسية، سببها وسائل التواصل الاجتماعي التي جعلت الفرد يطلع على عدد كبير من ثقافات العالم، ووجد الفرد نفسه أمام العديد من الثقافات، أدت إلى انفصام في الشخصية وغيرها من الأمراض النفسية بفعل غياب الثقافة التي ينتمي إليها.

أصبحت الثقافة اليوم مركبة ومعقدة، جعلت الفرد يجد نفسه أمام صعوبات كثيرة أهمها صعوبة الاختيار. ويجعل الفرد أمام الكثير من البدائل والفرص، يضطر الفرد في هذه الحالة إلى الاستعانة بآراء وتوصيات من أصدقائه، تؤدي في الغالب إلى اختيارات خاطئة وذلك راجع إلى غياب شخصية الفرد في هذه الاختيارات، والفرد هو أدرى بشخصيته. ولهذا فكلما كانت الثقافة بسيطة وقابلة للاستيعاب والفهم، كلما كانت شخصية الأفراد واضحة والاختيارات بسيطة.

"تتألف الثقافة من أنماط فكرية وقيم ومعتقدات شائعة بين مجموعة من الأفراد، لا يهم حجم المجموعة هنا، سواء أكانت كبيرة أم صغيرة، وسواء أكانت جزءاً من «المجتمع» معين أم المجتمع بأكمله، أم حتى المجموعة مرتبطة بمجموعة أخرى خارج حدودها الوطنية. فالثقافة هنا لا يتجزأ من الحياة الكلية لمجموعة معينة من الأفراد"³².

الثقافة هي تلك "المجموعة المعقدة التي تشمل المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والتطبيقات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع ما"³³، فهي تتسم بالقدرة على التأثير على سلوك أفراد، من خلال المعتقدات والقيم والعادات الموروثة التي يصعب تغييرها. فهي تميز مجتمع عن آخر، فجماعة "لا ثقافة لها لا

³² ديفيد انغليز- جون هيوستون، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة : لما نصير. منشورات: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. الطبعة : الأولى 2013 ص: 17.

³³ الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية سنة 1986، ص: 10.

أصل لها". من هذا المنطلق يصبح أفراد المجموعة ملتزمون بالحفاظ على ثقافتهم والسهر عليها. تخضع الجماعة للأفراد لثقافتها وفق مقاييس تختارها ، تؤثر على نفسية الفرد وعند محاولة الخروج عن هذه المقاييس يصاب باضطرابات نفسية.

تختلف الثقافة المغربية عن ثقافة دول المشرق. بفعل التعدد الثقافي للمغرب، "الثقافة المغربية تتشكل من مجموعة من الثقافات"³⁴. وتتداخل فيه مجموعة من الثقافات ومجموعة من العناصر التي تكون الثقافة المغربية، فالثقافة العربية الأمازيغية الصحراوية هي المكون الأساسي لها. ولهذا فالدولة تسخر إمكانياتها من أجل المحافظة على هذه الثقافة المتنوعة. حتى يكتسب الفرد طرق التعامل مع الجماعة التي ينتمي إليها، عن طريق تزوده بمعنى الأشياء والأحداث التي تحدث في مستقبلهم الأشياء التي يقبلها المجتمع، ويعتبرها طبيعية وغير خارجة عن النسق العام للمجتمع، يلحق الفرد؛ الأفراد الآخرين ويعلمهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة ثقافة المجتمع.

باعتبار أن الثقافة الصحراوية من أحد محدداتها الرئيسية، والامتداد الجغرافي للصحراء من مساحة المملكة المغربية. وتوفرها على حواضر قديمة بجنوب واد درعة ومدن تم اكتشافها، هذه الحواضر القليلة لم تغنيهم متطلبات الصحراء "عشيرة، خيمة، قطيع والحاجة إلى الغزو بالسلاح والدسائس. هكذا ظلوا رحل قداماء. رعاة ابل وأغنام وماعز شرسون، فسيفساء من القبائل تسودها الفوضى [...]". لكنهم شجعان.³⁵ فجغرافية الصحراء المخيفة والمتقلبة بفعل عوامل التعرية، تكون لدى الإنسان الصحراوي براعة في التعامل مع المشاكل اليومية و المزاج المتقلب المرتبط بتقلب مناخ الصحراء.

34 احمد شرارك، سوسيولوجيا التراكم الثقافي، مرجع سابق، ص:22

35 ،اوديت دي بويغودو، النطاق الجغرافي للثقافة الحسانية وجذورها التاريخية، ترجمة: احمد البشير ضماني، مجلة ثقافة الصحراء، العدد الرابع خريف 2015.

(2) العصبية

شغل مفهوم العصبية معظم الباحثين في التاريخ والاجتماع والفلسفة، بفعل الدلالات اللغوية المختلفة الواردة في المعاجم، التي تفسره من خلال أصل الكلمة: "العصب عصب الإنسان وهي أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها، وانعصب اشتد، والعصب الطي الشديد، وعصب الشيء يعصبه عسبا طواه ولواه، وقيل شره وعصبة الرجل بنوه وقرابته لأبيه، والعصبية الذين يرثون من كلاله، ويقال عصب القوم بفلان أي استكفوا من حوله"³⁶. أما في قاموس فاكهة البستان فقد وردت "العصبية والتعصب وحقيقتهما الخصلة المنسوبة إلى العصبية. فإذا قلت تعصب الرجل كأنك قلت أي من نفسه هذه الخصلة، ويقال نبض عرق العصبية أي ثارت به العصبية وهاجت به نفسه"³⁷، فالالتفاف حول شخص أو جماعة معينة والدفاع عنها أهم خصائص العصبية. ويعرفها ابن خلدون (1332-1406م) بأنها "النعرة على ذوي القربى والأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة، فإن القريب يجيد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداة عليه، ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك"³⁸.

ذلك راجع الى طبيعة حياة بدو الصحراء التي تنظر إلى أنماط الحياة التي تحيط بها بنوع من الخوف والريبة، "أي أن انتقال الأشخاص من حياة الريفية إلى حياة الحضرية في المدن بصحبه أنواع كثيرة من (الخوف) و(القلق). فحياة الحضر أكثر تعقيداً من حياة الريف بما تحتويه من ضرورة التكيف للمخترعات و لأنماط السلوك الكثيرة والمعقدة، وبما تتطلبه

36 ابن منظور؛ لسان العرب، دار صادر. بيروت، الطبعة: 6، ص: 602.

37 عبد الله البستاني، فاكهة البستان، المطبعة: الامريكانية، بيروت. الطبعة: 1930 ص: 947

38 ابن خلدون، "مقدمة ابن خلدون" كتاب العبر و ديوان المبتدأ. في أيام العرب و المعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الكتاب العلمية، الطبعة 2009. ص: 102

من جهود مختلفة و منافسة للوصول إلى مستوى مناسب من الحياة. وفيها (الخوف) من أن لا يستطيع الأشخاص الوصول إلى هذا المستوى الذي تتطلبه الحياة الحضرية أو من الفشل في الوصول إليه³⁹ حيث إن العصبية القبلية هي السائدة في مختلف العلاقات الاجتماعية "وتشمل قيم العصبية الافتخار بالنسب، ونصرة القريب، والمساواة بين أفراد القبيلة، واحترام أو طاعة الأهل والكبار في العمر، والثأر، والحشمة والشرف"⁴⁰.

هناك تعاريف أخرى للعصبية، تعرف المفهوم "على أنه اتجاه نفسي جامد مشحون انفعالياً أو عقيدة، وحكم مسبق مع أنه شيء أو موضوع ولا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية بل استند الى أساطير وخرافات، وهو موقف معادي ضد الجماعات الخارجية، وخاصة عندما لا يكون هناك تفاعل مباشر بين الجماعات التي ينتمي إليها الفرد"⁴¹، هذا التعريف السلبي للمفهوم العصبية أثاره العديد من الباحثين وخصوصاً في الخليج العربي.

تتجسد العصبية من خلال التضامن والتعاون والانصهار لاشعوري من أعضاء القبيلة، وفق المثل العربي الشهير «أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب»، الذي يستمد قوته من "النزعة القبلية، فالقبيلة تمثل تجسيدا لا واعياً للقبيلة، قد يتحول إلى نزعة تجعل الانتماء القبلي هوية للمجتمع المحلي تغلب على الهويات الأخرى. ويؤكد هنا، كما في

³⁹ معتز سيد عبد الله، الإتجاهات التعصبية، مجلة: عالم المعرفة، الكويت، مايو 1989، ص: 93.

⁴⁰ حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر . بحث استطلاعي، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت الطبعة العاشرة، أبريل 2008. ص: 73

⁴¹ فهد بن غرام الله بن الحسن، حقوق الانسان التربوية و التعليمية و الثقافية في المواثيق الدولية، معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي، الطبعة 1431 هـ، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ص: 176.

أكثر من مناسبة، أن النزعة القبلية تنتشر عادة «في الفترات التي يتأزم فيها وجود القبيلة»، وهو ما يؤدي إلى حالة من الغضب الذي يظل كامناً إلى أن تحين الفرصة للتعبير عنه⁴².

(3) القبيلة

تعتبر القبيلة من المؤسسات الاجتماعية الأولى للجنس البشري فهي "وحدة مستقل و« كاملة التنظيم »"⁴³. و"تركب القبيلة من مجموعة من العشائر تحمل اسما واحدا، ولهجة مشتركة وتملك أرضا مشتركة تسكنها وتدافع عنها"⁴⁴. "وهذا التنظيم يتطلب ثلاثة مستويات: القبيلة، الفخدة، والعرش"⁴⁵، حيث إن قرابة الدم في القبيلة هي السائدة بين مختلف أفرادها. ويظهر "في أصلها إلى أب واحد ومنه تتفرع الأنساب والسلالات كما تتفرع الأغصان عن الشجرة، وغير أن النسب والانتماء إلى الأب المشترك أو الروابط القرابية داخل القبيلة،"⁴⁶ فهناك مجموعة من مظاهر الالتحام والوحدة تسود داخل القبيلة، من أهمها الحفاظ على أمن أفرادها من خلال مراقبة مجال القبيلة. والسهر على ضمان الموارد المائية والرعية لها، ان "القبيلة تعبير عن مجتمع كامل التنظيم،"⁴⁷ من خلال تدبيرها شؤونها اليومية والعلاقات بين أفرادها، حيث "تخضع القبيلة لسلطة الزعيم نفسه، يعيش أعضاؤها في

⁴² اخضر زكريا، ظواهر القبلية والجهوية في المجتمع العربي المعاصر ، ، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 11 ، شتاء 2015، ص:161

⁴³ABDEL WEDOUO OULD CHEIKH ، 'Tribu et Etat Afrique' Centre des Etudes Sahariennes .2014 ، P :16/17 .

⁴⁴Morgan systemisconsangnity and effirmity of the humion Familly Waishinton 1971، La sociétéarchaïques.Trad. Francaise. Paris. Anthops. 1972. P:56

⁴⁵FAOUZI. M. HOURORO، SOCIOLOGIE POLITIQUE COLONIALE AI MAROC ،P : 73. cas de Michaux Bellllaire ; AFRIQUE ORIENT. Dépôt légal n° 775/88.

⁴⁶ الهادي الهروي، القبيلة، الاقتطاع و المخزن -مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934 ، افريقيا الشرق. 2005 ، ص:46/47

⁴⁷EncyclopediaUniversalis. (TRIBU) Morgan systémsconsongnity and affinity of humainFamilly1871 Vol. 6، P 314.

منطقة واحدة، بغض النظر عن كون هذا النسب صحيحا من الزاوية التاريخية أم لا، فالمهم هو الشعور بالانتماء الواحد...⁴⁸. بالإضافة إلى تدبير العلاقات مع القبائل المجاورة.

تتميز القبيلة عن التنظيمات الاجتماعية الأخرى أنها موحدة وثابتة، وتكتسب خصوصياتها من المجال الصحراء، الذي يتميز "في المنطقة العربية تتجاوز في انبساطها الجغرافي ووضعها المناخي والتضاريسي والجيولوجي إلى تجذرها في التراث الثقافي الشامل للإنسان العربي والإسهام في تكوين ذاته الجمعية على جميع المستويات، أدى اجتماعها إلى إحداث صلات شديدة الخصوصية... ينذر وجود ما يماثلها في مناطق أخرى."⁴⁹

وبروز "النزعة القبلية وهي نزعة يعبر عنها سلوك الفاعلين المرتبط بتغليب الولاء للمجموعة القبلية وللهوية القبلية. لكن هذه النزعة تبقى متفاوتة الحضور لدى المجتمعات والجهات. إن هذه النزعة كانت مجال نقد سلطته النخب السياسية منذ بداية هذا القرن على الأيديولوجية القبلية باعتبارها طرفا ينازع الأيديولوجية الوطنية والقومية"⁵⁰. وهذا ما يجعل القبيلة تلقى حضورا لدى مجموعة من الدارسين للمجتمعات البدوية، التي يستأثر بها نظام القرابة في البناء الاجتماعي حيز كبير في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. وتصبح مؤسسات كالزواج والمصاهرات والعائلة نظام اجتماعي مبني على إيديولوجية القبيلة والعشيرة يحكم توزيع العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع.

يستأثر مفهوم القبيلة باهتمام في الدراسات الاجتماعية ولدى الأنثروبولوجيا بشكل خاص، فالباحث في العلوم الإنسانية والأنثروبولوجيا المعاصرة يشمل خاص، في دراسته

48 سامي ذبيان و آخرون. قاموس المصطلحات السياسية الاقتصادية والاجتماعية، رياض الريس للكتب و النشر، (القبيلة) لندن، الطبعة الأولى 1990، ص: 359.

49 أحمد أبو زيد، قصة الصحراء، مجلة عالم الفكر، الكويت، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1984، ص: 21.

50 محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2002 بيروت، ص: 62-63.

للقبيلة أول ما يصادفه أزمة مفهوم القبيلة⁵¹. فالمفهوم نطلقه على هوية الأفراد وانتمائهم الاجتماعي، عكس ما حدده مونتاني الذي ركز على التقاليد والأعراف المشتركة بين أفراد القبيلة الواحدة.

داخل المجتمع القبلي يحظى الرجل بمكانة خاصة، فهو سيدها المطلق المتحكم في شؤون وقرارات القبيلة. وتقع عليه مسؤولية تسير شؤونها والحفاظ عليها، وتقتضي سلطته المطلقة توزيع المهام على أفراد الأسرة، الذين ينفذون هذه الأوامر بحذافرها مخافة العقاب من "سيد الأسرة". ويستمد سلطته من الأعراف والتقاليد السائدة ثم من ثقافة الدين التي تأمر باحترام الرجل (الأب) وطاعته.

يعتبر دور المرأة داخل الأسرة مهماً، بفعل الأدوار التي تلعبها فهي تشارك الرجل في تدبير شؤون الأسرة من خلال رعاية الأولاد والسهر على تربيتهم. ورعاية المواشي وتهيئ كل ما يحتاج إليه في سفره من أجل إيجاد المراعي وترحاله. والمرأة في المجتمع القبلي لها حقوق القبول بالزواج وحقوق طلب الطلاق. ويمكن لها أن تساعد الرجل في الحروب من خلال التحفيز والمال.

حاولت الحملة الإستعمارية من خلال الباحثين الكولونيين "التركيز على القبيلة ليس سوى حديث يهدف أساساً إظهار الطابع التقليدي والبدائي الوحشي لمجتمع قابل للرسالة الحضارية التي تكلفت فرنسا بنشرها في المغرب. ومن ثمة فقد جندت مجمل طاقاتها الجسدية والمالية في مشروع تهيين -بعد تجربة الجزائر العنيفة والإستفادة منها- معرفة الميكانيزمات الداخلية للمجتمع المغربي، للتمكن من السيطرة عليه⁵². هذا التفسير

⁵¹GODELIER. M.، « Le concept de tribu: crise d'un concept ou crise des fondements empiriques de l'anthropologie » in : Maurice GODELIER، Horizon، trajets marxistes en anthropologie، Paris، 1977 .

⁵²فضة مصطفى، حول مفهوم القبيلة في علم الاجتماع الإستعماري، مجلة: الثقافة الجديدة، العدد: 29 بتاريخ 1 يوليو 1983، ص:80.

الكولونيالي للمفهوم أثر على مجموعة من الباحثين في دراستهم للقبيلة من الزاوية الثقافية، بالتركيز على الطابع السلبي والموحش للمفهوم، وإطلاق مجموعة من التعريفات على القبيلة كالجماعات القبلية. وإغفال الدور المهم للقبيلة في تكوين الوعي الجمعي. من هنا لابد من تحليل المفهوم وفق تأثيراته السوسيوثقافي على المجتمع.

يتصف المجتمع البدوي بمجموعة من المحاسن، حددها ابن خلدون في وصفه لقيم المجتمع البدوي. والقيم الاجتماعية "تشتق وجودها من المجتمع ومن نظمه الاجتماعية السائدة وتتغير وتتطور تبعاً لتغير نظمه وأوضاعه فالأخلاق والدين والعادات والعرف والتقاليد تعتبر قيماً اجتماعية، لأن المجتمع ينظر إليها نظرة التقديس الاجتماعي، فمن يأخذ بها يلاقي استحساناً اجتماعياً ومن يخرج عنها يتعرض لسخط المجتمع واستهجانها.

تكتسب القيم الاجتماعية قوتها في المجتمعات المترابطة القوية كالمجتمعات الريفية وتأخذ قوتها في الضعف كلما أخذ المجتمع في التحضر"⁵³. ومن ضمن هذه القيم الشهامة والكرم والعفة والصراحة والتعاضد والتكافل ثم الصدق. فالإنسان البدوي يبني علاقاته على هذه القيم، ويكره الغش والكذب والإنسان المنافق، حيث ينقص من رجولته التي تعتمد على القوة والصلابة في قول الحقيقة. في المقابل يمجّد القتل والنهب والسلب والتخريب ويحتقر الأعمال اليدوية، ويعتبرها علامة من علامة الضعف وقلة الحيلة.

يتميز المجتمع الصحراوي بثقافة القبيلة المبنية على حياة الرعي والترحال، وتتسم هذه الحياة بالصراع مع الطبيعة، تستلزم الحفاظ على التماسك البنية الداخلية للجماعة وتمسك الأفراد بالقبيلة كنظام اجتماعي يحفظ الأفراد من الموت والفناء. وقد ارتبط مفهوم البدو بالصحراء والقبيلة، وذلك راجع إلى نمط الحياة في الصحراء المعتمد على ثقافة الرعي. هو انتقال البدو وترحالهم من منطقة إلى أخرى بقطعانهم سواء من الغنم والإبل وغيرها من

53 عبد الحميد محمود سعد، دراسات في علم الاجتماع الثقافي، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة 1988، ص: 110.

الحيوانات، هذا النوع من نمط العيش يعتمد على الحيوان، ويصبح البدوي في علاقة مباشرة مع الحيوان، يتكفل بإشباع رغباته وحاجياته، لضمان ما يوفره الحيوان من أكل ومواد أخرى. يستعملها البدوي لقضاء حاجاته كالجلد واللحم ثم أنها هي المهر في الزواج، وبذلك تصبح "مصدر الثروة ومبعث كل الفخر"⁵⁴.

يتميز المجتمع القبلي بالتعاون والتآزر بشكل عفوي والغير رسمي، من خلال مجموعة من المظاهر الاجتماعية والمناسبات الاحتفالية. كالأعراس والمآتم وزيارة المريض ومساعدة المحتاجين في القبيلة، وأداء واجبات "صندوق" القبيلة عنهم، وذلك الحفاظ على الروابط العائلية، وتفعيل التجمع القبلي بين أبناء القبيلة، والقائم على الولاء للقبيلة ولشيوخها يجعل القبيلة كجسد واحد.

يدين البدوي بالولاء لقبيلته ويتشرف بانتمائه إليها، ويتمسك بعاداتها وتقاليدها وقيمها، التي يعتبرها النموذج داخل مجال الصحراء، وهذا الإلتواء لها يجعله دائماً قريباً لها، رغم بعده عنها، ومن قيم البدوي إحترام الذي يكبره سناً، وذلك راجع إلى تقدمه في الخبر والحنكة ودراية بمختلف أمور الحياة بالصحراء. ومن صفات البدوي أنه متقلب ومزاجي وخوفه الدائم من الناس والطبيعة، وهذا القلق اكتسبه من الطبيعة متقلبة في الصحراء.

"والمسح الذي قامت به «لويس مدنك» عن هذه الشعوب تراها لا كتابية، دنيا، بسيطة، آلات بسيطة، غير متمدنة، صغيرة، معزولة، شعبية، تطورها متوقف، تعيش خارج نطاق المدينة الغربية، فاقدة للوثائق التاريخية، مستواها من التحصيل التكنولوجي متدن، مجتمعات علاقاتها تقوم أساساً على أصرة القربى"⁵⁵.

54 صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي- التأصيل النظري ج1، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى 2005، ص: 169.

55 ثياقة الصديق، رسالة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع، تحت عنوان: المقدس والقبيلة الممارسة الإحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري - زيارة الرقائي نموذجاً - ، تحت إشراف: أ.د حجيح الجنيدي. كلية العلوم إجتماعية، جامعة وهران، الجزائر ، موسم: 2013/2014. ص: 34.

وجب التآني في دراسة المجتمع القبلي بالمغرب وبالخصوص بالصحراء، فتاريخ المغرب؛ معروف عنه "تاريخ قبائل"⁵⁶. وهذا ما يتضح في الدراسات الانثروبولوجية والتاريخية لقبائل الصحراء، فالباحث في مجال الصحراء من واد نون، ثم الساقية الحمراء وصولا الى واد الذهب عليه دراسة قبائل المستوطنة لهذه المجالات فتكنة، اركيبات، اولاد دليم، اولاد بالسباع، اهل الشيخ ماء العينين، اولاد تدرارين، العروسين، توبالت، مجاط، ليفيات، فيلالة، ولميار، تجكانت، ادا اويلال، هي تاريخ وثقافة الصحراء.

عرف مجتمع بالصحراء تحولات إجتماعية، من مرحلة الترحال إلى مرحلة الاستقرار التي تميزت بنمط العيش الاستهلاكي الخاص بالمدينة. وتصارع التغيرات الاجتماعية في القبيلة، لكن " تحتل القبائل مكانا في التاريخ الثقافي، فقد حلت محل الصيادين الذين كانوا أبسط منها، وحلت محلها الثقافات تفوقها تقدمها والتي ندعوها بالمدينيات، لكن ليست المدينة تقدما على المجتمع القبلي لمجرد قدرتها على السيطرة بل هي تقدم في التنظيم وتحول في النمط الثقافي."⁵⁷

(4) الصحراء:

يطرح مفهوم الصحراء باعتبارها مكان " الخلاء الواسع المترامي العجيب الخالي من معظم مظاهر الحياة النباتية والحيوانية ذلك إلى جانب ندرة الماء وارتفاع الحرارة."⁵⁸ وقد تعبر عن أشكال معرفيا في تعريفه من خلال الامتداد الجغرافي، إلى التفاعل المجال بالإنسان، ويكتسب "المجال، المكان" أبعادا كثيرة ودلالات سيكولوجية وثقافية. وكما تقول الباحثة رحمة بورقية: " لا نهتم بهذا المجال لنجعل منه معطى بمعزل عن الإنسان الذي

56 عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984، ص: 89.

57 رسالة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع، تحت عنوان: المقدس والقبيلة الممارسة الإحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري – زيارة الرقاني نموذجا – من إنجاز الباحث: ثياقة الصديق، مرجع سابق، ص: 36.

58 أحمد أبو زيد، قصة الصحراء، مرجع سابق، ص: 13.

يعيش فوقه ويتفاعل معه. وإنما نحاول قراءة المجال لنقرأ الإنسان الذي يحتله وكيفه، حسب المقتضيات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.⁵⁹ نحاول من دراستنا للمجال الصحراوي تحليل العلاقة التفاعلية بين المجال والإنسان، وما يعتقده هذا الأخير في علاقته بالقوى الغيبية، والعادات السائدة بالصحراء كالكرم، والصبر، والبدواة.

تعتبر الصحراء مكان واسع لدراسات الانثروبولوجية، والسوسيولوجية، والسكولوجية، بل حتى للأدباء والروائيين. "إن المكان بالإضافة إلى خصائصه الطبيعية والجغرافية المميزة، لابد أن ينظر إليه على أنه تكوينات أو بنى لأول حالات معرفية وجدانية تكون لدى الأفراد والجماعات، وتسهم على نحو واضح في تحقيق إحساسها بالهوية الفردية والجماعية في استمرارية وجود هذا الإحساس لديهم"⁶⁰.

"ففي كل أنماط التعبير الوجداني والذاتي، في الأساطير والملاحم وحكايات التراث وفي الشعر والقصة والرواية، ذلك لأن الإنسان زمني النزعة لا يستطيع الانعتاق كلياً من سطوة الزمان والمكان حتى وهو في أشد حالات إلحاحا"⁶¹. "المكان - عموماً - ليس عاملاً طارئاً في حياة الكائن الإنساني، وإنما معطى سيموطيقي لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي إنما يتغلغل عميقاً في الكائن الإنساني حافراً مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة، ليصبح جزءاً صميماً منها، وذلك لأن المكان هو الحيز الذي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم، من خلاله نتكلم ونرى العالم."⁶² "والمجال" حاضن الوجود

59 رحمة بورقية، الدولة والسلطة والمجتمع- دراسة في الثابت والمتحول، في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، فبراير 1991، ص:15.

60 شاكر عبد الحميد، الوعي بالمكان ودلالاته، مجلة فصول، المجلد الثالث عشر، العدد الرابع، القاهرة، سنة 1995، ص:249.

61 مبرال الطحاوي، محرمات قبلية (المقدس و تخيلاته في المجتمع الرعوي روائياً)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2008، ص:20.

62 خالد حسين، شعرية المكان في الرواية الجديدة، كتاب الرياض، العدد 83، مؤسسة اليمامة، طبعة الأولى 2000، ص: 60، نقلاً عن العابدي محمد عبد الله، المكان في معلة إمري القيس قراءة مونطيقية، النادي الأدبي الثقافي، مجلة جذور، العدد 31، أبريل 2010، جدة، المملكة العربية السعودية، ص: 175.

الإنساني، وشرطه الرئيس، وأكثر متلازماته قابلية للتحول واختزال المفاهيم والاكتظاظ بعدد كبير من الحدود والتصورات والمحمولات وشحنات الجمال، فكان قابل لزخم المسافة...⁶³

التفاعل بين ما هو وجداني والصحراء يظهر في مستويات للذات، وتأخذ حيزاً مهماً من نفسية الإنسان الصحراوي. حيث تصبح "العلاقة بين الكائن والصحراء علاقة مميزة وخاصة، فالصحراء تحفز صفاتها من قسوة وإرادة صلبة وتكشف في سكانها، وهذه جملة صفات لا بد لمن يعيش في الصحراء التحلي بها، فالجذب وفقر الموارد يجابه بالتكشف والزهد بوسائل الرفاه، والمناخ القاسي يقتضي إرادة قوية تكافح من أجل استمرار العيش"⁶⁴.

إن المجتمعات التي تعيش في الصحراء، دائماً في صراع مع الطبيعة من أجل البقاء والعيش. وفي صراع مع السلطة الخارجية التي تحاول فرض النظام عليها، وصراع مع حياة المدينة واعتبارها حياة الخنوع للآخرين، وأنها تنقص الفرد من رجولته ومن قيمه. والعيش في الصحراء كالعيش في مجال يكاد يكون الليل كالنهار، لا يختلف إلا في رطوبة الليل ونسيمه وجوه المعتدل. فالزمن عند أهل الصحراء يتشابه، وقيمة الوقت تختفي في الصحراء.

تعتبر الصحراء مرآة للمظاهر الاجتماعية المقدسة، وذلك راجع إلى طبيعة المجتمع الذي يعرف ركوداً في البنية الاجتماعية في الحياة البادية. ويتصف المجتمع بترائه الرمزي المبني على العرف، الذي يتحكم في تصرفات الأفراد وعلاقاتهم الداخلية (العائلة/القبيلة) والخارجية (الطبيعة). وهذا يؤثر في الرؤية الشمولية للمشاكل الاجتماعية المحيطة بالمجتمع، وفي تفسير الظواهر المناخية بالصحراء.

63 عبد الحميد المحادين، جدلية المكان و الزمان و الإنسان في الرواية الخليجية، بيروت، 2001، ص: 20.

64 العابدي محمد عبد الله، مرجع سابق ص: 185.

المبحث الثاني: العصبية القبلية في الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية.

1) التصور الخلدوني للقبيلة:

يتفق معظم الباحثين في السوسيولوجيا والانثروبولوجيا أن نظرية ابن خلدون تدور حول العصبية كمحور رئيس لنظريته، و"يشكل نقطة انطلاق التفكير في مفهوم «القبيلة»، حيث يظل حسب تعبير ليفي شتراوس، «صالحاً لأن نفكر معه». إن ابن خلدون يسهب كثيراً في الحديث عن الأواصر المتينة والسريعة التطور داخل المنظومات القبلية، والناجمة عن الولاء والعصبية، إلا أن من المجحف التسليم أن ملاحظاته تتعلق فقط بالمناطق النائية أو بالمناطق القروية، أو أنها تركز على قرابة «الدم»⁶⁵.

"العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه،"⁶⁶ فأهل البدو أشد عصبية من أهل الحضر بفعل أحوال عيشهم، "إن البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وإن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم."⁶⁷ فنمط العيش لدى البدو حيث غياب لأدنى أسباب العيش من طعام أو ملابس أو فراش يجعل أهل البدو أكثر قسوة وشد وعصبية على أهل الحضر "فالظروف تعزز لدى البدوي الطباع البدائية وأخلاق اليأس و الشدة، وذلك على عكس الحياة الحضرية التي تفسد العصبية وتفككها بسبب ما يتوفر في نطاقها من أسباب الرقة والنعيم."⁶⁸ "فالعصبية رابطة

⁶⁵ ديل أيكلمان، الإنتماء القبلي في وقتنا الراهن التداعيات والتحولات، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 19 شتاء 2017، ص: 58-59.

⁶⁶ ابن خلدون، مقدمة، مرجع سابق، ص: 110.

⁶⁷ نفس المرجع، ص: 97.

⁶⁸ المختار الهراس، القبيلة و السلطة تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، المركز الوطني لتنسيق و تخطيط البحث العلمي و التقني، مطبعة الرسالة، ص: 15.

اجتماعية -سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، ربطا مستمرا يبرز ويشند عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد: كأفراد أو جماعة⁶⁹.

"قابن خلدون يؤكد دور المكان، أي الأرض، الذي يشكل محور التحام الجماعة.ومما يذكي الإحساس بالانصهار ضمن الجماعة القبلية ويعزز تلاحمها الداخلي، الخطر الخارجي الذي قد يهدد استمرارها وجودها، سواء كان ناجماً عن عصبية زاحفة من خارجها أو عن تدخل سلطة مركزية، كما أن علاقات القرابة والتحالف الموجودة بين أعضاء القبيلة الواحدة تؤدي إلى إقامة الفوارق بين المجموعات القبلية"⁷⁰.

عدد محمد عابد الجابري شروط العصبية وتضامن الأفراد، وذلك بإحترامهم "مصلحة العصبية والعمل على جلب المنافع لها، أو على الأقل عدم التسبب لها في متاعب تعرض كيانها للخطر، أما إذا حاول إذا حاول إستغلال هذا التضامن لحسابه الخاص، فإن النتيجة ستكون، إما نبذه إن استطاعت العصبية ذلك، وإما تتفكك عرى العصبية نفسها. وبالمثل فإن الشخص الذي يسبب للعصبية متاعب هي في عني عنها، كتلك التي تنتج عن عدم احترام العادات والتقاليد السائدة، لابد أن يلقي عقاباً ما، وغالباً ما يكون النبذ والطرْد"⁷¹.

تتميز قوة العصبية بدرجة التحام أفرادها بالنسب حسب ابن خلدون، "بمعنى إن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه"⁷²، فالقبائل التي يسود فيها التعصب لأفرادها تستوجب قوة المناصرة والنعرة

⁶⁹ محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية و الدولة/ معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة السادسة 1994، بيروت، ص: 168

⁷⁰ نفس المرجع ، ص: 56.

⁷¹ نفس المرجع، ص: 169.

⁷² ابن خلدون، مقدمة، ص: 102

بين أفرادها اتجاه الجماعات الأخرى، هذا سينتج عنه التغلب "وهذا التغلب هو الملك".⁷³ وتقتضي المساعدة في تدبير الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، إذ " أنها في العمق تقوم على تنازع البقاء والكفاح من أجل العيش في إطار وحدة العصبية وتضامن أفرادها، وحدة تضامنا تتدمج فيهما سواء بسواء، المصالح المادية للعصبية والإعتبارات المعنوية التي بها تقوم شخصيتها ويتأكد كيانها"⁷⁴.

توصل ابن خلدون إلى أن المجتمع المغربي هو مجتمع بدوي ينقسم إلى ثلاثة وحدات متماسكة، أشار إليها لوفير "بالجماعات الواسعة أو فيدرالية القرى"⁷⁵. فالانتماء الأفراد للقبيلة مزال متجذرا في المغرب من خلال نمط العيش و مستوى العلاقات بين الأفراد، التي تقوم على أساس الانتماء العصبي و خصوصا في الصحراء.

(2) التصور الكولونيالي للقبيلة:

يرتبط المفهوم الكولونيالي بالمرحلة الاستعمارية، تلك الفترة؛ التي لا يمكن تحديدها فقط بالمرحلة الاحتلال الفرنسي والإسباني للمنطقة، بل تمتد إلى ما قبل المرحلة الاستعمارية وبعدها. "الذي وضع المغرب تحت مجهر الأبحاث السوسيولوجية والأنثروبولوجية لمعرفة طبيعة بناء السياسية والاجتماعية، وتكويناته القبلية وعلاقاتها بالمخزن المغربي وعاداتها وحلها وترحالها، ثم دور الزوايا. كان الدافع تسهيل احتلال المغرب بأقل تكلفة ممكنة. عكس الجزائر التي كان العامل العسكري هو المحدد في احتلالها"⁷⁶.

73 نفس المرجع ص:110

74 محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية و الدولة/ معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي، مرجع سابق، ص:176/177.

⁷⁵ Henri lefévre . –Problèmes historico-sociologique de la communauté paysanne. Cahiers internationaux de sociologie ، N° 6 ، 1949 ، PP 85-86-87 .

76 محمد مزيان، المغرب في الأدبيات الكولونيالية الفرنسية ومشروعية الغزو والإلحاق، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد: 17، صيف 2016، ص: 108

لا يمكن لباحث في العلوم الاجتماعية إغفال أهميتها، ودورها في تحليل المجتمع وطبيعة العلاقات الاجتماعية، ووظيفة العناصر الاجتماعية ووظائفها. ورصد مجمل الظواهر الاجتماعية من خلال العلاقات داخل العائلة والقبيلة، ثم تتبع ورصد تأثير فئات داخل المجتمع، وتأثير الدين على المجتمع، "ويجد دارس خطاب هذه المدرسة نفسه مدعواً إلى ضرورة التميز بين البحث السوسيولوجي والبحث الاجتماعي اعتماداً على شرطين كما فعل الخطيبي وهما:

- وجود التصور السوسيولوجي كمقصد ومنهج لدى الباحث.
- احترام الحد الأدنى من القواعد العلمية⁷⁷.

إن التحليل الكولونيالي للقبائل بالمغرب يهدف إلى معرفة طبيعة العلاقة بين القبائل البربرية والقبائل البدوية وعلاقتها بالمخزن، وإلى معرفة طريقة التعامل مع القبائل وتأسيس لعلاقة فرق تسود، وهنا يركز بللير على النظام القبلي وتعارضه مع الدولة، بحيث لا يعترف بالسلطان وتأثيره الديني والرمزي، لهذا فإن هذه القبائل تعيش في "بلاد السيبة". في المقابل فإن هناك قبائل خاضعة لسلطة المخزن، من خلال المشروعية الدينية (الولاء للسلطان). والمشروعية الإدارية (إعطاء الضرائب)، وتعامل مونتاني مع القبيلة "تعامل المنقب مع الحفريات التي لا إرتباط لها إلا مع الماضي الحاضر"،⁷⁸ وتعد دراسته للقبائل البربرية في منطقة سوس نموذجاً لدراسات التي اعتمد عليها الاستعمار الفرنسي لتغلغل في الجنوب المغربي.

⁷⁷ محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مرجع سابق، ص: 34.

⁷⁸ محمد المبارك، بعض المعطيات حول الدولة والمجتمع خلال المغرب القديم، ضمن كتاب، جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب، -مشارك. دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1992، ص: 114.

"كان روبرت مونتاني يعرف القبيلة بأنها «مجموعة من الأجزاء تملك أرضاً وتجمعها عائلات غالبا ما تكون غير خاضعة لسلطة المركزية. يظهر تلاحمها وتحالفها في اللحظة التي يحددها خطر خارجي» وهو بذلك يؤكد على المعطى الايكولوجي ويعتبره الأقدر على تفسير طبيعة القبيلة المغربية،"⁷⁹ وفي أطروحته البرابرة والمخزن أن النظام الاجتماعي داخل الجماعات القبلية البربرية، هو عبارة عن «الجمهوريات البربرية»، وهي التي تضمن استمراريتها، عبر توحيدها وتقابلاتها من خلال «تاقبيلت»، الذي يضم "أربعة أو خمسة مواضع تتكون تاقبيلت، ومجموعة متراوحة ما بين ثلاثة واثنا عشر «تاقبيلين» تتكون القبيلة كوحدة أعلى (أقبيل)، ومن هنا يظهر الفرق بين تاقبيلت والقبيلة، فتاقبيلت جزئية تستمد كيانه وماهيتها من وحدة الرقعة الجغرافية التي تسكنها وتدافع عنها ويدعي أهلها الإنتساب المشترك، ولو «كان وهمياً»، في حين أن القبيلة اسما مشتركا وتملك أرضاً محددة لها تقاليدها وعاداتها وأعرافها ومؤسساتها السياسية ومواسمها وأسواقها... إلا أن وحدتها لا تظهر إلا إذا كانت مهددة من الخارج الشيء الذي يدفعها إلى الدخول في اتحادات وتكوين أحلاف كبرى (اللف)⁸⁰.

تعتبر دراسة جاك بيرك التي قام بها في الأطلس الكبير من الدراسات المهمة للقبيلة في المغرب، وقد ركز بيرك "على الأعمال البحثية التي أنجزها كل من هانوتو ولاتورنو وغوتي وكاريت وبيليسي حول الجزائر ومونتاني حول المغرب، أطلق عليها تسمية «علم الاجتماع الشمال إفريقي»"⁸¹.

79 www.m.ahewar.org/s.asp?aid=386247&r=0 11:30 على الساعة 2018/10/ 13 موقع بتاريخ

⁸⁰ الهادي الهروي، القبيلة، الإقطاع و المخزن -مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1934-1844. مرجع سابق، ص:60

⁸¹ J. Berque «Cent Vingt-cinq ans de la sociologie au Nord African» Annales. Economies, sociétés, civilisations, (1959), P :305-309.

اهتم بدراسة العادات والتقاليد والأعراف والاقتصاد وأيضا التاريخ ثم الايكولوجيا، وقد اهتم بتاريخ القبيلة، وقام بتحليل الوثائق المكتوبة، والرواية الشفوية بما تحمله من أساطير ومعلومات لها دلالات ثقافية. وتوصل إلى أن تاريخ القبائل مرتبط بمجالها الجغرافي والاجتماعي، حيث أن البنيات الاجتماعية مترابطة فيما بينها، تربط بين العام والخاص والمحلي بالشمولي، وبدراسة المجتمع القروي والمجتمع الزراعي وعلاقته مع الوسط الطبيعي، هذا التداخل هو الذي سيعطي الشكل المجتمعي المتميز لقبيلة سكساوة،⁸² فقد توصل الى انعدام نسق قبلي قائم بذاته بل هناك تطابق بين المستوى الطبيعي والبنية الاجتماعية.

يلاحظ نظام اللف غير موجود في سكساوة، "اما فيما يخص اللف الذي وصفه روبير مونطاني واشاد بفعاليته السياسية في حفظ التوازن، فان جاك بيرك، مثله جون دريش، لا يعتقد في عموميته وقاربه،"⁸³ وحيثما يفتقد اللف يلاحظ جاك بيرك تحرك ديناميات أخرى داخل النسق الاجتماعي، ينتج عنه توتر واختلاف يدعم وحدة القبيلة. ويبقى صراع القبيلة من أجل الكسب وتحقيق لقمة العيش لأفرادها هو المسيطر في تفسير تكون التكتلات البشرية.

تبقى محاولات المدرسة الكولونيالية في بناء سوسيولوجيا في شمال إفريقيا، تعثرها مجموعة من النواقص أهمها أنها جاءت بأفكار مسبقة عن هذه المجتمعات، وتقابلات غير منطقية كالحضارة/البداية، التقدم/التخلف، إنسان حضري/إنسان متوحش. وتميزت الدراسات الاثنوغرافية للمدرسة الكولونيالية بخدمتها لأجندة استعمارية. هدفها تحقيق مصالح العسكريين بالدول الاستعمارية، من خلال توجيهها للقيام بدراسات محددة، تسهل التغلغل في دول شمال

⁸² J. Berque «lesseksawa» recherches sur les structure sociales du Haut Atlas occidental» Paris, 1954, P:174

⁸³ Jean célerier. «Communication à la sociologie du haut- Atlas d'après Jacques Berque». Communication. In. Hesperis . Tome XLIII, 1956, 1^{er} et 2^{ème} Trimestre. P.210

إفريقيا، والتركيز على العرق كوحدة معينة يفصل العرب عن البربر، وإعطاء أحكام قيمة على العرق ونقاوته.

(3) التصور الانقسامي للقبيلة:

استحوذت النظرية الانقسامية على البحوث التي تهتم بالقبيلة منذ عقود ولظاهرة القبيلة، ورغم تأثرها بالاتجاه الكولونيالي في تحليل المكانزمات الداخلية للقبيلة. فقد تميز "التحليل الانقسامي بحيويته في تبسيط المعطيات واستخدام الرسوم البيانية والرموز والإشكال التخطيطية، فضلا عن استعمال الإحصاءات والمقارنات. وقد سعت الانقسامية إلى استعادة دراسة بعض المجالات التي عالجتها المدرسة الكولونيالية وإعادة نشر بعض كتاباتها (نشر كتاب مونتاني بالإنجليزية 1983).⁸⁴ فقد سعت إلى تحليل العناصر والميكانيزمات المتحركة في القبيلة وفي أجزائها، لتتبع الانقسامية القبيلة كشجرة لها جذر واحد مع استمرار توالد الفروع، "الذي يؤدي خلق أوليه أو ميكانيزم الانشطار والتي ترافقها في نفس الوقت أوليه معاكسة هي إولية الانصهار، كلما كان هناك تهديد خارجي"⁸⁵.

يعتبر دوركايم "هذه المجتمعات إنها عديدة الأجزاء (انقسامية) لكي نشير إلى أنها تتألف كتل متشابهة في ما بينها كحلقات الدود، و نقول عن هذه المجموعات عشيرة (Clan) لأن هذه الكلمة تعبر تعبيراً جيداً عن طبيعتها المختلفة العائلية و السياسية معاً، إنها عائلة، بمعنى أن كل الأفراد الذين يؤلفونها يعتبرون أنفسهم أقرباء لبعضهم بعضاً، وهم في الحقيقة في أكثرهم أقرباء بالدم، وهذه الوشائج التي تنشأ وحدة الدم هي الأساس الذي

84 المختار الهراس، التحليل الانقسامي للبنيات الاجتماعية في المغرب العربي: حصيلة نقدية، في: محمد عزت حجازي (وآخرون)، نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية الراهنة، سلسلة كتب المستقبل العربي، 7' الطبعة 2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1989، ص: 265.

85 محمد ضريف، مؤسسة السلطان الشريف في المغرب، محاولة في التركيب، إفريقيا، 1988، ص: 86.

يجمع بينهما⁸⁶. فالقبيلة "هي عبارة عن تكديسات بشرية فيما بينها"⁸⁷، و"هي العشيرة المتوطنة في شكل القرية (الجماعة أو Thadart)، وتؤلف بضعة من هذه الجماعات، عشيرة (arch، Tribu)، كما تؤلف جملة من القبائل إتحاداً هو: K (Thak' ebilt) وهذا أرقى جماعة سياسية تعرفها هذه القبائل.⁸⁸

تتميز القبائل في المجتمعات العربية بالاختلاف في الحجم والقوة، ويؤثر مبدأ الانصهار والانشطار على التوازن داخل القبيلة، فكلما استمر مبدأ الانصهار بين أفراد القبيلة، ينتج عنه التضامن والتكافل بين عناصر القبيلة للمواجهة الأخطار الخارجية، وهذا المبدأ يسود في حالة السلم حسب الإتجاه الإنقسامي، أما مبدأ الانشطار فيظهر في أوقات السلم، حيث يتحول الصراع إلى فروع القبيلة.

أما ريمون جاموس R. JAMOUS فقد قام بدراسة "المعالم الثقافية لأحدى المجتمعات القبلية المتمركزة بالشمال (الاقليويون)، وهو في ذلك يهدف الى الكشف عن طبيعة البنيات المجتمعية والنسق القيمي المنظم للعلاقات التي تربط بين الأفراد والمجتمعات"⁸⁹، وسكان هذه القبيلة البربرية يميلون الى تملك الأرض حتى أنهم يفضلونها على أقربائهم، "التشبت بالأرض أقوى وأشد عندهم من عامل القرابة"⁹⁰. كما أكد على ضرورة امتلاك الأرض من أجل الظفر بمكانة مرموقة داخل القبيلة يؤهل الفرد من تأثير في القبيلة وقراراتها. هذه الأسس في بناء القبيلة التي حاولت الانقسامية معالجتها، لها تأثير مباشر في تطور

86 إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة: حافظ الجمالي، مجموعة الروائع الإنسانية، الأنيسكو (السلسلة العربية)، بيروت، الطبعة الثانية، 1986، ص:203/202.

⁸⁷E. Durkheim، **Division du travail social**، P.U.F 1967 ، 8ème éd . P :15 .

88 إميل دوركايم، في تقسيم العمل الاجتماعي، ص: 205/206.

⁸⁹ الهادي الهروي، لقبيلة، الاقطاع و المخزن " مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1934- 1844، مرجع سابق ص:59.

⁹⁰ R. JAMOUS، **Honneur et Braka : Les structure sociales traditionnelles dans le Rif**. Ed. de la maison des sciences de l'homme، Paris، 1981، P :56

العصبية لدى افراد القبيلة فرابطة الدم والشعور بالانتماء الى جد واحد، ثم الارتباط بالأرض عوامل تتركز الوازع العصبي للقبيلة.

ويمكن أن تقوم القبيلة حسب الاتجاه الإنقسامي على مجموعة من الخصائص يمكن إجمالها في:

- "هيمنة النسب الأبوي على المجتمع، وتنعكس على العلاقات القرابية في مستوى المجال الجغرافي لأن لكل قبيلة موطنها وجدها.
- مبدأ الإنصهار والإنشطار.
- غياب التراتب الإجتماعي الدائم.
- بروز بعض الفاعلين بشكل استثنائي وقيامهم بدور تحقيق التوازنات، مثل «الصلحاء» و«الأعيان» ولعب دور ضمان الحدود.⁹¹

وقد تعرضت الانقسامية لمجموعة من الانتقادات، بفعل تجنبها الحديث عن تراتبية اجتماعية داخل القبيلة. منها من السوسيولوجي عبد الله حمودي⁹²، الذي اعتبر فكرة المساواة ايدولوجية للقبيلة تخفي ورائها مظاهر اللامساواة بين أفرادها، حيث أقر كيلنر بوجود أعيان يقومون بالتحكم في أوقات النزاعات. وقد ركز على رابطة الدم كمحدد اساسي في العلاقات داخل القبيلة، وهذه من مواصفات المجتمعات الانقسامية "ان جميع الأوصاف التي تبثت صحتها بالنسبة لمجتمعات متشابهة في مناطق، تنطبق إلى حد ما على هذه القبائل"⁹³ أي قبائل الأطلس الكبير.

⁹¹محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مجع سابق، ص: 44.

⁹²A. Hammoudi، « sainte، pouvoir et société : Tamgrout au XVII – XVII Siècle »، Annales ، mai/aout n° 3/2 P :622

⁹³E. Gellner. **saint of Atlas** . LONDRES، Weindenfeld and Nicolloson، 1969، P :26 .

المبحث الثالث: تطور مفهوم العصبية القبلية من خلال الدراسات حول الصحراء.

أ) بالنسبة للأجانب:

1) مساهمة خوليو كاروبروخا (1914-1995):

اهتم الباحثون الإسبان بالصحراء في كتاباتهم الكولونيالية، لأنها المستعمرة الإسبانية ثم قريبة من جزر الخالدات⁹⁴، وهذا يجعلها امتدادا للمد الاستعماري الإسباني في إفريقيا، و تتوفر سواحل الصحراء على ثورة سمكية طالها الإهمال من طرف السكان المحليين. ومازالت الدراسات الكولونيالية حول الصحراء لم تحظى بأهمية لدى الباحثين في الثقافة الصحراوية والمجتمع الصحراوي، حيث تتناول النظام الاجتماعي بالصحراء المؤسس على القرابة والنسب وأشكال الحماية ثم نمط العيش البدوي. ومن أهم الدراسات الانتروبولوجية الإسبانية بالصحراء دراسة الباحث الانتروبولوجي كاروباروخا الصادرة سنة 1955.

"أتم باروخا دراسته في فترة قصيرة لم تتجاوز خمسة أشهر (تشرين الثاني/نوفمبر 1952-أذار/مارس 1953)، وتتنقل خلال فترة عمله الميداني بين مناطق عدة من الصحراء (ما بين إفني والطرفاية والعيون والسمارة وبئر كندوز)، وتمكن من الإطلاع على سجلات السلطات الإسبانية وأرشفها في المنطقة"⁹⁵. كان "لا يضيع الوقت، ويعمل بشكل مكثف، يستمر من التاسعة صباحاً إلى التاسعة ليلاً، مع انقطاعات قليلة، كنا نرغب في الاستفادة من كل شيء سواء تعلق الأمر برجل أو طفل يقدم طعاماً"⁹⁶ الذي كان متميزاً في جمع المعلومات الانتروغرافية. والملاحظة الدقيقة ثم الاستعانة بالرواية الشفوية في جمع

⁹⁴ Manuel Vidal, *crónicas el sáhara desde canaria*, Ensayos Sahianos, 2019.

⁹⁵ محمد سبي، الكتابات الإستعمارية الإسبانية بشأن الصحراء الأطلسية، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد: 17، صيف 2016، ص: 213.

⁹⁶ Julio Caro Baroja, *Estudios saharianos* (Madrid: Consejo Superior de Investigaciones Científicas, Instituto de Estudios Africanos, 1955، 1

المعطيات حول التاريخ، الأحداث، العادات والمعتقدات. هذه التقنيات التي اعتمدها في دراسته تنطبق على مجتمع له معطيات تاريخية، من أجل جمعها لابد من الاستعانة بالملاحظة المباشرة والرواية الشفوية.

بدأ دراسته بنظام القرابة بالصحراء معتمداً على دراسة اغنس برتشارد في دراسة القرابة حول قبائل النوير بجنوب السودان، حيث لاحظ استعمال أهل الصحراء "بن" بدل "ولد" تفيد الانتماء إلى الرجل وحمل اسمه، وتطرق بالتفصيل إلى أسماء الأقارب في المجتمع الصحراوي. وتقارب هذه الأسماء مع الأسماء الأمازيغية "مهما حاول السكان الصحراء الغربية أن يضيفوا على أنفسهم أصولاً عربية، فكثير ما يظهر عنصر أمازيغي بنسبة كبيرة في أسماء الأشخاص وأسماء سلالات إلى غير ذلك"⁹⁷. فالابن يلجأ إلى أخواله من أجل طلب الحب، فالأخوال مصدر للحنان والرأفة والحب في الصحراء، "إلي خاف اكييس اعمامو والي جاع اكييس اخوالو"⁹⁸، وقد اعتبر القبيلة وحدة اجتماعية قارة تتميز بانحدار غالبية أعضائها إلى مؤسس واحد ومنحدر من نسب معروف. وقد أعطى مثلاً من قبيلة أولاد تدرارين ليبين العلاقة بين الأفخاذ والنسب.

لينتقل إلى مفهوم الدية ودوره في بناء العلاقات بين قبائل الصحراء وأفرادها، وطريقة أدائها في حالة الدم حيث التعويض المتفق عليه 100 رأس من الجمال، هنا يبرز دور العصابة في أداء الدية ونظام القرابة في المجتمع الصحراوي، وتأثيره على نظام الأنساب كعصابة فرد للفرد أو جماعة للجماعة، الذي يضمن نفس الحقوق والواجبات للأفراد

⁹⁷خوليو كاروبروخا، دراسات صحروية، ترجم: أحمد صابر، تقديم: رحال بوبريك، مركز الدراسات الصحراوية، الطبعة: 2015، ص: 52.

⁹⁸مثل صحراوي: من أراد الحماية يلجأ إلى اعمامه و من أراد الأكل يده بالي أخواله.

والجماعة العصابية. والتي تتكفل "الذبيحة والتعريكية وأهميتها عند دراسة أعراف القبائل والجرائم التي تعوضها هذه أو تلك"⁹⁹.

يعتبر دور الجماعة محوريا في التشريع، لكل قبيلة أعرافها وقوانينها يفرض على جميع مكونات القبيلة احترامها، وتكون الجماعة الساهر على تنفيذها واحترامها، وفي الغالب مصدرها الشرع الاسلامي، وقد اشار الى أهمية الشيخ كشخصية تحظى بالاحترام والثقة والتقدير في المجتمع الصحراوي. ومن هذا المنطلق يثير كاروبروخا مفهوم البركة وارتباطها بأشخاص ذوو علم وشرف، وهناك عائلات ورثت هذه الصفة أباً عن جد. لينتقل الى اقتصاد الصحراء المعتمد على تربية الماشية وخصائص البيئة والنباتية لمختلف جهات الصحراء "قد يخطئ القائل في اطار الدورة الرعوية بأن الحياة على امتلاك الماشية هو عبارة عن اقتصاد مغلق ذلك أن إحدى مظاهر المجتمع الصحراوي الأكثر بروزا هي قوة تجارتها"¹⁰⁰. وذلك مرتبط لما توفره من ثروة مادية للصحراويين، وقد لاحظ أن كبار التجار من "أهل كتب" أو "الشرف"، في المقابل يتم تبخيس الأعمال اليدوية التي يقوم بها فئة "المعلمين".

يحظى نمط العيش لدى الرجل بمميزات أهمها الخيمة، والشعير والحليب كعناصر أساسية في التغذية، وقد وتوصل **كليمانتي**¹⁰¹ أيضا؛ "أن الزراعة غير موجودة بالصحراء وان وجدت فهي محصورة في قطع متفرقة يتم زرعها بعد تهطل المطر، وهي أماكن تدعى "لكرار" سرعان ما يهملها الأهالي بعد ان يحصدوا الحبوب ووضعها في أوعية خاصة"¹⁰².

⁹⁹ خوليو كاروبروخا، دراسات صحراوية، مرجع سابق، ص: 71.

¹⁰⁰ نفس المرجع، ص: 151.

¹⁰¹ Clemente Mulero Manuel. **Los Territorios españoles del Sahara y sus grupos Nomadas**, el Siglo, las palmas, 1945.

¹⁰² محمد دحمان، سيدي ايفني الساقية الحمراء و وادي الذهب في الكتابات الاسبانية (1934-1950)، الطبعة: 2015، مطابع الرباط نت، ص: 83.

بحث كاروبروخا في أصول القبائل ثم وصفه الدقيق لمظاهر حياة الرحل في الصحراء ويؤكد الأستاذ رحال بوبريك "الذي ينتمي إلى المنطقة عاملا مساعدا منح هذه الدراسات نوعا من الخصوصية من الناحية العلمية والجرأة في تناول الموضوعات في منأى عن الاكراهات التي يعاني منها الباحث المحلي"¹⁰³. وقد اعترف كاروباروخا بالاكراهات التي تلازم هذا البحث الميدان واعتماده على بيوغرافية مهمة للمنطقة والكثير منها فرنسية.

(2) مساهمة بيير بونت (1943-2013م):

يعرف الباحث والانتروبولوجي الفرنسي Pierre Bonte (1942-2013)، بدراسات ضخمة عن سكان الصحراء، وقد وضع أطروحات عديدة حول أصول المجتمعات البيضانية من خلال دراسات ميدانية في الصحراء الكبرى. ويعد بونت أحد كبار الإناسيين وهو صاحب كتاب "الساقية الحمراء: مهد ثقافة الغرب الصحراوي"¹⁰⁴.

إن "حياة الرحل الرعوية نموذج لغنى الثقافة المعرفية للصانع لدى قبائل الصحراء الغربية، لكن تبقى الانتاجات الصناعية ضعيفة"¹⁰⁵ لأنها تقتصر على الحماية والضيافة، فالمجتمع القبلي يهتم أكثر بالضيف، حتى يكون خير سفير لها عند مجتمع الصحراء. ويهتم أيضا بالأدب كمكون أساس في ثقافة البيضان من خلال الشعر الحساني، الذي يمجّد مجال وقبائل وشخصيات بعينها، لدرجة "أن أولياء الساقية الحمراء مؤسسي بعض القبائل الكبيرة الحالية، يتوافق التراث الشفوي الكتابي عنهم مع التاريخ المحلي"¹⁰⁶ كسيد أحمد الركيبي

¹⁰³ خوليو كاروبروخا، دراسات صحراوية، ص: 17-18.

¹⁰⁴ Pierre Bonte « LA SAQIYA AL HAMRA Berceau de la culture ouest-saharienne » Préface : Hassan Alaoui, Mohammed An-Naciri. Publié : AGENCE DE SUD, 2012.

¹⁰⁵ Pierre Bonte « LA SAQIYA AL HAMRA Berceau de la culture ouest-saharienne », P : 165.

¹⁰⁶ Ibid., P : 173.

وسيد أحمد العروسي، وارتباطهم بالبلدان العربية الإسلامية إذ أن "12 وليا من أصول الساقية الحمراء مروا من ليبيا وتونس قبل أن يستقروا في المنطقة"¹⁰⁷.

تعتبر منطقة الساقية الحمراء منطقة الأولياء والشرفاء بامتياز، فحياة الرحل تقوم على تقديس الأولياء والشرفاء. حيث تنتشر الزوايا والأضرحة التي يصل تأثيرها السياسي إلى المغرب العربي، فكل قبائل الساقية الحمراء لهم زوايا خاصة بهم. وقد أشار بيير بونت إلى مناطق استيطان القبائل في الساقية الحمراء والأصول التاريخية، وقد انتقلت قبائل تكنة إلى الساقية الحمراء بفعل الموقع الاستراتيجي، ففي القرن 19 أصبحت موقع الساقية الحمراء مؤثرا في التجارة العالمية. هذه الاهتمام من طرف المخزن والدول الأوروبية بالمنطقة تسبب في "حروب بين القبائل في "الصحراء الصغرى"¹⁰⁸. وأشار بونت إلى أهمية تأسيس الإتحاد القبلي بالصحراء ودوره في "ممارسة الهيمنة على الموارد الرعوية، والتحكم في المناطق الرعوية ونقط الماء"¹⁰⁹. وهذه الأهداف وسعت من نسبة التحالفات القبلية بالصحراء، يظهر ذلك من خلال لف الركييات ولف أيت عثمان و أيت الجمل الذي يجمع بين البربر والعرب في إتحاد تكنة.

ت) بالنسبة للمغاربة:

1) مساهمة مصطفى ناعمي:

تعتبر الدراسات الانثروبولوجية حول الصحراء للباحث مصطفى ناعمي من أهم الدراسات المنجزة من طرف الباحثين المحليين. فتكوينه في التاريخ وثقافة قبائل الصحراء والسمعة الطيبة التي يحضى بها في المنطقة كباحث، وإشرافه على مجموعة من البحوث

¹⁰⁷Ibid.،P : 184.

¹⁰⁸Ibid.،P :212 .

¹⁰⁹Ibid.،P :214 .

أهمها الدراسة التي تهتم بالانتماء القبلي والمجالي لقبائل الركييات، من خلال مراقبة المجال وعلاقتة بتربية الماشية، وعلاقة الأصل الشريف بتطور قبائل الركييات.

"انطلق من علاقة سلالية بيولوجية بين سيدي أحمد الركيبي وأبنائه كجماعة دموية تجسد النواة الأولى للقبيلة"¹¹⁰. والامتداد القرابي للركييات من خلال مصاهرة بعض أبنائه للقبائل صنهاجة، وبناء العصبية القبلية لمواجهة قبائل الصحراء وتأسيس تحالفات من أجل حمل السلاح، حيث أن الركييات دخلت في حروب كثيرة مع اغلب قبائل الصحراء من أجل التمدد في المجال الصحراوي. "فالمجال الترابي المكتسب عن طريق الحروب عبر التاريخ حوالي 400.000KM"¹¹¹، بفعل "التطور الديمغرافي الركيبي واستعابهم للكبر قدر من الدخلاء"¹¹². في المقابل لم يشكل ذلك خطرا على اتحاد تكنة الذي يتكون من 12 قبيلة منقسمة على أيت عثمان وأيت الجمل، حيث "قطن رحل تكنة مع الركييات في الساقية الحمراء ثم التيرس مع أولاد دليم"¹¹³.

يعتبر واد درعة مكان لتصدير الذهب والفضة جعل من قبائل تكنة قوة اقتصادية وسياسية في الصحراء، بفعل سيطرتها على المسالك الصحراوية التي تنطلق من واد دراعة. وهذا ما جعل "كلمة تكنة تعني اسما شموليا ومصطلحا لإجماع قبلي لم يعثر له على أي تحديد مجالي مدقق"¹¹⁴، وهناك قبائل داخل اتحاد تكنة أمازيغية و خير دليل "قولة اخر

¹¹⁰ محمد سالم بن لحبيب بن لحسن بن عبد الحي، جوامع المهمات في اصول الركييات، تحقيق تقديم: مصطفى ناعمي، اشرف المعهد الجامعي للبحث العلمي - الرباط- الطبعة 1992، ص: 15.

¹¹¹ Mustapha Naimi « L'Ouest Saharien La perception de l'espace dans la pensée politique tribale ». KARTHALA، 2013، Paris. P : 107.

¹¹² محمد سالم بن لحبيب بن لحسين بن عبد الحي، جوامع المهمات في امور الرقييات، مرجع سابق، ص: 58.

¹¹³ Mustapha Naimi « L'Ouest Saharien La perception de l'espace dans la pensée politique tribale ». P : 100.

¹¹⁴ مصطفى ناعمي، الصحراء من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية و السياسية، منشوات عكاز، 1998، ص: 135.

رؤساء ايت اوسى - القائد محمد ولد الخرشي - معبرا عن تقديره واحترامه لايت براهيم شلوح ولكنهم محاربون واخوان لنا¹¹⁵. هذا التمازج الفريد بين قبائل تنتمي الى اصول امازيغية وأخرى عربية داخل ائتلاف تكنة، نتج عنه الولاء لهذا الاتحاد والدفاع عنه والتعصب له. وقد لاحظ ناعمي من خلال دراسته لاتحاد تكنة الدور الذي تلعبه الجماعة والقائد في أمور القبيلة، وضرورة الاجماع في شؤون القبيلة مع الحفاظ على العادات والتقاليد القبلية ذاتها.

اشتغل على الزوايا ودورها في التأطير الديني لقبائل الصحراء، ومكانة قبائل الزوايا في المجتمع الصحراء، لكن "ثبت سيطرة حسان على مجتمع الزوايا"¹¹⁶، و"الزوايا ضمنت للمحاربين مراتب عليا في السلم الاجتماعي والسياسي"¹¹⁷، وبفعل الصراعات والحروب بين القبائل وظهور العصبية بين افراد كل قبيلة دفع بعض الزوايا إلى حمل السلاح، للسيطرة على المجال ساعدهم على ذلك "وظيفتهم المرتبطة بالزراعة واحتكارهم للتوثيق والمرجعية القانونية الشرعية"¹¹⁸، وتعتبر الركيبات نموذج قبائل الزوايا التي انتقلت الى قبيلة محاربة.

(2) مساهمة رجال بوبريك:

يعتبر الباحث رجال بوبريك من الجيل الأول، من الباحثين الذين ينتمون إلى المنطقة، الذين تابعوا دراستهم بالخارج، حيث أكتسب من خلال تكوينه الأكاديمي، أدوات البحث الأنثروبولوجي وطرق البحث في جمع المعلومات الأثنوغرافية مباشرة من الميدان، وأعتمد في

¹¹⁵ نفس المرجع ، ص:140.

¹¹⁶ رجال بوبريك، زمن القبيلة السلطة و تدبير العنف في المجتمع الصحراوي، مرجع سابق، ص: 129.

¹¹⁷ Mustapha Naimi « L'Ouest Saharien La perception de l'espace dans la pensée politique tribale »، p:28

¹¹⁸ الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي الوافي و عبد الله بن سيد محمود الحاجي، الرسالة الغلاوية رسالة في نسب الدلاح الشرفين، تحقيق: حماد الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الافريقية، 2003، ص: 108.

جمع المادة الأثنوغرافية على الملاحظة المباشرة ودراسة الحالة وتاريخ الحياة وتاريخ الحياة وغيرها من الطرق.

إهتم الباحث رحال بوبريك بالتاريخ السياسي بالصحراء الأطلنتية، ودور التاريخي لقبائل الصحراء في مواجهة الإستعمار الفرنسي والإسباني، حيث "كانت ساكنة الصحراء بحكم الارتباط التاريخي بالشمال، أول من ربطت الاتصال مع القصر والقوى الوطني، التي يمثلها جيش التحرير بالجنوب آنذاك، من أجل طلب المساعدة العسكرية لطرد المستعمر من الصحراء، سواء منها الواقعة تحت الإستعمار الإسباني أو تلك الواقعة تحت الاستعمار الفرنسي (تندوف وموريتانيا)،"¹¹⁹ وعمل على دراست الوثائق التي تثبت العلاقة الدولة العلوية وقبائل الصحراء.

يعتبر مؤلف زمن القبيلة من المؤلفات التي حاول الباحث الإجابة على مجموعة من الأسئلة، حول القبيلة والنظام المسير لها، وقد حاول الباحث دراست القبيلة من مختلف الجوانب، والمؤسسات التي تتحكم فيها، وقد قام بتتبع الفوارق بين الجماعة وأيت أربعين، والميكنيزمات المتحكمة في تدبير شؤونها الداخلية، والسلطة السياسية لجماعة، "وقد تصل إلى 200 إلى 300 خيمة. وتستقر الجماعة في الفريگ الكبير والتي تسمى آيت لرربعين."¹²⁰

يبين الباحث الدور الإجتماعي والسياسي للعرف والدين والعصبية في الحياة البدو، وتأثيرهم في العلاقات القريبة بين أفراد القبيلة، والنظام الداخلي والخارجي للسلطة السياسية للقبيلة، حيث وقف على تاريخ العرف في مجتمع البيضان، من خلال دوره في حقبة

¹¹⁹ رحال بوبريك، جيش التحرير وعملية إكفيون، تنسيق: رحال بوبريك، مدخل إلى تاريخ الصحراء الأطلنتية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2010، ص: 167.

¹²⁰ رحال بوبريك، زمن القبيلة السلطة و تدبير العنف في المجتمع الصحراوي، مرجع سابق، ص: 27.

الإستعمار الفرنسي لمنطقة واد نون، وكيف إعتمد على العرف كنظام قضائي يستمد قوته من الشرع لتسيير شؤون القبيلة.

حاول الباحث رجال بوبريك دراست قبائل الصحراء وفق مقاربة شمولية، تعتمد على التاريخ القبيلة والصحراء، فقد تناول إنعكاسات التدخل الاجنبي بالمجال البيضان، وتأثيرها على نمط الترحال السائد في الصحراء، وامتداد ثقافة البيضان في المنطقة رغم التقسيم الإستعماري للمنطقة، وثم وقف على دور الفعّال للتجارة بالصحراء، وخط سير القوافل التجارية، التي كانت تربط الصحراء بإفريقيا.

(3) مساهمة محمد دحمان:

يعد الباحث محمد دحمان من الباحثين السوسيوولوجيين الأوائل، الذين يتمتعون الى منطقة الصحراء، والذين تمكنوا من متابعة دراستهم في الجامعات المغربية. حيث عمل على دراسة أنماط الترحال بمجتمع الساقية الحمراء وواد الذهب، وفق مقاربة علمية واضحة، حيث استطاع الحصول على مجموعة من الوثائق والمخطوطات التي تتحدث عن فترات تاريخية معينة، فضلا على قدرته على توظيف مجموعة من القدرات الذاتية والمكتسبة مناخاكة بالبحث العلمي.

قام الباحث دراسة القبائل الصحراوية، وهي "وهي تلك المجموعات التي تترحل في صحراء المغرب إنطلاقا من واد نون إلى حدود واد الذهب جنوبا، والممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى تغوم حمادة تندوف ومنطقة كلتة زمر شرقا"،¹²¹ حيث انكب الباحث على دراسة هذا المجال، ودراسة التحولات الثقافية والاجتماعية والتجارية والسياسية بهذه المناطق، دون الإغفال التقاليد والعادات السائدة بهذه المناطق.

¹²¹ محمد دحمان، القبائل الصحراوية بمنطقة الغرب دراسة سوسيو-تاريخية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ابن طفيل، بالقنيطرة، العدد 9- 2009، ص: 215.

تعتبر الأبحاث التي قام بها الباحث محمد دحمان حول ظاهرة الترحال الإستقرار، من الأبحاث الجديرة بالبحث والتمحيص بمجتمع الصحراء الساقية الحمراء وواد الذهب، حيث يرصد مختلف التحولات الاجتماعية والإقتصادية والسياسية التي عرقتها قبائل هذه المناطق، وقد عمل على قبيلته " أولاد أبي السباع"، التي هي نموذج لأغلب القبائل بهذه المناطق من المغرب، التي مرت بمرحلتين في نمط العيش، وتميزت قبيلة أولاد أبي السباع "بألانتاح وسرعة الاندماج الاجتماعي والاقتصادي مما أهلهم ليكونوا من أول القبائل التي تعاملت مع الأجانب تجاريا، واستفادة من أساليب الحياة العصرية حيث اندمجوا في المؤسسات الحديثة، بكل من الصحراء وموريتانيا والمغربوتكيفوا مع الإقتصاد الزراعي ثم الصناعي حاليا." ¹²²

أتيحت للباحث الوقوف عند الإمتداد المجالي للقبيلة أولاد أبي السباع، والتحولات التي عرفت هذه القبيلة الممتدة على عدة دول، وهذا يجعلها على إختلاف مع بعض القبائل التي تنتسب إلى منطقة ومجال معين، فهناك إختلاف بين أفراد القبيلة في المغرب مع أفرادها بموريتانيا، وذلك راجع إلى نمط العيش الذي يحكم هذه البلدان، والتحولات التاريخية والدينية والاجتماعية التي عرفت شعوب هذه الدول منذ الإستقلال عن المستعمر.

(4) مساهمة محمد شريمي:

يعد الباحث محمد شرايمي من أول الباحثين الذين اشتغلوا على ظاهرة التمدن بالصحراء المغربية، حيث عمل على دراسة تاريخ نشأة المدن بالجنوب المغربي، ويعد مؤلفه " المدن الصحراوية النشأة والتطور" من المؤلفات القليلة التي تناولت موضوع التحضر بالجنوب

¹²² محمد دحمان، القبائل الصحراوية بمنطقة الغرب دراسة سوسيو-تاريخية، المرجع السابق، ص: 218.

المغربي، وطلبت هذه الدراسة من الباحث العمل على تاريخ نشأة كل مدينة بها، وتعد هذه المدن المراكز الحضرية الأولى التي جذبت الإنسان بالصحراء من أجل الإستقرار بها.

قام الباحث بالإعتماد على مصادر أجنبية، تحدثت عن تاريخ مدن وهي: آسا، كلميم، الداخلة، السمارة، الطرفاية، سيدي افني، العيون، طانطان، وبوجدور. ويأتي إعتماد الباحث على الدراسات الأجنبية، راجع إلى دور الإستعمار الفرنسي والإسباني في تأسيس اللبنة الأولى لظاهرة التمدن بالصحراء، من أجل تشجيع البدو على الإستقرار، مما يسهل على القوات الإستعمارية مراقبة تحركات البدو والسيطرة عليهم.

تعد ظاهرة التمدن بالجنوب المغربي م الظواهر التي تتطلب الكثير من الدراسة والفحص، وقد حاول محمد الشرايمي دراسة الظاهرة من جوانب وسياقات عديدة، ويهدف من هذا إلى توضيح التأثيرات الإجتماعية والأقتصادية والثقافية لظاهرة التمدن بالجنوب المغربي، وبالتالي فالظاهرة لا يمكن فصلها عن التحولات التي عرفتتها الصحراء في حقبة تاريخية معينة، و نعرف؛ أن الظاهرة في مرحلة الإستعمار كانت عشوائية، تهدف إلى تحقيق مصالح المستعمر، في غياب تام لرؤية مستقبلية لظاهرة من طرف المستعمر.

ساهمت الدولة في ظاهرة التمدن بالجنوب المغربي، وفق سياسية عمرانية تلبي متطلبات السكن اللائق وتحقق النموذج التنموي المقصود لهذه المنطقة، حيث عرف التمدن مجموعة من التحولات سوسيولوجية وثقافية، ساهم في ترسيخ العديد من السلوكات الحضرية، وقد "أحدث تحولا حقيقيا في ثقافة البدو المستقرين أو «السكان الجدد لمدن الصحراء الجديدة»"¹²³ والتخلص من التقاليد والعادات البدوية.

(5) مساهمة ابراهيم الحيسن:

¹²³ محمد الشرايمي، المدن الصحراوية النشأة و التطور، طوب بريس، الرباط، 2015، ص: 166.

يعد الباحث ابراهيم الحسين من الباحثين الأوائل الذين اهتموا "بالثقافة الصحراوية"، "هذا المشروع الثقافي الذي شغله ونذر نفسه له، وما فتئت إصداراته المتواصلة فيه تُعني المكتبة التراثية دوماً بالجديج والمفيد... ظلت علاقة هذا الباحث علاقة تواصل وانتماء، تمتد عبر الزمان والمكان، تحقيقاً للذات وتأصيلاً للهوية، إنه يسعى عبر بحثه الدؤوب إلى الكشف عن تجليات هذه الذات متتبّعاً مساراتها عبر فضائها المفتوح، ورأسماً في كل مرة مَلَمَحاً من ملامحها، ومحدداً بعداً من أبعاد صورتها." ¹²⁴

تروم مؤلفات ابراهيم الحسين، رصد جوانب من الحياة الإنسان بالصحراء، وفق مقارنة اثوغرافية وانثروبولوجية لنمط العيش للمجتمع البيضاني، ويعتبر كتابه « الثقافة والهوية الصحراوية رؤية انثروبولوجية حول المجتمع الحساني»، من البحوث التي حاولت مقارنة الهوية الثقافية الحسانية، من خلال العادات والطقوس الدينية ومظاهر الحياة والتراث الشفهي وأشكال ثقافية، تظهر امتداد الثقافة الحسانية عبر التاريخ.

تتميز الثقافة الشعبية الحسانية عند ابراهيم الحيسن، بتفاعل والتأقلم المستمر مع التاريخ والمكان والجغرافية، وهذا راجع إلى قوة البناء البنيوي للعناصر المشكلة للهوية الثقافية الصحراوية، "فالهوية في الثقافة الشعبية الصحراوية مكتفية بذاتها بشكل يجعلها تتعالى على أحداث التاريخ لأنها مبنية على مبادئ التراث، فهي مركب متجانس من الرموز والقيم والعادات والتقاليد والأعراف الشعبية التي تحتفظ بطابعها الخاص والاستثنائي، لذلك فهي هوية وطنية قائمة الذات" ¹²⁵.

¹²⁴ ابراهيم الحيسن، المرأة في الأمثال الحسانية، رَزَقُ لَمَرٍ تَحْتَ كَائِمَتِهِ...، تقديم: مباركة بنت البراء، مركز الدراسات والأبحاث الحسانية، مطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2013، ص: 7.

¹²⁵ أنظر للموقع بتاريخ: 2019/07/22، على الساعة : 11/30، مقال لبراهيم الحيسن:

<http://www.upesonline.info/bodyarticulos.asp?field=articulos&id=718>

تشكل الهوية في الثقافة الشعبية الصحراوية الواجهة الثقافية، التي تكوين الشخصية الصحراوية، وتشكل انطباعاته وميولاته الإجتماعية والنفسية والعقائدية، وتتسم الهوية الصحراوية بامتدادها الجماعي، فالفرد في مجتمع الصحراء مرتبط بالجماعية عاطفياً وفكرياً، وهذا بفعل قوة الهوية الثقافية الصحراوية.

يتضح من خلال المساهمات السابقة؛ والتي حولنا مراعاة جانب التراكم الأنثروبولوجي والسوسولوجي والتاريخي فيها، وتعتبر هذه الأبحاث ملامست موضوع الثقافة من جوانب وزوايا مختلفة، وقد تعددت الأطروحات وتباينة حسب الزمان ومكان الباحث، والإيديولوجية التي ينتمي إليها.

رغم تناول الثقافة من الزوايا مختلفة من طرف الباحثين وبالأخص المغاربة منهم، فإن موضوع الثقافة وتأثيرها على العصبية القبلية، من المواضيع القليلة التي تطرق إليها الباحثين بكثير من التمهيد، عند مجتمع البيضان وفي الصحراء المغربية بالخصوص، حيث تحمل الثقافة الكثير من الرسائل الإجتماعية والرمزية والمعنوية، تأثير على السلوك ونمط العيش لدى الإنسان، مما يجعل الفرد يقبل على بعض الممارسات والسلوكات بطريقة لا إرادية وإنفعالية لها أبعاد ثقافية.

يعتبر التراكم الثقافي للمجتمع البيضاني، مؤثراً في تكوين شخصية الإنسان بالصحراء، فرغم حالة التمدن التي يعيشها أغلب سكان الأقاليم الجنوبية، فإن تأثير "الموروث الثقافي القبلي" مازال حاضراً في العقل الجمعي¹²⁶ للإنسان بالصحراء، الذي يعكس عمق الثقافة الصحراوية وامتدادها التاريخي والإجتماعي، وهذا يجعل الفرد مقيد لتعليمات وتوجيهات القبيلة، بحيث لا يستطيع الفرد الخروج عن عادات وتقاليد المجتمع الذي ينتمي إليه

¹²⁶ العقل الجمعي عند دوركايم.

يتضمن السلوك الفردي في الصحراء دوافع ثقافية، حيث تتأسس الثقافة بالصحراء على البعد الجماعي، وتغيب الفرد في مختلف العادات، والتقاليد، والقيم والشعائر الدينية. وذلك بفعل حضور القبيلة ثم الجماعة وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية، هذا الشعور بقوة الفعل الجماعي على الفرد، جعل الفرد جزءا من الجماعة يتعصب لكل ما يصيب الجماعة.

من هنا سنحاول مقارنة دور الثقافة في تكريس العصبية القبلية، من خلال مجموعة من السلوكات التي يقوم بها الأفراد والجماعات، فالعصبية القبلية تستمد قوتها من خلال مؤسسات اجتماعية ودينية واقتصادية في المجتمع، وهي في نفس الوقت لها امتدادات ثقافية ودينية في مجتمع البيضان، تبين اغلب الظواهر الاجتماعية بالصحراء قدرة العصبية القبلية في التأثير عليه، حيث يتضمن السلوك الفردي ابعاد ثقافية وقبلية.

سنحاول من خلال مقارنتنا لهذا الموضوع أيضاً، تسليط الضوء على دور بعض المؤسسات الاجتماعية والدينية القبلية في التأثير على الفرد، حيث يتبن مستوى تأثير سلطة هذه المؤسسات على سلوك وقرارات الأفراد، رغم مستوياتهم الثقافية والاجتماعية، وهنا يجد الفرد نفسه بين إرضاء القبيلة والنسوى الثقافي الذي وصل إليه، هذا الصراع الداخلي لا يتوقف عند الأفراد بل يصل إلى مستوى صراع خارجي مع الأفراد الذين ينتمون إلى قبائل أخرى، وذلك من أجل توسيع نفوذ القبيلة السياسية الاجتماعية والاقتصادية.

خلاصة:

عند الحديث عن مفاهيم كالثقافة والعصبية والقبيلة، نجد صعوبة في تعريفها وذلك راجع إلى الامتداد الثقافي لهذه المفاهيم، فقد ظهرت مع ظهور الإنسان وتطورت مع تطوره، وهنا الباحث يجد صعوبة في تحديد التعريف المناسب حسب المراحل التاريخية للإنسان وملاءمتها مع المجتمع المدروس.

من خلال اطلعنا على دراسات مجموعة من الباحثين، أدرجنا أهم الدراسات للتنظيمات السوسولوجية كالقبيلة وعلاقتها بالثقافة في المجتمعات العربية، ثم بالمغرب كموضوع للدراسة، وقد اهتمت بدراسة القبيلة وتأثيرها في بناء المؤسسات الاجتماعية ما بعد الاستقلال.

إن الأطروحات التي تناولت القبيلة بالصحراء، تعتبر قبائل الصحراء من القبائل البدوية التي تستند إلى قوانين العرف وأيت الأربعين في تقليص العصبية القبلية، وقد اعتمدت على الأطروحات الانقسامية التي ركزت على التضامن الآلي.

الفصل الثاني: آليات الوظيفية لاشتغال مؤسسة القبيلة.

مقدمة:

يظهر أن القبيلة تستند إلى معطيات تاريخية في صيرورتها، والواقع التاريخي يؤكد أن العصبية القبلية تستمدّها من "الأسلاف وامتلاك الأرض والثروات المادية ومراقبة الأشخاص المماثلين للأعداء الخارجين، والتلاعب بالرموز والطقوس، وتنطوي هذه الممارسات أصلاً على العداء والمنافسة والنزاع"¹²⁷. إن القبيلة كتنظيم اجتماعي يقتضي مجموعة من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، يسهل الحياة القبلية لأفرادها لكي تكون قادرة على مقاومة مناخ الصحراء القاسي، لهذا تقوم بمجموعة من الإجراءات للحفاظ على القوت اليومي للفريك، والمحافظة على قيم القبيلة، والانتماء إلى القبيلة في المجتمع الصحراوي صفة مميزة لأفراد، حيث الشعور بالانتماء للصحراء ينطلق من الانتماء للقبيلة، فعلاقات الدموية تولد الإحساس بالأمان في هذا المجال المخيف.

¹²⁷ جورج بلاندييه، الانثروبولوجيا السياسية "منشورات مركز الإنماء القومي، الطبعة الأولى، بيروت 1986، ترجمة: جورج أبي صالح، ص: 69.

المبحث الأول: دور آليات الثقافية في تحديد نظام القبيلة.

1) مجال ثقافة الصحراء

أسهم مجال ثقافة الصحراء في تركيز العصبية وتوسيع نطاقها من خلال العديد من العوامل الموضوعية. فهو "كيان مرجعي هو الهوية الثقافية، اللغة والتقاليد ومجموعة من الأنساق تتقاسمها قبائل المستوطنة في هذا المجال"¹²⁸.

من خلال المؤرخين نعرف أن قبائل بني معقل قد وصلت إلى المغرب أواسط القرن 12هـ، و"استغلت قبائل الرحل بالجنوب الشرقي مثل قبائل زناتة وقبائل بني معقل، ظروف ضعف الدولة الموحدية بعد هزيمة معركة العقاب سنة 609هـ/1212هـ وتهافت الأمراء من عبد المومن على السلطة، فاندفعت في عمليات غزو واسعة نحو المناطق الداخلية من المغرب، وهكذا اندفعت قبائل بني مرين الزناتية نحو الشمال المغرب تمهيدا للاستيلاء على الحكم بالبلاد. أما قبائل بني معقل فقد استغلت اندفاع القبائل الزناتية نحو الشمال المغرب، فحلت محلها في تعمير الفيافي الصحراوية"¹²⁹ "وقد سكن أفريقيا ثلاث قبائل عربية هم: حكيم وهلال ومعقل، وقد تفرع عن:

- معقل: مختار وعثمان وحسان.
- حسان: حسان وذوي عبيد الله.
- ذوي حسان: دليم، الادواية، البرابين، الحامنة احمر"¹³⁰.

يمتد مجال ثقافة قبائل الصحراء "من الجزء الأقصى من المغرب الإفريقي، حيث ميز البيضان منشأتهم بواسطة مخيامتهم وقراهم وأبارهم ومجالات تطوفهم ورعيهم وثقافتهم

¹²⁸ رجال بوبريك، "دراسات صحراوية" المجتمع و السلطة و الدين، مرجع سابق، ص: 23.

¹²⁹ احمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي (مطلع القرن 17 مطلع القرن 20) دراسة في الحياة السياسية و الاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، الطبعة 1994، افاق متوسطة، ص: 51.

¹³⁰ الحسن الوزاني، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد الاخطر، 1983، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ص: 49/48.

المحددة تاريخيا وشرعيا، الى جبال ايفني والمنحدرات الجنوبية لجبلي باني وصاغرو في الشمال، يحده غربا المحيط الأطلسي وجنوبا نهر السينغال، أما شرقا فتضيع حدوده تحت رمال صحاري مالي والجزائر، ومن تمبكتو حتى تلبالة¹³¹، ورغم اتساع مجال الصحراء فان القبائل ملتزمة بحدود مجالها، مع إمكانية الرعي والانتجاع في مجالات أخرى، وهذا مرتبط بالظروف المناخية للصحراء، فعلاقة البدوي بمجاله قوية ومتجردة، فالصحراء في مخيلته إنما ارتحل أو جال و مجال قبيلته بالأخص.

(أ) التجارة

يعتبر النشاط التجاري وتبادل البضائع بين الصحراء و بلاد افريقيا متجذرا في عمق التاريخ، اذ تنتعش التجارة وتزدهر في الصحراء إذا عم الخصب واستتب الأمن بالصحراء، ويرتكز التبادل التجاري بين الصحراء و افريقيا على نقل الثمرور والحناء والملح الى بلاد السودان، لتعود القوافل محملة بالذهب وأعداد كبيرة من الرقيق.

انتقلت التجارة الصحراوية من سجماسة الى المناطق الشرقية لدرعة وسوس ووادنون، مما ساهم " في تعزيز مكانة المشيخات الكبرى المحلية، وتحول زعمائها بفضل ماتراكم بأيديهم من أموال الى أمراء حقيقين يحرسون على تشكيل الجيوش وامتلاك العبيد"¹³². وقد "أجمعت جميع الكتابات على انجميع المسالك التجارية في القرن 15 ميلادي بين المغرب الاقصى والسودان الغربي انحصرت في ثلاثة مسالك: الطريق الساحلي، طريق سجماسة - غانا عبر أودغست وطريق سجماسة - تمبكتو عبر ملاحه تغازي"¹³³.

¹³¹ اوديت دي بويغودو، النطاق الجغرافي للثقافة الحسانية و دورها التاريخية، ترجمة: احمد البشير ضمان، مجلة ثقافة الصحراء، العدد الرابع خريف، 2015، ص: 18.

¹³² احمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي (مطلع القرن 17 مطلع القرن 20) دراسة في الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، مرجع سابق، ص: 301.

¹³³ حسن حافظي علوي، دراسات صحراوية الماء و الابل و التجارة، تصدير: محمد الناصري، الطبعة الاولى 2014، دار ابي رقرق، ص: 221.

تنعكس المسالك التي تمر عبر مجال القبيلة في مكانتها وقوتها، فقبائل تكنة بفعل سيطرتها على واد درعة الذي يعرف كمسلك تجاري مهم يربط الشمال ببلاد إفريقيا جعل من هذه القبائل قوة لا بد من التحالف معها. وتنتقل المسالك الرئيسية بالصحراء إلى مسالك فرعية في حالة توالي الجفاف وانتشار الأمراض والأوبئة، يضطر القوافل التجارية الانتقال إلى مسالك أخرى.

ب) الحروب بالصحراء

تسود في المجتمع الرعوي أنماط عيش صعبة، ومجموعة من القيم السائدة كالاعتزاز بحمل السلاح، والحفاظ على مكانة ومجال القبيلة في الصحراء. هذا النظام الاجتماعي والسياسي يؤثر في إنتاج العنف، "فالحرب تقوم في المجتمع البيضاني على مبدئين متلازمين: الثأر لمقتل احد أبناء القبيلة من طرف مجموعة او فرد من قبيلة أخرى، أما المبدأ الثاني هو النهب،"¹³⁴ وذلك راجع الظروف المناخية القاسية بالصحراء، وتوالي سنوات الجفاف، تتشكل عصابات من مختلف القبائل يقومون بالاستيلاء على غنائم الغير وسلب ممتلكاتهم، وهذه الظاهرة جذورها في الثقافة البيضانية حسب هوبسباوم ف"من خلال اعتبارات التاريخ والميثولوجيا للبطل الخارج عن القانون والسيرورة الثقافية المتضمنة، من الممكن استخلاص مبدأ ثقافي بسيط، ولكن من الممكن تطبيقه على نطاق واسع: في كل زمان ومكان عدد مهم من الناس الذين يؤمنون على أنهم ضحايا اللامساواة، اللاعدل، الاستغلال، الأبطال الخارجون عن القانون تاريخيا ووظيفيا سوف يظهرون وسيستمر الاحتفاء بهم بعد مماتهم"¹³⁵.

¹³⁴ أحمد الامين شنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، تقديم فؤاد سيد، الطبعة 2، مكتبة الرشاد بفاس، مكتبة السلام بالدار البيضاء و مؤسسة الخانجي بالقاهرة، ص: 1958.

¹³⁵ Block، A.، 'The peasant and the Brigant : social banditry reconsidered'، Comparative studies in society and History، vol. sep 1972، P:496.

في زمن الحرب "تنتقي الجماعة، في بعض الأحيان، مجموعة من داخلها تكون ذات سلطة تنفيذية تسمى الصرية. تجتمع في مكان محدد لكي تسهر على تنفيذ شراكة أو معاهدة أو مفاوضات. قديما، حين كان خطر ما يتهدد القبيلة أو حينما تفرض الحرب على القبيلة كانت الجماعة تعين رئيسا للحرب وعادة ما يكون هذا الرئيس شخصا آخر غير شيخ الجماعة"¹³⁶، وحالة عدم قدرة أفراد أو جماعة أو قبيلة من الدفاع عن نفسها تطلب الحماية من قبيلة أخرى.

ت) السياسة الاستعمارية

استفادت الدول الاستعمارية من دراسات الرحالة والمستكشفين الاوروبيين للصحراء، وقد تسارعت هذه الاستكشافات مع نهاية القرن التاسع عشر. بفضل الاهتمام المباشر للدول الاستعمارية لهؤلاء الرحالة والمغامرون، حيث "وفرة لهم التمويل اللازم والمكافأة المغرية بعد خضوعهم للتكوين اللازم والتوجيهات الأساسية، ودعمهم بالأدوات العلمية الضرورية"¹³⁷. بهدف معرفة جغرافية الصحراء ودراسة أنماط العيش والنظام الاجتماعي للمجمع البيضاني، تمهيدا للاستعمار المنطقة.

أما على المستوى التجاري فقد لوحظ انتشار للشركات التجارية الاوروبية، حيث ظهر "التنافس الفرنسي-الهولندي بشكل مبكر حول سواحل الصحراء وخاصة حول مركز أركين، بل أن احتدام المنافسة بين هذه الشركات التجارية قاد الى مواجهات مسلحة بين الهولنديين والفرنسيين في الفترة الممتدة بين سنوات 1667-1678، انتهت ببسط النفوذ العسكري على أركين"¹³⁸.

¹³⁶ خوليو كاروباروخا، النظام الاجتماعي التقليدي، ترجمة: خديجة الراجي، ضمن الصحراء الاطلنتية، تنسيق رحال بوبريك، وكالة الجنوب و جامعة ابن زهر، ط.1، 2007، ص:204.

¹³⁷ بن محمد محمّد، المجتمع البيضاني في القرن 19 (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)، منشورات معهد الدراسات الافريقية، سلسلة بحوث و دراسات (8)، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2001، ص: 85.

¹³⁸ عبداتي الشمسدي، الصحراء في المخططات الاستعمارية خلال القرن 19، مجلة ثقافة الصحراء، العدد الرابع خريف 2015، ص: 50.

في المقابل يرجع اهتمام اسبانيا بالصحراء الى قربها للجزر الكناري، وبدأ هذا الاهتمام بشكل فعلي " مع مجيء الكولونيل بينس الذي انطلق لبسط النفوذ انطلاقا من فيلا سيسنيروس (الداخله حاليا) منذ 1910، ثم الطرفاية سنة 1916، فالكويرة سنة 1920¹³⁹. هذا الصراع بين القوى الاستعمارية حول مناطق النفوذ، اثر على حياة الرحل في المجال الطبيعي لتنفلهم، حيث " كان محمد ولد الخرشي مثل غيره من زعماء القبائل في الصحراء على وعي ودراية بأن اتفاقية وضع لف قبيلته تحت هيمنة قوة استعمارية (فرنسا) لا تمتد سلطتها الواقعية على ترابه التقليدية التي آل لها الجزء الأكبر من مجال قبيلة ايت اوسى، ومقابل ذلك فقدت القبيلة ملكية أراضي في الجانب الاخر من المستعمرة¹⁴⁰. فالعديد من القبائل فقدت أراضيها الاصلية بفعل التقسيم الاستعماري للصحراء، وأكثر القبائل المتضررة من الاستعمار الفرنسي والاسباني للصحراء قبائل تكنة. حيث أثر على سيادة القبيلة لمجالها، وبهذا تفقد القبيلة أهم مقوماتها السياسية.

ح) النظام الاجتماعي للقبيلة:

القبيلة مؤسسة اجتماعية لها وظائف عديدة، تعتمد مشاركة أجهزتها التقليدية في تدبير الشأن العام، ولعل ثقافة القبيلة المعتمدة على العادات و التقاليد والاعراف والقيم المستمدة من تاريخ القبيلة، تلعب دورا مهما في تحديد سياسات القبيلة في كل مرحلة من مراحل تاريخها. فإذا كانت "رابطة الدم و لحمة النسب التي تعد أيديولوجيا فاعلة في توطيد دعائم التلاحم والتضامن بين جميع مستويات القسمات الاجتماعية القبلية،"¹⁴¹ فإن ظاهرة "الدخيلة" و"الدباحة" في المجتمع القبلي ضروري في زيادة كثافة القبيلة، من اجل مراقبة المجال

¹³⁹ Pascon paul : « les ruines d'Agoutir de Khnifis province de Tarfaya (Santa Cruz de Mar Pequén). Institu de sociologie de Rabat، 1963، p.p :18-19.

¹⁴⁰ رحال بوبريك، زمن القبيلة السلطة و تدبير العنف في المجتمع الصحراوي، مرجع سابق، ص: 268-269.

¹⁴¹ رحال بوبريك، دراسات صحراوية المجتمع و السلطة و الدين، مرجع سابق، ص: 102.

الرعي الخاص بها، ثم أن أهل الصحراء لا يرفضون طالب الحماية منهم، وهناك فئة "المعلمين" التي تقوم بأعمال يدوية وهي أسفل الترتيب الاجتماعي بالصحراء.

ينظر إلى فئة الدباحين والدخلاء بنظرة ناقصة ومربية بين أفراد القبيلة، وتأثيرهم داخلها يبقى محدود بفعل تدني قوة عصبيتهم مع أفراد القبيلة، لكن مع توالي السنوات في القبيلة والقيم التي يحظون بها، ثم مصاهراتهم مع بنات القبيلة، يصبح تأثيرهم أكثر في القواعد النازمة للتجمعات القبلية.

(1) العوامل الطبيعية

(أ) قساوة المناخ الصحراوي

تتميز الصحراء بخصائصها الطبيعية الصعبة، التي تولد عند الإنسان الإحساس بمشاعر الخوف والخطر، فهي تمتد على مساحات شاسعة تحتضن مختلف عناصر الطبيعة القاسية والشديدة الوعورة، فإذا كانت بلاد تكنة "تحيط بها كتل الاطلس الصغير وباني والوركيز والحمادة في أشكال مختلفة مكونة بتشابكها في بعض النقاط وتقاربها في نقط أخرى أوكاراً وممرات تغري المغامرين، وتشد أنظار المتمردين والخائفين"¹⁴². فان جهات أخرى "تبحث في النفس مشاعر مختلفة وإحساسات غريبة، كجبال "زيني" و"ايدير" و"زمرور" و"بوجدور" و"أدرار" وغيره"¹⁴³، هذا التنوع الجغرافي للمنطقة أصبح يحتم على أهل الصحراء معرفة التحديات الطبيعية المحيطة بهم. وتساهم الحرارة المفرطة والزوابع الرملية وانتشار "السموم"¹⁴⁴ والوحيش من تعميق الإحساس بقوة الطبيعة وقساوة مناخ الصحراء.

¹⁴² Les Tekna du sud marocain، F. de la chappelle، Bulletin de comité de l' Afrique Française et du comité du Maroc 1934. PP :11-12

¹⁴³ محمد الطريف، جوانب من ثقافة الصحراء، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لأحياء التراث و التنمية، الطبعة الأولى 2016، دار أبي رقراق، ص: 41.

¹⁴⁴ العقارب و الزواحف السامة.

ب) الماء

"لم يوفق الباحثون ببلاد المغرب حتى لأن في دراسة مفهوم الصحراء بطريقة علمية،¹⁴⁵ بفعل الاهتمام بعنصر واحد في الصحراء وإغفال العناصر الأخرى. فإذا كانت الصحراء منطقة قاحلة وموحشة، وخالية من الناس كما جاء في اللغة العربية. وهي مرادف الفيافي التي لا ماء ولا حياة فيها، فهذه الأسباب التي جعلت الباحثين لا يهتمون بدراسة الصحراء كمجال شاسع ومتنوع ويغري بالمغامرة، ويزداد جمالها في العثور على نقط الماء. تتوفر الصحراء على اثني عشر واد شمالا يوجد واد درعة وجنوبا واد لملك، وأهم الوديان بالصحراء واد درعة يصل طوله إلى أكثر من 1100 km وواد الساقية الحمراء حوالي 400 km. ف" الشبكة الهيدروغرافية بالصحراء الاطلننتية تتشكل من وديان، يغذي الماء تشنجاتها، بعض منها أحفوري"¹⁴⁶. والواحات بواد نون والكرابر بالساقية الحمراء ومنطقة تيرس بواد الذهب. هذه المناطق توفر للأهل البدو أماكن الكأ في سنوات الجفاف، وينتقل البدو إليها في فصل الصيف بفعل مناخها اللطيف وتوفرها على الماء والآبار تسقي محاصيل البساتين والحقول. وقد تفنن أهل الصحراء في طريقة تقسيم الماء من حيث الزمن ووحدات قياسه، "وطرق الاستدلال على وجود الماء وتدبير قلته ودفع مضاره بصحراء بلاد المغرب في العصر الوسيط"¹⁴⁷.

الماء العنصر الأساس في حركة وتنقل القبائل في الصحراء، والمعروف عن الإنسان الترحال طيلة السنة من أجل الرعي. وهذا أثر في حدود تراب القبيلة. فتوالي سنوات الجفاف جعل العثور على نقط الماء شبه مستحيل، مما يؤدي إلى صراعات واصطدامات بين القبائل

¹⁴⁵ حسين مؤنس، الطريق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام عبر الصحراء الكبرى، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1982، ص: 122.

¹⁴⁶ Karim Selouone « Paysage et environnement géologique du sahara atlantique pré-requis de développement durable ». karthala، 2015، PP :183.

¹⁴⁷ حسن حافظي علوي، دراسات صحراوية الماء و الإبل و التجارة، مرجع سابق، ص: 101 الى 116.

حول مناطق النفوذ. وتعد تحالفات وولاءات بين القبائل على مناطق الرعي التي يوجد فيها الماء.

ت) تكون المدن بالصحراء

ترجع ظاهرة المدينة ونشأتها بالصحراء إلى عوامل تاريخية وطبيعية. وعلى غرار التحضر بالبلدان العربية وكيفية نشأة المدن الصحراوية بالمغرب، يعتبر المستعمر الفرنسي والاسباني هو الفاعل الأول فيها، من أجل مراقبة البدو ورسم حدود دقيقة حتى يسهل التحطم بهم.

"وقد تحدث بعض من الباحثين الأجانب"¹⁴⁸ عن مجموعة من الآثار المعمارية بالصحراء، منها المراكز التجارية والدينية والروحية بالمنطقة، واحتضنتها العديد من القبائل هذا النوع الاجتماعي المتداخل نجده في واد نون وكلميم بشكل خاص "فقد ارتبط هذا المكان بالوالي سيدي الصالح الغازي الذي يوجد ضريحه بحي الملعب بقلب المدينة، ولا يعرف عنه الا القليل وخاصة ما توارثته بعض الروايات الشفوية كما هو الشأن بالنسبة لسيدي عمر وعمران بتاكاوست (لقصابي) وسيدي محمد بن عمر بنول لمطة (أسرير)،"¹⁴⁹ وأرتبط كلميم بالشخصية التاريخية الشيخ "بيروك بن (محمد بن فال) بن عبيد بن سالم بن عبد القادر بن الحسن بن محمد بن سعود بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبيد الله بن سليمان بن علي. ويقال أن أصل الاسرة من (توات) وأنها جعفرية النسب"¹⁵⁰. وهي مركز تجاري رئيس ونقطة انطلاق القوافل التجارية نحو الصحراء الكبرى.

¹⁴⁸ Barona Claudio، *hijos de la nube، el Sahara Espanol desde 1958 hasta la debacie،* Madride، 2004، P :50.

¹⁴⁹ محمد شرايمي، *المدن الصحراوية النشأة و التطور،* طوب بريس، الرباط، 2015، ص: 39.

¹⁵⁰ السوسي محمد المختار، *المعسول،* الجزء 19، مطبعة فضالة، المحمدية 1960، ص: 273.

ارتبط تكون بعض المدن بالصحراء بوفرة الماء، فالعيون هي "المنطقة الموجودة على km1500 تقريبا أكثر إلى الجنوب التي يتم التزود فيها بالماء دون استعمال للدلو"،¹⁵¹ وهي حاضرة واد الساقية الحمراء وأسست من طرف المستعمر الأسباني سنة 1938 مع الكورونير انطونيو اوربوليد الذي أسس مراكز قيادة عسكرية أخرى. أما الداخلة نموذج المدينة الحضرية بواد الذهب الذي كان "السكان يستخرجون الذهب من الواد عندما يغسلون رماله"¹⁵²، وهذا هو سبب تسميته بواد الذهب. و"تقدر المنطقة كلها على أنها من أغنى مصايد السمك مقارنة مع أفني"¹⁵³.

باحتيال واد الذهب قام "اميلو بونيلي العسكري والجغرافي والكشاف"¹⁵⁴. "عندما دخل الى واد الذهب في 3 نونبر 1884، هو انشاؤه لمكتب على شكل كوخ وهو بيسيسيزوس"¹⁵⁵. وكان "السكان الصليين يعيشون في مكان منعزل عن الاوروبيين وعن مكان تواجد الحصن العسكري بيسيسينرون"¹⁵⁶، ومع الاهتمام المتزايد أصبحت بيسيسينرون مدينة هامة جدتتوفر على جميع البنيات الحضرية، بفعل "تحسن شروط الحياة لسكانها بالاكتشاف الهام سنة 1963 لكمية كافية من المياه الجوفية لتزويد المدينة"¹⁵⁷.

¹⁵¹Galo diaz D. Galo « **notas sobre geografic humana de los territorios de Ifini y del sahara** ». Madrid 1944-45، P :52.

¹⁵²Anonyme ؛ **Le voyageurs Français ou la connaissance de l' ancien et du nouveau monde**. Mis au jour par M. L' abbé Delaporte، Tome XIV، Paris 1765، PP :425.

¹⁵³Lafuente Domenech Angel « **Alog Sobre Rio de Oro** »، Madride de 1946 ، PP/45.

¹⁵⁴Zomer Enreque Arrojos ؛ **Exploraciones Atlanticas**، Afric، Num،،16، Abril 1943، PP :33.

¹⁵⁵محمد الشرايمي، المدن الصحراوية النشأة و التطور، مرجع سابق، ص: 63.

¹⁵⁶ Andres coll «villa cianeros » ،libreria general de victrotiano suarez، Madrid 1993، P :111.

¹⁵⁷Vazquez Luis Blanco؛ **Vestigios del pasado colonial espanol en rio de Oro (Sahara Occidental) la linea de Fortines de Villa Cisoneros**، HISPANIA NOVA Revista de Historia Contemporanea، N° 10-ANO 2012، P :11.

إذا كانت دواعي استقرار البدو في أماكن معينة تعود الى وفرة نقط الماء والقرب من مراكز الاستقرار، فإن تغذية الروح والحفاظ عليها وقداستها جعلت من السمارة مقصدا لاستقرار الرحل بها. وقد ارتبطت بالعالم الجليل الشيخ ماء العينين الذي بنى فيها زوايته، فالسمارة "مكان به أبار من الماء الحلوة الغزيرة"¹⁵⁸، ومنطقة استقرار قبائل الركييات حيث درس "ماء العينين"¹⁵⁹ "التلاميذ بالسمارة وترك عدة أعمال في الدين والشريعة والتصوف وعلم التنجيم وعلم الفلك والنحو"¹⁶⁰. فقد أصبحت مكان روعي للمنطقة بالساقية الحمراء ومركزاً تجارياً وصل صدها الى شمال المغرب.

المبحث الثاني: بنية القبيلة بالصحراء و مجال استقرارها.

1) قبائل تكنة أصولها و فروعها و مجالها:

تعتبر تكنة من أهم المجموعات الصحراوية التي يندمج نسيجها الاجتماعي بين الأصول العربية والأصول الأمازيغية، وتعني تكنة اتحادية وأطلق عيه كنفدرالية تكنة. فالقبائل العربية التي وصلت الصحراء وحطت بدرعة منذ الفتح الإسلامي وهي قبائل تنتمي إلى بني معقل، يعتمد "ابن خلدون نقلاً عن أبي الكلبى أن قبائل بني معقل قد تعود بأصولها الى بعض القبائل اليمينية"¹⁶¹.

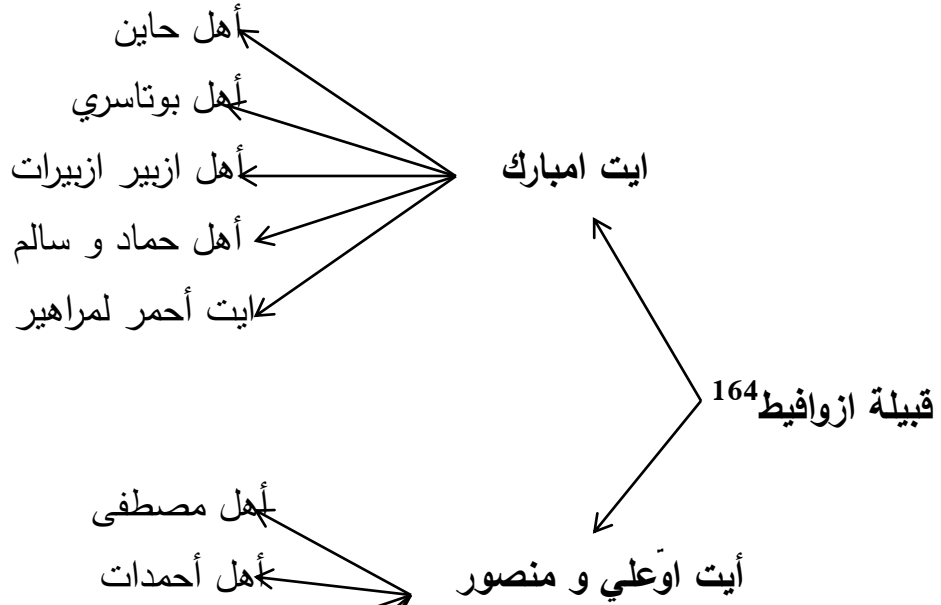
¹⁵⁸Bullan Diaz D. Galo « notes sobre geografica humana de los territorios de Ifni y del Sahara

¹⁵⁹ أنظر ملخص حياة : السوسي محمد المختار، المعسول، ج:4 مطبعة فضالة، المحمدية، 1960، ص: 99/96.

¹⁶⁰Marty paul « Etudes sur sur L'Isslam Maure، Cheikhsidia-Les fadelia- les Ida Ou Ali » ، Collection de la REVUE DU Monde Musulman، 1916، PP :143.

¹⁶¹أبن خلدون، العبر، الجزء: 6 ، تحقيق: سهيل زكاوي و الدكتور شحاتة، بيروت 1981. ص: 77.

تعد واد نون المنطقة الخصبة والمركز التجاري للاتحاد تكنة، لكونها تضم العديد من القبائل، ويمتد "من 1000 كلم من الجنوب الغربي إلى الجنوب الشرقي. من طرفاية - رأس جوبي سابقا - (cap juby) إلى تاغوينيت Tagouinit وعلى 500 كلم من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، من أيفني Ifni إلى الاكيدي Iguidi "L.¹⁶² وتتعايش بها 12 قبيلة تنقسم إلى لفين أساسين: لف أيت الجمل ولف أيت عثمان أو بلا، يستقر أيت الجمل في الغرب وأيت عثمان في الشرق. "بالنسبة للاروبيل، ربما «هم ورثة مجموعتين اثنتين، الأولى بربرية (أيت عثمان) والأخرى من عرب معقل (أيت الجمل) ، أيت الجمل، على كل حال، أعرق في العروبة من أيت عثمان. عنصران يكونان تكنة: بربر كزولة ومعقل (ذوو حسان)، (جاءوا زهاء سنة 1252)،¹⁶³ ويتألف لف أيت عثمان من 8 قبائل: قبيلة أزوفيط، قبيلة ايت حماد، قبيلة أيتوسى، قبيلة تركز، قبيلة يكوت، قبيلة اد ابراهيم، قبيلة أيت حربيل، ولنصاص (أيت النص).

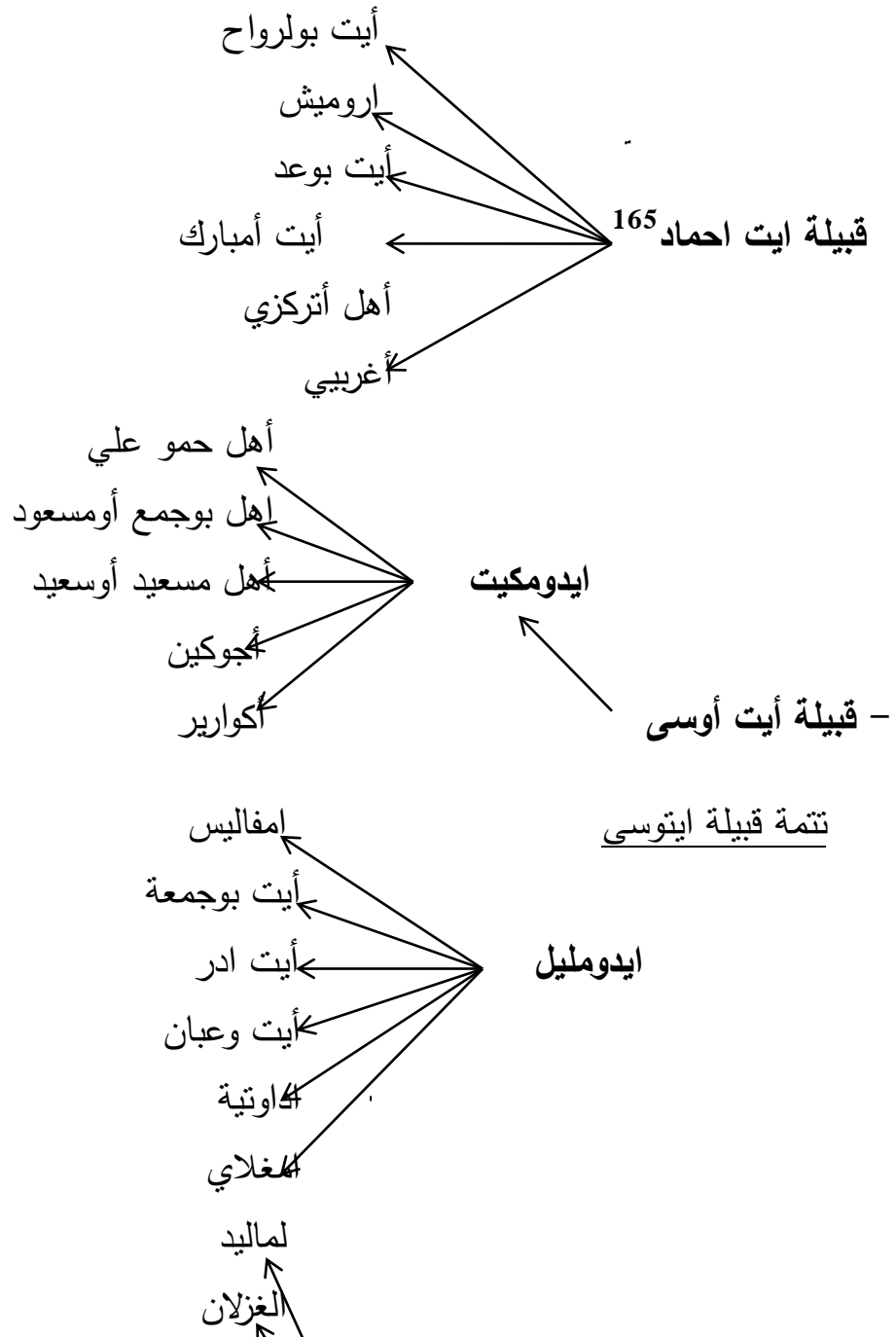


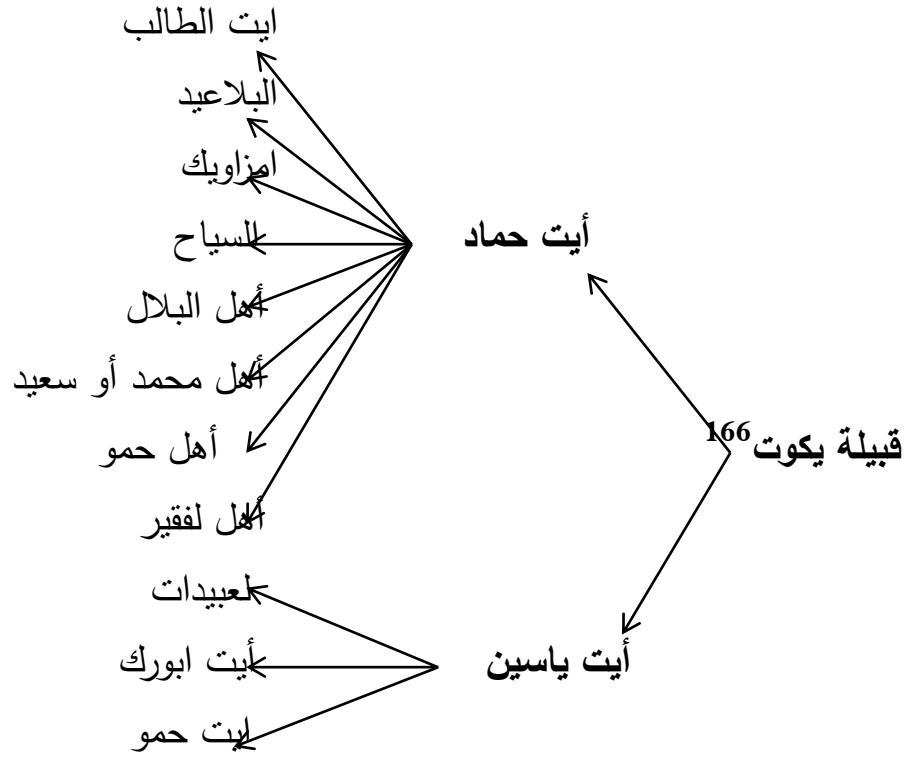
¹⁶² مصطفى ناعيمي، من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية، مرجع سابق، ص: 11-12.

¹⁶³ فانسان مونتاي، تقييدات حول تكنة ، ترجمة: هيبنتن الحريش، منشورات مركز الدراسات و الابحاث "مشاريع"، المطبعة الوطنية، 2013، ص: 33.

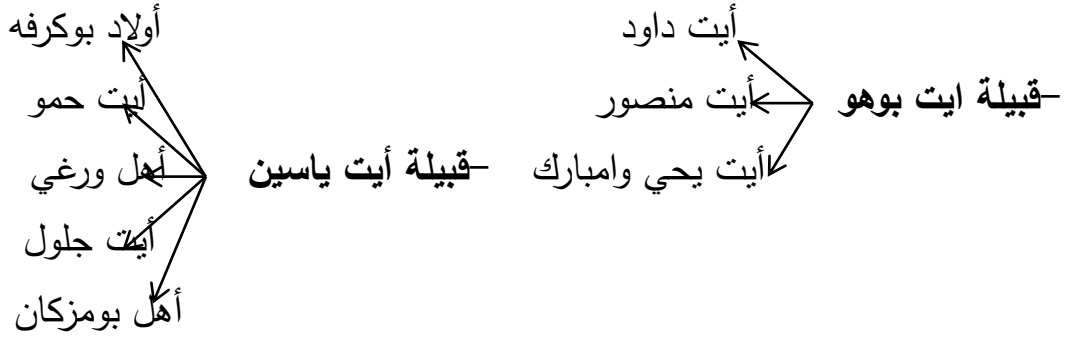
¹⁶⁴ بشر بن احمد حيدره، تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها، الطبعة الأولى 2016، ص: 41.

أهل أسعيد
 أهل أتركزي
 أهل امبارك أوسعيد
 أيت محمد وامبارك





فروع قبيلة الانصاص:



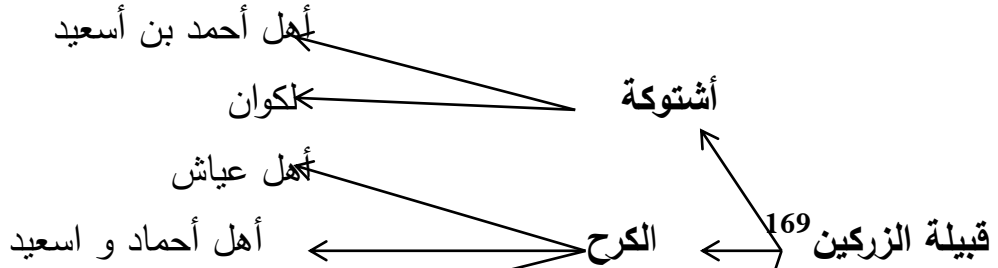
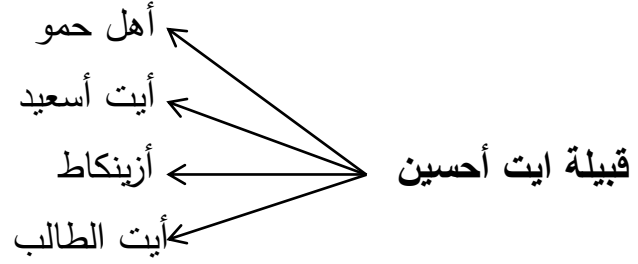
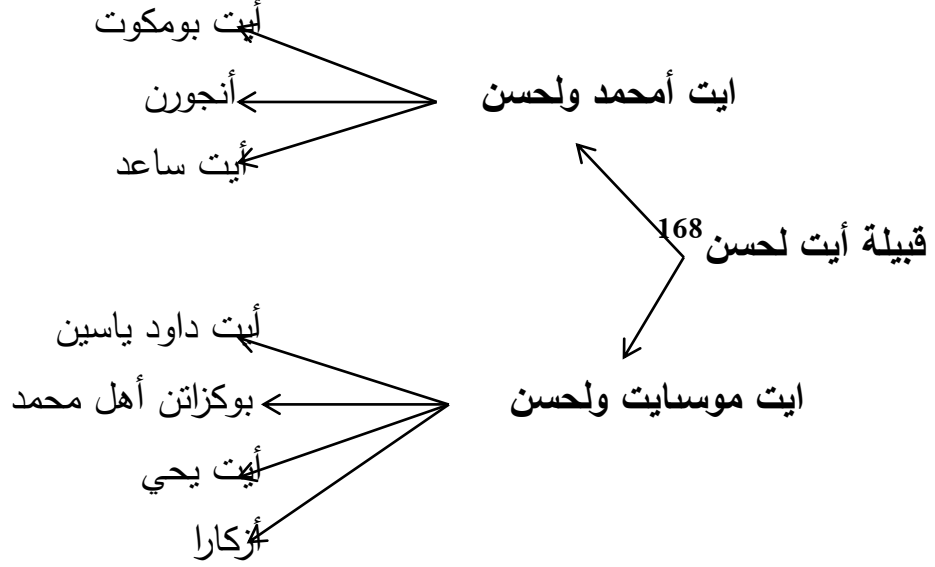
تنمة قبيلة ايت ياسين

- أهل بله
- أهل بوتيزوا
- أيت داود

أما حلف أيت الجمل فيتكون من "القبائل التالية: الرزقيون وأيت لحسن وأيت موسى وعلي ويكوت وأولاد بوعيطه وأيت الخمس من أيت باعمران ومجاط. التي ترجع الى قبيلة

¹⁶⁶ حسن بارى، القبيلة والمجال: من الصراع الى مقاومة الأجنبي «قبيلة يگوت نموذجاً»، سلسلة كراسة الباحث، الصحراء والمجال، إشراف: محمد شرايمي، مطبعة: الحمامة البيضاء، 2017، ص: 42.

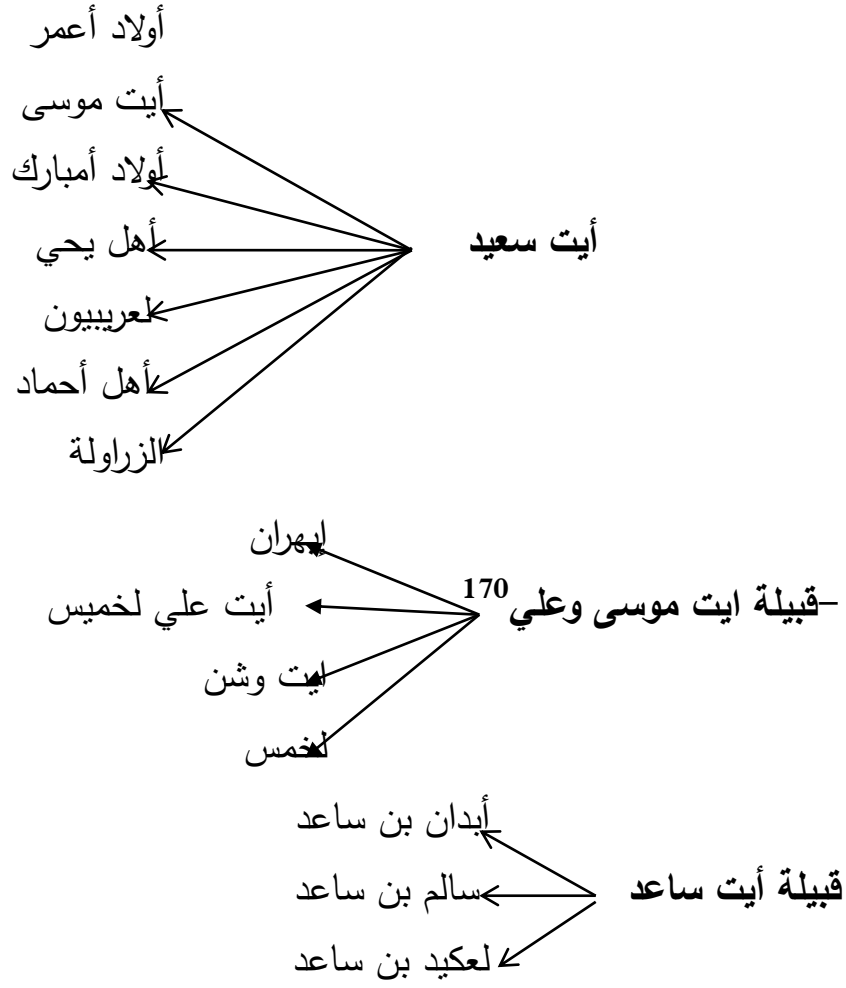
الكبيرة المعروفة في سوس: ولميار والفويكات وتارة أبناء دليم في بعض الحالات وتخليهم عنه في فترات أخرى وأولاد تيدرارين والعروسين¹⁶⁷.



¹⁶⁷ المعسول (24/393) و كتاب لحمداتي شبيها ماء العنين، القبائل الصحراء المغربية أصولها جهادها – ثقافتنا، الطبعة الملكية، 1998/1419، الرباط . ص: 89/88.

¹⁶⁸ بشر بن احمد حيدره، تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها، مرجع سلق، ص: 39.

¹⁶⁹ بشر بن احمد حيدره، تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها، مرجع سابق، ص: 71-72.



أ) أيت باعمران

أيت باعمران¹⁷¹ يعني هذا اللقب "اد همون (لقب يطلقه أهل أزغار تيزنيت على أيت باعمران وجيرانهم أهل الساحل). اللف: اكوزولن (اللف «النبيل» والجبلي)¹⁷². ويمتد "موطن أيت باعمران من جنوب غرب الاطلس الصغير الغربي، ممتد بين خطي العرض 9° و 50° و 1° و 30°، وبين الطول 29° و 29° و 35° وعلى مسافة تقارب 1500 كلم مربع"¹⁷³.

¹⁷⁰ نفس المرجع، ص: 40.

¹⁷¹ Fr **Ait br-amine** ; Esp ، Ait Baamran. Ait baamane.

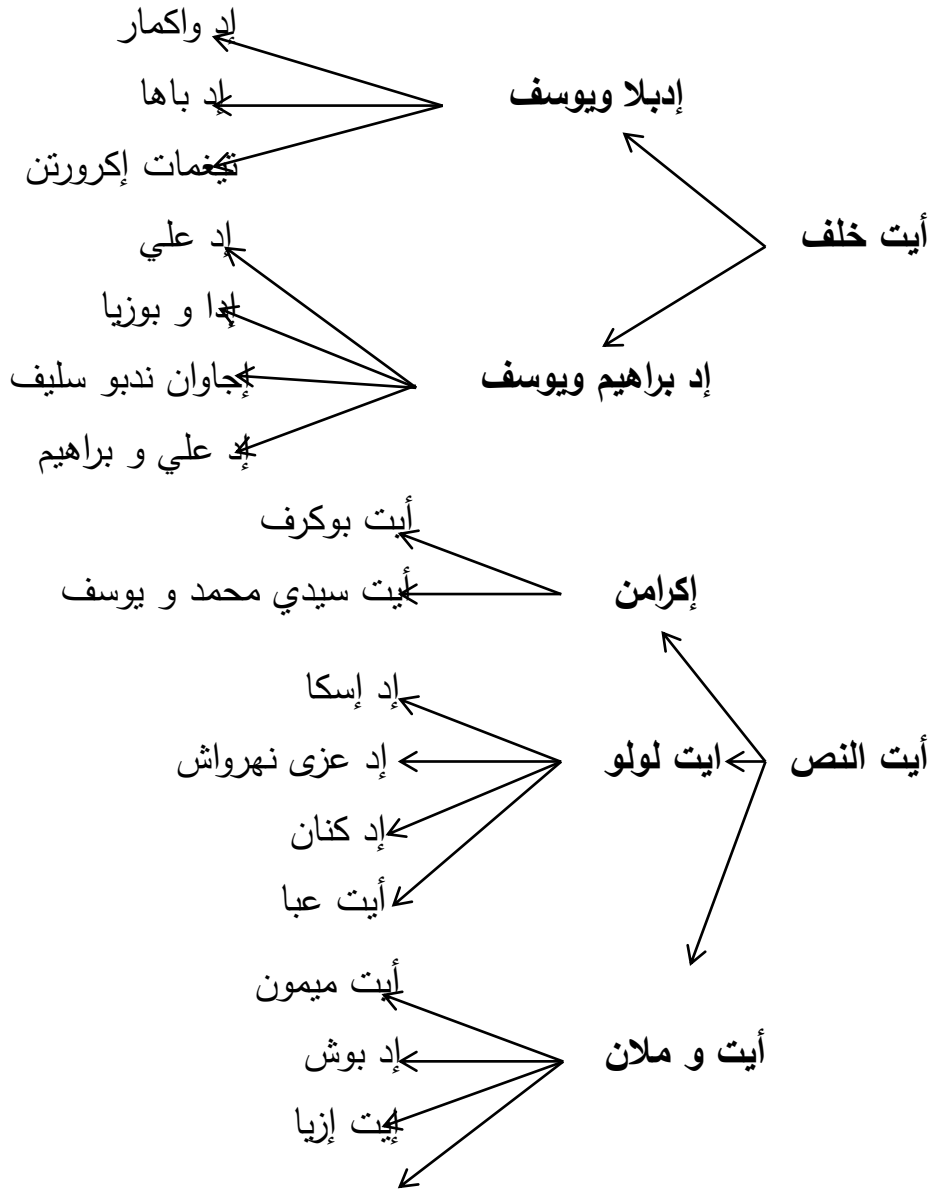
¹⁷² فانسان مونتاي، **تقييدات حول افني و ايت باعمران**، ترجمة: هيبتن الحيرش، مركز الدراسات و الابحاث "مشاريع" الطبعة الاولى 2014 ، ص: 45.

¹⁷³ علي المحمدي، **السلطة و المجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران**، كلية الاداب و العلوم الانسانية، الرباط، الطبعة الاولى 2014. ص: 27.

ويمتد ساحلها على طول 650 كلم ويحدها شمالا واد بوسدرة أما في جنوبا يحدها وادنون، أما لغة ايت باعمران فهي "تاشلحيت" ويتكون ايت باعمران من 7 قبائل: **أيت اخلف، أيت النص، ايت اعزا، أيت عبلا، أيت الخمس، صبويا، امستيتن.**

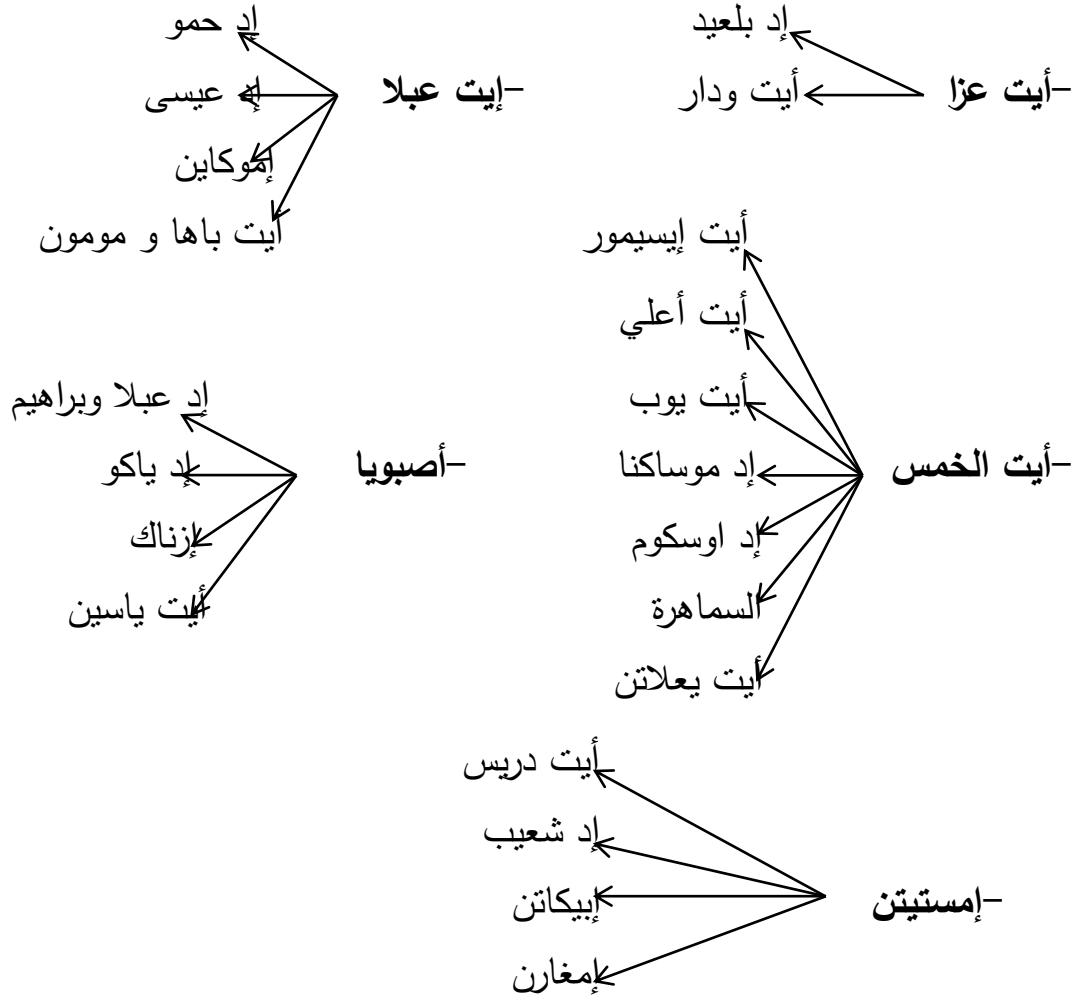
تعد سيدي إفني مركز قبائل أيت باعمران، ومنهم اختار حلف ايت عثمان كأيت النص وأصبويا، وأخرى اختارت حلف أيت الجمل كأيت الخمس.

وتتكون هذه القبائل من أفخاذ وفروع¹⁷⁴:



¹⁷⁴ فانسان مونتاي، تقييدات حول افني و ايت باعمران، مرجع سابق، ص: 43-51.

إد بويه إد إموكنى



قبيلة أولاد بوعشرة: تنتمي إلى أيت النص، من لف أيت عثمان. تقطن في قرية بين

كلميم وأسا تسمى تيدالت. تتكون من أفخاذ وهم:

- فخذ أهل على ويحيا/ فخذ أولا عمر/ فخذ أهل عدي.

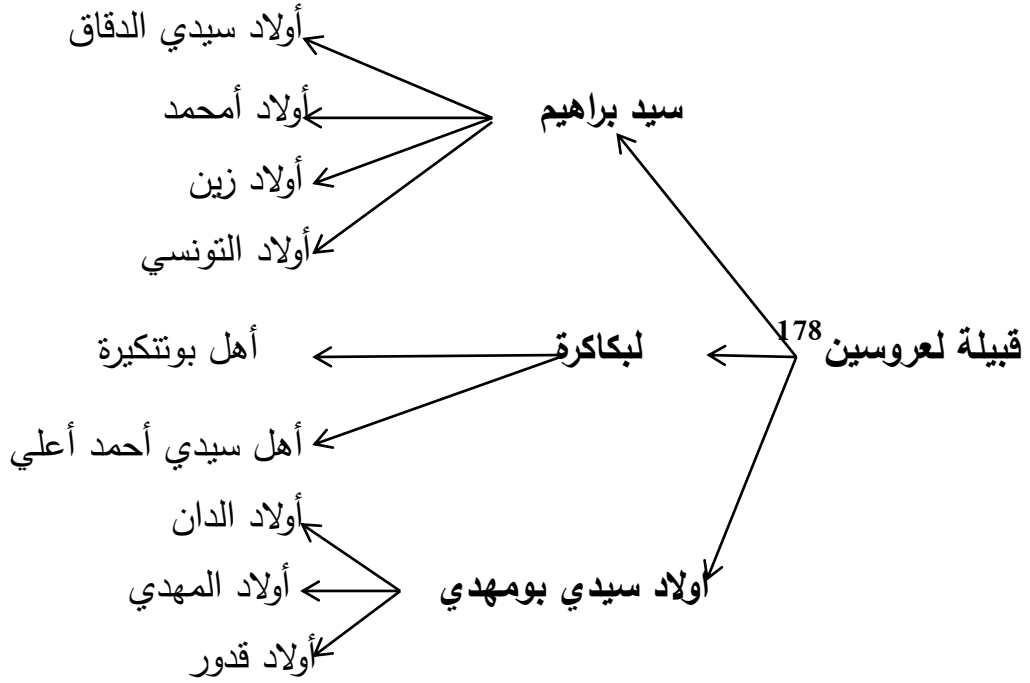
ب) قبيلة العروسين

تتنسب قبيلة العروسين إلى آل البيت، وهي قبيلة عربية ذو الأصل الشريف مؤسسها

سيد أحمد العروسي "وفيما يخص مولده هناك حكاية تقول أنه ابن الولي صالح كان قد تزوج

من إحدى بنات أحد أعيان المغرب، وقد خرج عن عروسه ليلا للعبادة، و عند ميلاد سيد أحمد جاء به إلى الصحراء عبر السماء ولما تمزق حزامه الذي رفع به¹⁷⁵ الوالي الشيخ البودالي¹⁷⁶.

و"استقروا من تاريخ استقرار جدهم بالساقية الحمراء إلى اليوم، وهذه القبيلة تقطن هذه المنطقة الممتدة من جنوب الساقية الحمراء مع الساحل إلى بيرزران تنتشر فيها هي وجارتها القديمة قبيلة الأنصار أولاد تيدرارين"¹⁷⁷. وتنقسم قبيلة شرفاء العروسين إلى:



ت) أولاد تدرارين

أسسها العالم والتقي سيدي بوعمبور، وقد دفن عند لمسيد و"ينسبون الانصار عن طريق بعض الفاتحين الأولين الذين نزحوا إلى المغرب مع حملة عقبة بن نافع الفهري"¹⁷⁹.

¹⁷⁵ محمد دحمان، سيدي إفني الساقية الحمراء و واد الذهب في الكتابات الإسبانية، مرجع سابق، ص: 65.

¹⁷⁶ سيدي البودالي: هو سيدي رحال البودالي الموجود ضريحه بمجال قبيلة السراغنة شمال شرق مراكش.

¹⁷⁷ بشر حيدار، تاريخ الصحراء الغربية و قبائلها العربية، الطبعة 2016. ص : 194.

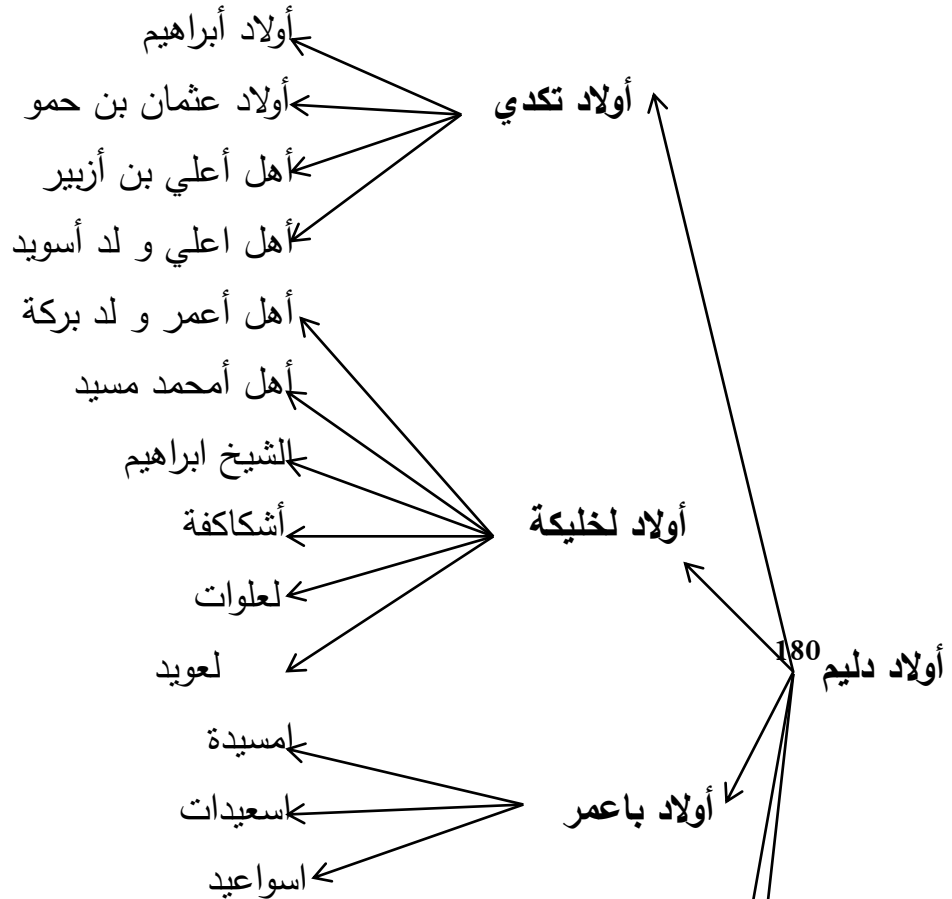
¹⁷⁸ بشر بن احمد حيدره، تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها، مرجع سابق، ص: 191.

¹⁷⁹ معلمة المغرب، العدد 26، الملحق (ج 3)، ص: 197.

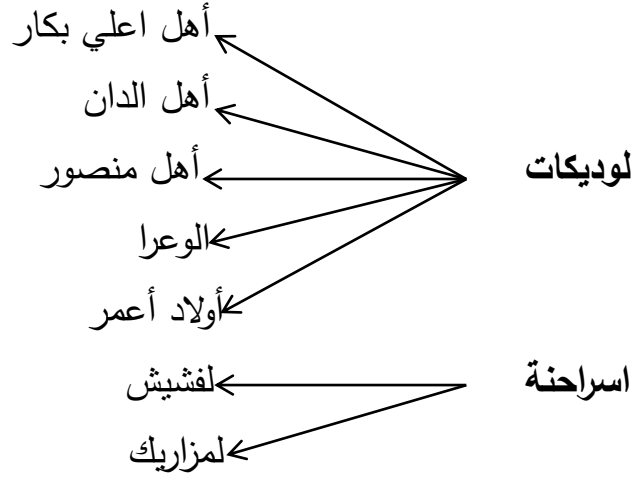
وقبيلة أولاد تدرارين من قبائل الساحل حيث يمتد مجالها من الشريط الساحلي للساقية الحمراء إلى الشريط الساحلي لواد الذهب، وكانت تسمى قبيلة أولاد حنين سابقا. تنفرع القبيلة إلى: أهل الطالب أعلي، أولاد موسى، أولاد يسين، لفعريس، أهل أستيلة، أولاد أسماعيل، أولاد بوشيك، أرحيلات، لداسة، أهل بريهمات، أولاد أسليمان، أولاد الغازي، أولاد الحاج، أهل أحمد مسكة، لعبوبات، الصنويات، لحسينات، لمنابها، لمنصير، الصوالح، لحמידات.

(2) أولاد دليم

أولاد دليم من القبائل المحاربة وقد دخلت في صراعات مع مختلف القبائل، وهي قبيلة عربية قوية من بنو حسان يمتد مجالها من بوجدور إلى موريتانيا جنوبا، وواد الذهب مركز القبيلة، تنفرع من بطون وأعراش:

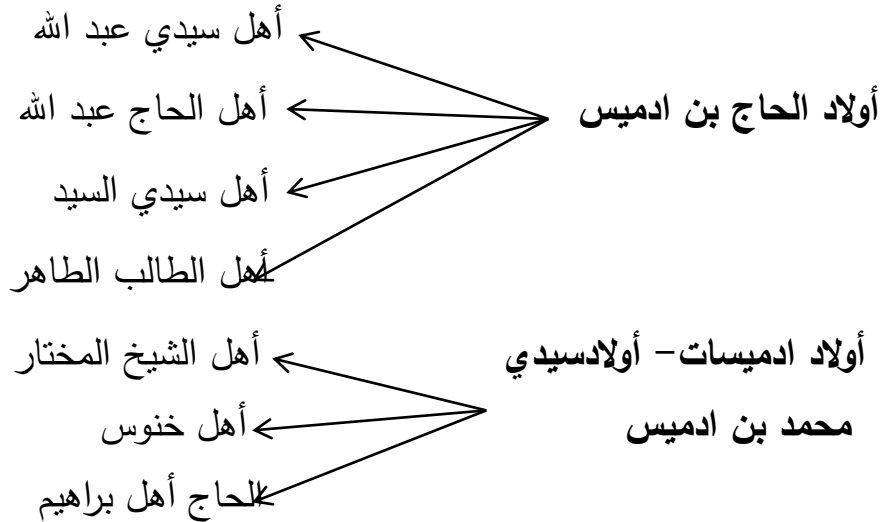


¹⁸⁰ محمد دحمان، سيدي إيفني الساقية الحمراء في الكتابات الإسبانية (1934-1950)، مطابع نت، الرباط، 2015، ص:153.



(3) قبيلة أولاد بالسباع

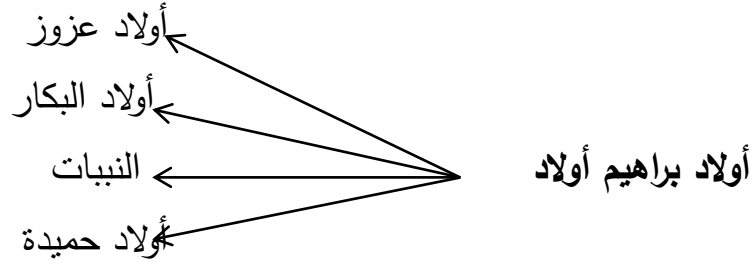
"تجمع المصادر التاريخية المكتوبة التي وقفنا عليها بخصوص هذه القبيلة على أن: عامر الهامل هو الجد الجامع لأولاد بالسباع، وكذلك الروايات الشفهية التي استطعنا جمع بعضها من عينة بحثنا من كبار السن"¹⁸¹. وهي قبيلة محاربة استوطنت بلاد سوس وفي القرن العاشر هجري انتقلوا إلى الساقية الحمراء، ثم مجموعات أخرى تلتها متجهة نحو تيرس وبلاد الشنقيط"¹⁸² وتتفرع أولاد بالسباع¹⁸³ إلى:



¹⁸¹ محمد دحمان، دينامية القبيلة الصحراوية في المغرب بين الترحال و الإقامة، دراسة سوسيوانثروبولوجية حول أولاد بالسباع، طوب بريس، 2012 الرباط، ص: 25.

¹⁸² المرجع السابق، ص: 87.

¹⁸³ محمد دحمان، سيدي افني الساقية الحمراء في الكتابات الإسبانية (1934-1950)، مرجع سابق، ص: 157.



(4) قبيلة فيلالة

من القبائل الشريفة في الصحراء "نحوا من تافلات لإصلاح أحوالها والمساهمة في بنائها"¹⁸⁴، استقروا بأساتف وبناحية الكعدة وبئر لكونية حيث يوجد ضريح جدهم "سيدي بوبكر"¹⁸⁵. عرف عنهم العلم والزهد، تتكون من خمسة افخاذ¹⁸⁶: أهل سيدي أحمد الفيلاي، أهل مولاي أعلي، أهل لفقيه، أهل عبد العزيز، أهل محمد لحمد.

(5) قبيلة لميار

انتقلت قبيلة لميار من واد نون و استقرت الذورة شرق أخنيفيس، وتحد من قبيلة "أيت مسعود"¹⁸⁷ وجد لميار هو الجامع الفقير المير. وتتكون من: أهل براهيم، أهل برك الله، أهل بدك.

(6) قبيلة مجاط

قبيلة عريقة لها عدة ادوار في تاريخ المنطقة يمارسون الصيد عند حدود ضريح جدهم بناحية الشبيكة إلى جنوب طرفاية، وتنقسم القبيلة إلى: لكرونة، أهل اعلي بن سالم، البيظ، أهل محمد ابراهيم.¹⁸⁸

(7) قبيلة توبالت

¹⁸⁴ معلمة المغرب، العدد 27، الملحق (ج 4) ص : 513.
¹⁸⁵ سيدي بوبكر: ضريح شهير جوار بئر الحكونية بالساقية الحمراء جنوب هضبة الكعدة.

¹⁸⁶ بشر بن احمد حيدره، تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها، ص: 157.

¹⁸⁷ أيت مسعود: قبيلة من تكتة تستوطن شرق واد نون.

¹⁸⁸ بشر بن احمد حيدره، تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها، ص: 166.

تعتبر توبالت من أقدم القبائل بالصحراء، انتقلت من تازروالت تنتسب إلى جدها الشريف مولاي رحمون الادريسي الذي دفن في فاس. وتستقر عموما بنواحي أخنيفيس تنقسم إلى ثلاثة فروع: أجوامعية، لخلايف، لمرازكية.¹⁸⁹

(8) قبيلة لفيكات

تتمركز قبيلة لفيكات بجانب المحيط الأطلسي من واد الشبيكة إلى رأس بوجدور جنوبا، وتتسب إلى موسى بن لفيكات تتكون من أربعة فروع: أهل الشهيبي، أهل أبهاهو، أهل عايد ولد سعيد، أهل لعكيد.

(9) أهل الشيخ ماء العينين

يجتمع سكان الصحراء على الدور الكبير للعلامة الشيخ ماء العينين في التأثير على القبائل من درعة إلى أدرار"فهو من الشرفاء الأدارسة ينتهي نسبه إلى الرسول صلى عليه وسلم عن طريق بعض أسلافهم الذين نزحوا إلى الصحراء فترة بودميعة السملالي"¹⁹⁰. وقد تميز ماء العينين "بمستوى ثقافي عالي وموسوعي وحريص على العبادة، كما يتميز بنشاط جسماني خارق للعادة ناهيك عن انتشار خبر كراماته بين الناس. وحسب أحد أبنائه فإنه كتب أكثر من 300 مؤلف، كما كان ماهرا في ركوب الخيل والإبل"¹⁹¹، وشيد زاوية بأكزيزيم نواحي الساقية الحمراء وله أبناء هم: أحمد الهيبة، مربيه ربه، محمد الاغظف، الشيخ الوالي.

(10) قبيلة الركييات

يعتبر سيد أحمد الركيبي الجد المؤسس للقبيلة الركييات، ويرجع نسبه إلى عبد السلام بن أمشيش. فقد كان رجل حامل للكتاب الله واشتغل في تعليم الدين، وقد استقر في واد درعة و"تزوج من امرأة من سلام تسمى العايزة من فخذ يسمى باشوارب وولد منها ثلاث بنين.

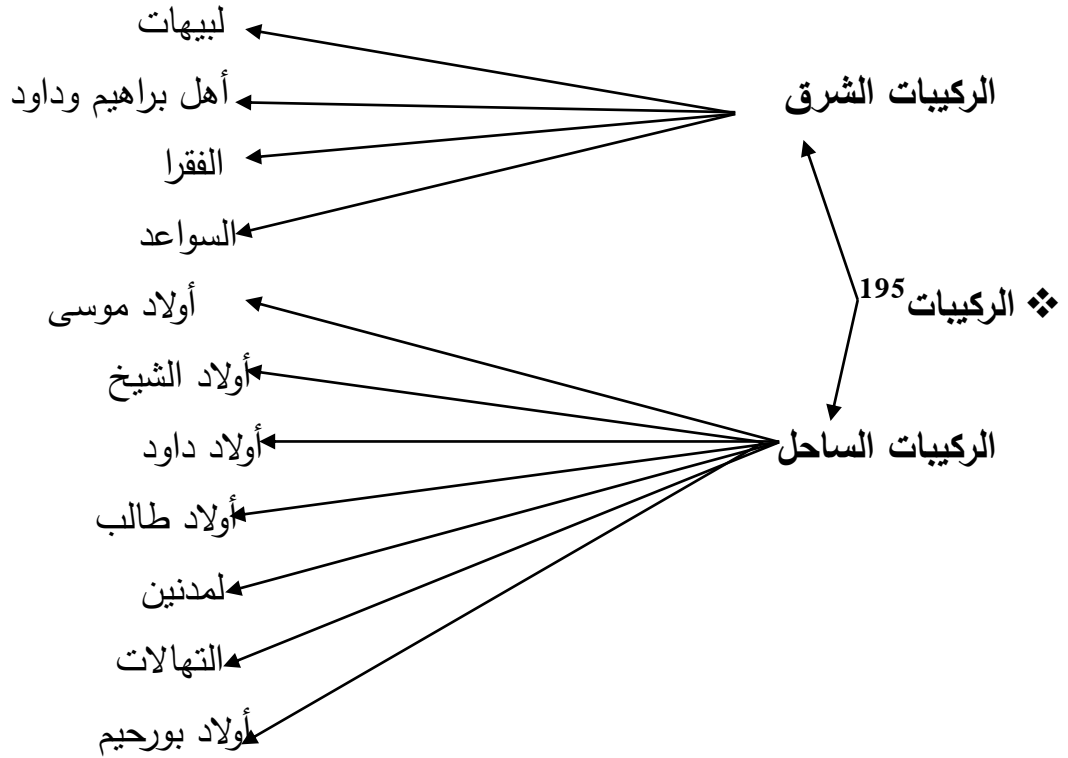
¹⁸⁹ نفس المرجع، ص: 139.

¹⁹⁰ محمد الظريف، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية، منشورات كاية الاداب و العلوم الانسانية، المحمدية، 2003. ص: 134.

¹⁹¹ محمد دحمان سيدي إيفني الساقية الحمراء و واد الذهب. مرجع سابق، ص: 64.

فالكبير القاسم واعلي واعمر وسلطانة ابنته¹⁹²، وقد انتشرت القبيلة في الصحراء من الجزائر مروراً بالمغرب حتى موريتانيا. و"يجسد الركيبات النموذج الحي والفعلي لحاملي الكتاب- الزوايا"¹⁹³، لكن مع ازدياد حجم القبيلة تحولت إلى قبيلة محاربة، وامتد مجالها من واد نون شمالاً حتى أدرار جنوباً ثم تندوف شرقاً.

دخلت الركيبات صراعات مع العديد من القبائل بالصحراء، من بينها أولاد بالسباع وأولاد دليم وتجكانت¹⁹⁴. وعددها كبير جداً حتى يقال أنها أكثر القبائل بالصحراء عدداً. وتتقسم الركيبات إلى مجموعتين كبيرتين، الركيبات الشرق والركيبات الساحل:



¹⁹² محمد سالم بن لحبيب بن لحسن بن عبد الحي، جوامع المهمات في أمور الرقيبات، ص: 19.

¹⁹³ Leriche Albert, Notes sur les classes Sociales et sur quelque tribus de Mauritanie, Bull, Sc, XVII, 1955, PP :173-202.

¹⁹⁴ أنظر كتاب، جوامع المهمات في أمور الرقيبات، مرجع سابق، من 83 إلى 100.

¹⁹⁵ محمد دحمان، سيدي ايفني الساقية الحمراء في الكتابات الإسبانية (1934-1950)، مرجع سابق، ص: 134.

11) أولاد بوعيطه

يقع مجال الشرفاء أولاد بوعيطية من واد أساكا شمالاً إلى مصب واد درعة، يستقرون في الشاطئ الأبيض. تتكون القبيلة من أفخاذ: أهل رحال واد بلعيد - أهل سيدي مسعود - أهل سعيد بن صالح - أهل بوشنة - أهل عليوة - أهل بادة. وينسبون إلى عيسى ابن دريس الثاني، يمارس التجارة الكثير من أفرادها، وتتوفر أراضيهم على نبات الصبار "أكناري".

12) قبيلة أولاد جلال

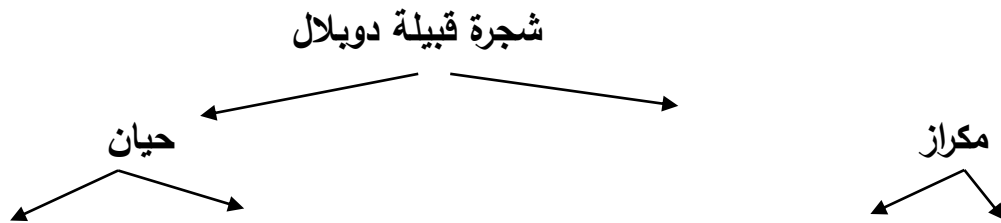
قبيلة من بني معقل بن موسى الهراج بن محمد وهو الشهير بمحمد العالم بن الأمير جعفر السيد بن إبراهيم الأعرابي بن محمد الرئيس بن علي الزينبي بن عبد الله الجواد بن جعفر الطيار بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه. وهي تشترك مع قبيلة أولاد جرار في جد واحد، وتتقسم إلى ستة عروش:

- أولاد جلول/ أولاد علي بن يحيى/ أولاد الطالب/ أولاد الغازي/ أولاد مسعود/ أولاد

بومريم¹⁹⁶

13) قبيلة دوبلال

كانت تستقر واد الساقية الحمراء وواد الذهب، ثم انتقلت إلى واد نون. تنتمي إلى "اتحادية قبائل هلاله من المغارة من ذوى حسان من ذوى مختار من المعقل وهم ذوى بلال بن كنون بن تليلت بن ظريفة بن تكنت بن الوى بن وصيف بن انصفان بن اعراب بن هلاله بن غفير بن حسان بن مختار بن محمد بن معقل"¹⁹⁷



¹⁹⁶ صفحة ملتقى أولاد جلال على الفيس بوك، بتاريخ 2019/08/10 الساعة: 11:45.

¹⁹⁷ بتاريخ: 2018/11/24 الساعة: 12:25 www.alnssabon.com/t42762.html

ينوت مكرز الحجز عطارة البالي

14) قبيلة الشناكلة

قبيلة الشناكلة نسبة إلى شنكلي بن براهيم بن دليم بن رزق بن رعاية بن مزروع بن صالح بن الحراث بن عامر بن مالك بن زغبة بن أبي ربيعة. وتتكون من العروش¹⁹⁸ التالية:

- | | |
|-----------------|------------------|
| - أولاد زياد | - أولاد حويسين |
| - أولاد عباد | - أولاد بوعسيرية |
| - أولاد بن يخلف | - أولاد مبيارك |
| - أولاد الطاهر | - أولاد درعي |
| - أولاد رمضان | - أولاد براهيم |
| - أولاد مريزك | |

15) قبيلة السكارنة

إحدى فروع قبيلة اولاد دليم وتتكون من فروع وهي: أولاد سليمان، الداحنة، وأهل بكار¹⁹⁹.

¹⁹⁸ صفحة قبيلة الشناكلة على الفيس بوك، بتاريخ 2019/08/10، على الساعة: 11:55.
¹⁹⁹ صفحة قبيلة السكارنة الصحراوية على الفيس بوك، بتاريخ: 2019/08/10، على الساعة: 12:00.

المبحث الثالث: طبيعة العلاقة بين الثقافة والقبيلة

1) البداوة كنمط عيش بالمجتمع القبلي

أ) تربية الماشية

تلعب تربية الماشية أدوارا اجتماعية، ثقافية، طقوسية، وقيمية في النظام الاجتماعي بالصحراء. الذي يسود به الطابع البدوي فتربية الماشية لا تقتصر بالضرورة على العيش والترحال بل تتعداها إلى علاقة نفسية تجذب الإنسان إلى الحيوان. هذه العلاقات المعقدة لا يمكن أن تراها إلا في المجتمعات الرعوية حيث تتطور إلى ثقافة تحكمها ضوابط يجب احترامها. "فهي ترمز إلى السمعة وأيضا إلى شرف الشخص الذي يملكها، سواء ركبها أم لا"²⁰⁰، وهو مادفع مجتمع البيضان إلى الاعتناء بها والسهر على تكاثرها، فهي مورد رزقه، "حيث إن ضياع هذا الحيوان أو موته قد يؤدي بمالكة إلى الانتحار، وهو ما يعكس القيمة الخاصة للقطيع"²⁰¹.

إن مكانة الحيوان في المجتمعات الرعوية "تصل إلى درجة التماهي"²⁰² بين المالك والحيوان، وقد اهتم المجتمع البيضاني بتربية الخيول والإبل على الخصوص. لأدوارها في السلم والحرب وما تمده لمالكها من اللحم واللبن والجلد. فهي تتمتع "بقوة الحضور في المعارك وسرعة البداة وسلاسة الحركة، وإنها صفات تتماهى مع الفارس الذي يمتلكها،

²⁰⁰بير بونت، إمارة أدرار الموريتانية: الحريم التنافس الحماية في المجتمع قبلي صحراوي، ترجمة: بوعليية بن الغراب، دار النشر حصور، الطبعة 2012/2، نواكشوط، ص: 339.

²⁰¹Bonte Pierre، **Classe et parenté dans Sociétés segmentaires** ، Dialectique، N° 21، 1977، P : 69.

²⁰²عبد الحميد فائز، الحرب في المجتمعات الرعوية، اليات إنتاج العنف في المجتمع البيضاني قبل الاستعمار، مركز الدراسات الصحراوية، أبي رقراق، 2015 ، ص: 111.

وكان شرف المحارب متصل بشرفها، فإذا تمت إزايته أو قتلها وكان لفارس أصيب أو قتل²⁰³.

تعتبر الثروة الحيوانية دعامة أساسية للقوة ومكانة القبيلة في الصحراء، فتربية الماشية يعطي القبيلة التطلع إلى أفق أوسع. فتأثرها الاجتماعي والاقتصادي يجعل القبيلة والأفراد يطمحون إلى كسبها، فتربيتها تعلم البدو الصبر على قساوة الصحراء فالجمال لا يتأثر بالحرارة، ويمكنه الصبر على العطش أكثر من أسبوع في حال عدم قيامه بأي جهد²⁰⁴. وهذا انعكس على مالكة الذي يستمد من الجمال الصبر والحفاظ على الماء في الصحراء القاحلة.

فالماشية محبوبة لدى البدو لأنها مصدر الدواء لإمراض عديدة، فالدهن المستخرج من المعز والغنم يعالج السعال وأمراض رئوية. و"شحم الجمال لم يوضع في موضع الا هربت الحيات منه، وسنامه يذاب ويطلبي للبواسير فيسكن وجعها، وكرشه فيه غدة إذا أخرجت وسحقت بالخل كانت أنفع الأشياء للسموم القتالة، ووبره إذا أحرق وذر على الدم السائل من الجراحات قطعه، وإذا ذر لبن النوق على الجراحات نفعها من التسمم، والتمضمض به ينفع الأسنان المأكولة، وبعر الجمال الرعاف ويمنع الجدري ويزيل التآليل"²⁰⁵.

(ب) الإنتاج الزراعي (الموسمي)

تتشكل علاقة الإنسان البدوي بالأرض من خلال الإنتاج الزراعي، فهي مصدر قوته اليومي وعلف ماشيته، فمننتوج الأرض يضمن عيش أفراد القبيلة وماشيتها ويحقق للقبيلة اكتفاءها الذاتي. وبهذا تصبح القبيلة مستقلة عن القبائل المجاورة فهي تزرع وتحصد أرضها.

²⁰³ المرجع السابق، ص: 112.

²⁰⁴ محمد رمضان، **الجمال**، معلمة المغرب، مطابع سلا، 1998، 3088/IX.

²⁰⁵ زكرياء بن محمد القزويني، **عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات**، تحقيق: فاروق سعدن، دار الافاق الجديدة، بيروت، 1973، ص: 405. و عمر بن مضفر بن الورد، " خريدة العجائب و فريدة الغرائب"، دار العلم للجميع، القاهرة، ط2، 1939، ص: 199.

"فالتعارضات والنزاعات يكون مصدرها بالأساس هو الأرض والدفاع عنها وما يرتبط بها من منافع"²⁰⁶. تقل في الصحراء الأراضي الصالحة للزراعة يشتد الصراع بين القبائل على ملكيتها، وخصوصاً حينما تنعدم حدود واضحة بين أراضي كل قبيلة. فتوالي سنوات الجفاف تصبح الأراضي الصالحة للزراعة وجهة يقصدها أهل الصحراء من أجل ضمان الكلاً لماشيتهم، وقبل أن يحطوا خيامهم بها ترسل جماعة القبيلة "البواه"²⁰⁷ لاستطلاع المكان.

تجدر الإشارة أن قبائل الصحراء يزرعون الأرض في موسم تساقط الأمطار، حيث تتم زراعة الحقول القريبة من الوديان وخصوصاً على امتداد واد درعة. أما باقي مناطق الصحراء فتتم زراعة "الكرابر"²⁰⁸ في الساقية الحمراء والتيرس بواد الذهب. وينتج عن هذا النشاط ارتفاع الإنتاج الزراعي من القمح والشعير، بالإضافة إلى ما توفره الأراضي من محاصيل زراعية للماشية كالتبن. وكل هذا يؤجل الصراعات بين القبائل إلى حين.

(2) اللغة

(أ) الحسانية

تشكل الحسانية لغة المعنى للسكانة الصحراء من واد نون إلى نهر السينغال جنوب موريتانيا، وهي تختلف عن اللهجات الأخرى بفعل خصوصياتها الصوتية والصرفية، وجوانبها المتنوعة، حيث "يتنافس أعيان كل قبيلة في تشجيع الفنانين والشعراء باستقطاب أحسنهم"²⁰⁹. والحسانية هي الأقرب إلى اللغة العربية، واستطاعت الحفاظ على مكوناتها مع

²⁰⁶John waterbury، LE Commandeur des Croyants، la monarchie marocain et son élite. Puf. Paris. PP :87.

²⁰⁷البواه: أفراد من القبيلة ترسلهم الى أماكن بعيدة لمعرفة أحوال التراب.

²⁰⁸الكرابر: مفرد كرارة تعني اراضي خضراء متفرقة، تربتها صالحة للزراعة.

²⁰⁹أحمد عيدون، أزوان الموسيقى الحسانية رحلة في عمق المغرب الصحراوي، سلسلة تاريخ و مجتمعات المغرب الصحراوي، دار النشر. DTG Socoété Nouvelle ، وكالة الجنوب، ص: 11.

فوارق من منطقة إلى أخرى، وتضمن اللغة الحسانية التماسك القبلي والعائلي، وتسمح لاندماج الأفراد في نمط عيش الرحل المعتمد على العادات والتقاليد.

تسهم التنشئة الاجتماعية في استمرار اللغة الحسانية، بفعل اجتماع أهل الصحراء على كؤوس الشاي في خيامهم وبيوتهم، وخلال يتبادلون أطراف الحديث حول مختلف القضايا بالحسانية ومن أدخل كلمة خارجها يتم "تشكيرها"²¹⁰. فالحسانية رمز للهوية الصحراوية والدفاع عنها وصيانتها ضرورية لدى كل القبائل بالصحراء.

ب) الصنهاجية

من المعروف تاريخيا أن قبائل كدالة ولمتونة ومسوفة قبائل صنهاجية، استوطنت الصحراء قبل الإسلام، وقد أسسوا بواد نون مدينة نول لمطة. فقد امتد مجالهم حتى نهر السنغال جنوبا، فالقبيلة الصنهاجية حسب العروي "عبارة عن تجمعات حزبية وحدتها المصالح المشتركة والدفاع عن النفس"²¹¹.

هذا الامتداد التاريخي والجغرافي في الصحراء أصبح عامل أساس في تكون ثقافة الصحراء، فرغم الموجات البشرية التي عمرت الصحراء الأطلنتية كان آخرها موجات الهجرة لبني معقل وبني حسان بعد الفتح الإسلامي. وبسط هيمنتها على الصحراء فإن الثقافة الصنهاجية ما زالت تكسر هيمنة الثقافة الحسانية. ويظهر ذلك جليا في بلاد واد نون حيث ترى انتشار الثقافة الأمازيغية في أغلب واحات واد درعة، رغم الحروب الطاحنة التي اندلعت بين القبائل الأمازيغية والعربية. فالقبائل المعقلية تأثرت بالثقافة الأمازيغية في مستويات عديدة، أهمها اللغوية فقد أصبحت الحسانية تتشكل من كلمات كثيرة هي في الأصل أمازيغية. فظروف الاستقرار التي عرفت القبائل المعقلية والحسانية والمصاهرات مع القبائل

²¹⁰ تشكر: تعني إذا زل لسان أحد أفراد الجماعة بكلمة دخيلة على الحسانية يتم تصحيحها و معايرته بها.

²¹¹ عبد الله العروي، تاريخ المغرب، الطبعة الأولى، المصدر، الصفحة 76/57.

الصنهاجية، وتشكل اتحادات بها قبائل أمازيغية كاتحاد تكنة، كل ذلك أدى إلى تلاقح بين الثقافة الصنهاجية والحسانية. حتى أصبحنا نتحدث عن ثقافة عربية/أمازيغية، ثم اندماج بين هاتين الثقافتين رغم اختلاف بين المناطق وهذا راجع الى عدم وجود العنصر الامازيغي بها.

ت) غزي (المغازي)

تتميز تجارب الحروب التي خاضتها القبائل الصحراوية بتجدرها في ثقافة الصحراء، لم تحمله من دلالات رمزية ومساهمتها في بناء الوعي الجمعي للمكانة القبلية. وضرورة الالتفاف حولها لما توفره من حماية لأفرادها ولغياب الثقة في كل ما هو خارجي يقتدي الحيلة منه ووضع مسافة معه.

يتميز تاريخ الصحراء بحروب كثيرة على طول تراب البيضان، حيث "وقعت حروب عديدة في موريتانيا في منتصف القرن 17، قلبت نظام وشروط الحياة لدى القبائل المغربية"²¹² فالتجارب التي خلفتها حرب شريبه في الثقافة القبلية بالصحراء، حيث تغلبت قبائل بني حسان على قبائل صنهاجة رغم قلتها في العدد والعدة، فاختارت مجموعة كبيرة من صنهاجة الانصهار في قبائل بني حسان مما أثر على البنية الاجتماعية للقبائل، وأصبحت اللغة العربية السائدة في الصحراء، وقد كانت "إمارتي الترارزة والبراكنة السبب المباشر فيها"²¹³.

أخذت الحروب أبعادا متشعبة في الصحراء منها ما هو اجتماعي واقتصادي أو تنظيمي، وذلك راجع إلى الظروف التي تعيشها المنطقة وعدم الاستقرار لكل قبائل الصحراء.

²¹²MARTY PAUL، « Etudes sur l' Islam et les tribus maurs : les Brakna » Ernest Leroux، Paris، 1921، P : 16.

²¹³Rahel BOUBRIK « ENTRE DIEU ET LA TRIBU Homme de religion et pouvoir politique en Mauritanie » Centre des Etudes Sahariennes et faculté des Lettres et des sciences Humaines- Rabat. Bouregreg، 2011، P : 34.

فالمجال كبير ومتسع يغلب عليه طابع الغموض والقساوة، تولد عنه سلوك الحذر من الآخر والثقة في أبناء العمومة (القبيلة). ونتج عن كل هذا "حروب غزي" بين قبائل الصحراء من أجل تحقيق مكاسب على مستوى الرعوي أو على المستوى الثقافي. فالبناء القبلي في تلك المرحلة أدى إلى تضخيم السلوك الحربي لدى القبائل بفعل تجدر مفاهيم كالشجاعة والجرأة وسرعة البديهة وحسن الرأي.

فالملاحظ أن "اضمين غزي"²¹⁴ أو "قائد الحرب" يتصل "بمكانيزمين اثنين الأول يتعلق بالنسب والثاني بالانتماء إلى الفروع القبلية الأكثر تمثيلية وحضورا وعراقة، هذه الميكانيزمات سنجدتها حتى في الإمارات البيضانية لكن بصيغة أخرى، فضلا عن "الكفاءة الحربية" التي يتصف بها المحارب"²¹⁵، وقد أثرت حروب غزي في تاريخ الصحراء إن على مجالها أم على التحالفات وخصوصا القبائل الصغيرة التي اضطرت لطلب الحماية من القبائل القوية، "ثقافة النهب والسلب" و"الثأر" هي السائدة في تلك المرحلة، حتى أن السلوك الثقافي للإنسان الصحراوي أصبح يتجه للعنف. ما جعل القبائل تكون مجلس وزعماء الحرب فـ"دائما يوجد زعيمان الأول يحكم زمن السلم، والآخر يأمر خلال الحرب"²¹⁶.

²¹⁴اضمين غزي: يتحمل مسؤولية قيادة " غزي" القبيلة في زمن الحرب.

²¹⁵عبد الحميد فائز، الحرب في المجتمعات الرعوية اليات إنتاج المجتمع البيضاني قبل الاستعمار، ص: 83.

²¹⁶Poulet، G.، « Les Maures de l'Afrique occidentale française » A، CHALLAMEL، Paris، 1904، P : 14

خاتمة:

رغم التحولات التي عرفتھا الصحراء بعد الاستقلال، فإن ثقافة أهل الصحراء تستمد من مقومات عاشتها الصحراء في مرحلة البداوة. حيث تشكل الحياة القبلية على معطيات تمثل الثقافة مركزها. من خلال استعراضنا لقبائل الصحراء نلاحظ أن مجالها يصل حتى الجزائر وموريتانيا، وذلك راجع إلى تنقل البدو من أجل الرعي، فالركبيات مثلاً يمتد مجالها حتى مالي. وتُعرف حدود كل قبيلة عن حدود القبيلة الأخرى. وقد مرت الصحراء بمجموعة من الأحداث من بينها غزي، الذي استلهمت منه قبائل الصحراء العديد من القيم التي ساعدت في التفاعلات الاقتصادية والاجتماعية. فأصبحت تؤدي وظيفة ثقافية سياسية واجتماعية.

الفصل الثالث: علاقة القيم الثقافية والدينية ببناء النظام القبلي.

مقدمة:

تهتم الأنثروبولوجيا في دراستها للمجتمعات البدوية بقواعد التنظيم داخل العائلة، الجماعة، والقبيلة، من أجل معرفة الأسس المنظمة للعلاقات داخل هذه المؤسسات الاجتماعية، وأسباب انصهار أفراد القبيلة فيها ثم الامتثال لأوامرها وعقوباتها. ففوة القبيلة رهين بقوة امتثال عناصرها لقوانينها وأعرافها، من هذا المنطلق فإن المؤسسات الاجتماعية للقبيلة تعمل على تربية أبنائها على احترام القبيلة ومكوناتها والسهر على تسويق ارثها التاريخي أمام قبائل الصحراء.

يتناول هذا المبحث تحديد مكانة مؤسسة الزواج،مدى أهميته لدى علم الاجتماع والانثروبولوجيا لفهم طبيعة البناء الاجتماعي المعقد للمجتمع الصحراوي، لكون الزواج نسق من مجموع الأنساق الاجتماعية، وما يرتبط بها من أمور الحفاظ على التوازن السياسي والاجتماعي، وبذلك يمكن القول أن تفسير الكثير من العادات والتقاليد والظواهر السلوكية، يقتضي فهم مؤسسة الزواج ودورها في بناء العلاقات داخل القبيلة.

عرفت الصحراء منذ مجيء الإسلام العديد من الطرق الصوفية، بفعل ارتباط الإنسان الصحراوي بالدين. فالظروف القاسية بالصحراء جعلت الدين جزءا مهما في حياة أهل الصحراء، وهذا جعل الباحثين في الانثروبولوجيا والسوسيولوجيا يسلطون الضوء على علاقة الدين بمجموعة من المظاهر الثقافية والاجتماعية والسياسية.

المبحث الأول: قواعد التنظيم القبلي

1) نظام العرف/الشرع

لفهم آليات اشتغال النظام الداخلية للقبيلة وطريقة تنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد القبيلة ومحيطها الخارجي. لابد من فهم نظام العرف الذي يتضمن القوانين المهيكلية لتسيير شؤون القبيلة الداخلية والخارجية، وتتبع هذه التشريعات من الدين الإسلامي والمعتقدات والعادات المتوارثة بين أفراد القبيلة، فالبدويون "في اتحاد وتوافق يومي مع الطبيعة ويحققون نشاطاتهم التي تسمح ببقائهم جسدياً وروحياً، متبعاً التوقيت الفلكي"²¹⁷ ويستلهمون منها قوانينهم العرفية التي تسهل طريقة عيشهم وتنظيم حياتهم الرعوية.

هناك تمازج بين العرف والشرع ف"النصوص القضائية تستمد مصدرها من العرف والشرع"²¹⁸ فالدين الإسلامي أساس لكل الأحكام القضائية في النزاعات الداخلية والخارجية والعرف، وقد تبلور ذلك في "كتاب البادية" للشيخ محمد المامي.

أُعتمد القانون العرفي والشرعي كالوثيقة مرجعية لكل قبيلة في الصحراء لحل نزاعاتها، وهي "بنود وإجراءات احترازية للحيلولة دون تفكك الرباط وضمان الالتحام كل مكونات الاتحادية، فالتلاحم الناتج عن هذا العقد يجد تبريره في حالة اللا أمن المحيطة بكل أفريك وقرية"²¹⁹. وتعيش القبيلة في نظام اجتماعي وسياسي متحول بفعل تغير التحالفات، والانتقال من حلف إلى آخر حسب الظروف المحيطة بالقبيلة، فقبيلة يكوت التي تنتمي إلى اتحاد تكتة انتقلت من حلف أيت الجمل إلى حلف أيت عثمان بفعل خلافها مع قبيلة أيت لحسن.

²¹⁷ Makilam « Signes et rituel magique des femmes kabyles. Aix – en – Provence » Edisud ، 1999 . p : 13.

²¹⁸ رجال بوبريك، دراسات صحراوية: المجتمع و السلطة و الدين، مرجع سابق، ص: 131.

²¹⁹ أطروحة جامعية لنيل دكتوراه وطنية تحت عنوان: دور تحالفات أيت أوسى في ضبط المجال ما بين القرن 19 و القرن 20، في القانون العام، تخصص: علم السياسة، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية، عين الشوق: الدار البيضاء، من انجاز: الحافظ بنمان، وتحت اشراف: الدكتور محمد الطوزي. ص: 229.

إن القبيلة "مؤسسة منظمة وقائمة على أسس اجتماعية وسياسية وجهاز قضائي يراعي خصوصيتها وظروفها، ولم تكن القبيلة على المستوى الديني جامدة في تعاملها وتأويلها للنص الشرعي بل خلقت ما يشبه قانونا وضعيا يتكيف مع ظروفها"²²⁰، و"الاحتكام للعرف الذي يعبر في عمقه عن روح العلاقات والممارسات القبلية البدوية"²²¹ الظروف الصحراوية الصعبة. والقائمة على مبادئ لا يمكن تغييرها كالشرف والكرامة والشجاعة.

يطرح قانون الأعراف القبلية إشكاليات عدة تتصل بسلطة القاضي، والعقوبات المالية والفصل بين ما هو جنائي وما هو مدني. فأحكام القاضي المكتوبة لا تطبق (إلا بعد موافقة أجماعة أو أربعين عليها) عكس أحكام آيت أربعين الشفوية النافذة (بدون استئناف). يقتضي تنفيذها الكثير من الحكمة والرزانة من طرف الأفراد الذين كلفتهم آيت أربعين لتنفيذ هذه الأحكام، ومن الأحكام من يتطلب سنوات من أجل تنفيذها وذلك راجع إلى الظروف السياسية والاجتماعية بالصحراء.

ينبني قانون الأعراف القبلية بالصحراء في جوهره على العقوبات المالية، "لأن العقوبة المالية جرى بها العمل بها في البلاد السائبة"²²²، ويستبعد العقوبات الحبسية ونجد ذلك صراحة عنوان رسالة محمد الأمين بن أحمد زيدان الجنكي في منع إقامة الحد في البلاد السائبة، حيث أن قبائل الصحراء يصعب عليها تنفيذ عقوبات حبسية، أو عقوبات تتعلق بالطرد من القبيلة والمجال، وذلك راجع إلى العلاقات الاجتماعية القائمة على القرابة والمصاهرة. وهنا فإن شيوخ القبيلة يسهرون على ضمان قوة الروابط الاجتماعية، وعدم

²²⁰رحال بوبريك، دراسات صحراوية: المجتمع و السلطة و الدين، مرجع سابق، ص: 139.

²²¹رحال بوبريك، زمن القبيلة، السلطة و تدبير العنف في المجتمع الصحراوي، مرجع سابق، ص : 117.

²²²De BEAUVAIS، M ، V ، « Genèse de la hiérarchie social et du pouvoir politique bidàn » In ; Cahiers d' études africaines. Vol. 37 N° 147، 1997، p :587

تفككها بفعل عقوبات قد تضعف القبيلة أمام القبائل الأخرى، ويؤثر على عصبيتها المستمدة من التعاون والتكافل في وقت السلم والحرب.

هنا لابد من تسليط الضوء على الشرع والعرف في زمن طغت فيه الحروب على الصحراء. قد يلاحظ الباحثون في دراساتهم أن الحروب في الصحراء تتميز بطول المدة و"انقلاب" في النظام الاجتماعي والسياسي، حيث يصبح مجلس الحرب له السلطة العليا في اتخاذ القرارات الملزمة لجميع مكونات القبيلة، "حينما يتهدد خطر على القبيلة، أو حينما تفرض الحرب على القبيلة، كانت الجماعة تعين رئيساً للحرب، وعادة ما يكون هذا الرئيس شخصاً آخر غير شيخ الجماعة"²²³. وهذا التغير في هرم السلطة في القبيلة، ينتج عنه تغير في إصدار الأحكام، وأسلوب في تسيير القبيلة يعطي لحالة الحرب التي تعيشها القبيلة، أكثر من اهتمامه بتطبيق الشرع، الذي يكون رئيس الحرب قليل الدراية به.

(أ) الدية

إن إزالة الضرر بالنسبة للضحايا في الصحراء يكون في الغالب بواسطة الدية، ففي المجتمع القبلي وحالة السبية يكون تطبيق القصاص من الأمور الصعبة. وحتى الفقهاء يتفقون على الدية رغم خلافهم مع الجماعة القبيلة على الأحكام الصادرة عنها، فهم يجمعون على الدية في نوازل عديدة.

"أن الدية لازمة للقبيلة كلها يتحمل أعيانها المعهودين بالقيام فيما للمفسدة مصلحتها ودرء المفسدة عنها، ولا يخفي أنها دافعة للمفسدة عن الجميع (...). وأيضا العمل بالسياسة مما نص عليه الأئمة الأعلام في كتب النوازل والأحكام ولا يخفي أن إجراء الأحكام في هذه البلاد السائبة متعذر فلذلك تعذر القصاص من القاتل لامتناعه منه بحيث يترتب الفساد على محاولة أولياء القتل على الاقتصاص منه، إذ يؤدي ذلك إلى الهرج الذي هو جدير بفساد الدين وإتلاف النفوس والأموال. وكذا معلوم بالضرورة أن أولياء القتل لا يرضون أن يهدر

²²³كارو باروخا، النظام الاجتماعي التقليدي، مرجع سابق، ص: 204.

دم صاحبهم بل يؤدي ذلك إلى الفساد الذي ذكرناه فبتعين بمقتضى السياسة أن يجبر أولياء المقتول على القبول للدية²²⁴.

رغم الحروب التي عرفتھا الصحراء واضطرار القبائل إلى شن الحروب على بعضها البعض، فإن الدية تعبیر صريح عن تجنب أهل الصحراء الدم وما يخلفه من أحقاد ونزاعات، والتي قد تصبح أحقاداً نفسية يتوارثها الصغار عن الكبار، وهذا يؤثر في بلورة علاقات اجتماعية متوازنة ومتكافئة.

الدية عند ساكنة الصحراء محاولة لجبر الضرر المادي والنفسي للضحية والعائلة والقبيلة، وتستمد قوتها من الدلالات الرمزية لها، والتي تبين التضامن الكلي أو النسبي من خلال السؤال عن الضحية، وحالته وإمكانية المساعدة وقت حدوث الفعل، والدخول في مفاوضات في إطار جماعة القبيلتين وشيوخها لتقييم الأضرار، وتحديد الدية المطلوبة من أهل الجاني، وكلما كان أداء الدية في وقت قياسي كلما كان أثرها النفسي على أهل الضحية إيجابياً.

تؤدي الدية من جميع القبائل بالصحراء، مهما بلغ حجمها فليدفعها نفس الحقوق وعليها نفس الواجبات. فالقبيلة الكبيرة ليس لها أي امتيازات أو حقوق في عدم تقديم الدية لقبيلة مهما بلغ صغر حجمها، وهذا النظام في تأدية الدية يكرس مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين القبائل. وكل قبيلة تخرج عن هذا النظام، تدخل في حرب مع القبائل المتحالفة ضدها.

²²⁴ يحيى بن البراء، الفقه و المجتمع و السلطة، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 1994، ص: 77-78.

ب) العقوبات

يأتي هذا المحور للتعريف بالعقوبات والإجراءات في حل المنازعات القبلية بالصحراء، وتهدف إلى تقنين غريزة الثأر بين أعضاء القبيلة. وترسيخ مبدأ العقاب في الجرائم المرتكبة داخل القبيلة أو خارجها مهما كانت قرابة الدم، هذه العقوبات مستمدة من الدين الإسلامي وهي أحكام ثابتة وتستمد شرعية تغييرها من اجتهاد الفقهاء، الذي يصعب في أوقات كثيرة على القبائل والزوايا والفقهاء تغييرها، ثم حدوث بعض النوازل التي تستوجب الفصل فيها بسرعة. وهنا يتم اللجوء الى العرف، "والملاحظ أن العرف غير ثابت، بل يخضع دائماً للتغير والتأقلم بحسب الحالة أو الوضع أو المجال الجغرافي، فضلاً عن ذلك، فهو لا يمثل فقط الجوانب الزجرية والعقابية، بل يجسد أيضاً وحدة العشيرة أو القبيلة"²²⁵.

تتكلف الجماعة في شخص الشيخ بتنفيذ هذه العقوبات على مرتكبها بعد اتفاق قد يدوم لأيام حسب نوع الجريمة وفاعلها. الذي يلتزم الحياد في تنفيذها والمرونة في الزمان والمكان، وذلك راجع إلى حساسية ودقة الموقف الذي يتطلب منه الصرامة والحكمة والتبصر، حتى لا تخرج الأمور عن السيطرة فكل الأطراف تنتمي إلى القبيلة.

(2) "أيت الأربعين"

جماعة الحل والعقد أو أهل الحل والربط، كما تسمى كذلك "جماعة الاربعين" أو "أيت الاربعين" أو "أيت لربعين"²²⁶.

ويختلف الباحثون في سبب تسمية "أيت الأربعين" بهذا الاسم، فحماد الله ولد السعد في كتابه تاريخ موريتانيا يرجع هذه التسمية إلى "الأربعين قبيلة صحراوية التي كانت جماعة

²²⁵ عبد الله هرمار، زمن القبيلة وإشكالية السلطة والعرف في المجتمع الصحراوي، مجلة: عمران، العدد: 4 ربيع 2013، ص: 240.

²²⁶ ديوان قبائل أيتوسى، مخطوط خاص.

الحل والعقد في الصحراء"²²⁷، بينما يرجعها البعض لعددتها، اربعون ممثلاً للقبائل، يتفق مع التأويل ديوان أيتوسى ويختلف معه قبائل الرقييات، الذي يتألف من خمسة عشر إلى ستون شخصا، وهناك من يؤول الأمر بالسن، أي، ممثلي القبائل الذين وصلوا أربعين سنة²²⁸.

أما محمد سالم ولد عبد الحي فيحدد كتابه جوامع المهمات في أمور الرقييات ظروف نشأتها "وذلك أن الرقييات لما تتاسلوا وكثر مالهم وانتشروا وصاروا قبائل شتى ونشابتهم أطراف الرماح اجتمعوا وتشاوروا في أمر مهم، فاتفق رأيهم أنهم إذا نزل بهم أمر مهم كالخوف يجتمعون في مكان واحد ويختارون من أعيانهم ويقدمون عليهم رجلا منهم معروفا بالشجاعة والجرأة وحسن الرأي ويكون معه رجال اختارتهم من القبيلة. والجماعة يسمونها أيت أربعين. والرجل يسمونه المقدم. ويحدون زواجر على كل احد فعل أمرا فيه فشل للقبيلة أو خالف الجماعة"²²⁹.

أما ديوان قبائل أيتوسى، فيقدم ظروف كتابة القانون المنظم لشؤون أجماعة. "نعم، واتفقت هذه القبيلة (ايتوسى) الضخمة تحت رئاسة من له النظر تلك الساعة في أمورها وله اليد العليا في كلامها وشؤونها، الظاهر منها والخفي وعلم أن ذلك لا يليق الخروج منه، ووافق الجماعة أهل الحل والربط وانتدب من قبيلته ما ينوب عنه من كل فخذة لأنه لا يحضر بين أيت أربعين، ولكن هو كمثل الغطاء... واتفقت ونادت بأعلى صوتها للفقهاء... وكتب ذلك بموافقة القبيلة تماما في ظرف أيام يقل عن الشهر، وكل مسألة يشاور فيها من كان كبيرا أو صغيرا ذو عقل سديد، ويأمر المقدم بإنقاذها، والمقدم يأمر الفقيه بكتبتها

²²⁷ ولد السعد، حماد الله، تاريخ موريتانيا، 2007، منشورات الزمن، ص: 132.

²²⁸ لم تنزل الرسالة على الرسول ص إلا بعد بلوغه سن الأربعين.

²²⁹ ولد عبد الحي محمد سالم، جوامع المهمات في أمور الرقييات، ص: 76.

ويكتبها، وتمسكوا بأذيالها حتى قدمت افرنسه، ووجدت القبيلة متمسكة بالشرعية وأحكامها وأيت ريعين يسدون للذريعة سدها²³⁰.

تتشكل أجماعة من أعيان القبائل أو أهل الحل والعقد الذين لهم القدرة والقوة في الفصل في كل الأمور المتعلقة بالقبيلة، الشرعية والسياسية والاجتماعية والعسكرية والاقتصادية، لذلك ينتدبون عنهم أو ينتخبون أشخاصا يتوفر فيهم شرط الشجاعة وحسن الرأي ليشكلوا مجلس أيت الاريعين أو جماعة الاريعين.

تعيد صوفي كارتيني صياغة أطروحة ولد عبد الحي بشكل، بتبيان الاختلاف بين أجماعة وأيت الاريعين، بالتفريق بين وظيفة كل منهما. "أيت الاريعين تقوم بالتنظيم وتنسيق الإجراءات تجاه الحروب وتتبعها، أما مجلس الحروب وبناء الاستراتيجيات فهي الجماعة"²³¹. نلاحظ ثمة تداخل بين مجلس أجماعة ومجلس ايت أربعين، ويميز ديوان أيتوسى ومحمد سالم ولد عبد الحي وصوفى كارتيني بين هذين المستويين، لكن دون الدخول في تحديد وظيفة كل منهما: التشريعية القضائية العسكرية السياسية الاجتماعية والاقتصادية، لكن الثابت أن لأيت أربعين وظيفة عسكرية حددها محمد سالم ولد عبد الحي بالقول أن سبب تشكيلهم لهذا المجلس إنما راجع للخوف الذي نزل بهم، وشاهده في ذلك الدور الذي لعبه هذا المجلس في الوقوف إلى جانب أيت بلا في حربها ضد أيت الجمل سنة 1894.

كما يثبت الدور التنفيذي والقضائي الذي تمارسه أيت أربعين بدليل وجود قوانين كثيرة في هذا المضمار، كديوان إتحادية تكنة وديوان قبائل أيتوسى وديوان لكواسن (ركيبات الشرك) وغيرها. ويورد حماه الله ولد السعد قضية حكم أيت أربعين على يحيى العلوي جد

²³⁰ ديوان قبائل ايتوسى.

²³¹ Caratini, S, « Des Modèles aux pratique : ambivalence de la filiation de l' alliance chez les Regybat de l'ouest-saharien », IN : L'Homme , 1995, tome, 35 n° 133, P :41.

'إداو علي'، والذي كان من مدينة أبير (قرب شنقبط) وأشرفها، حيث اتفق المجلس على تغريبه عدة سنين.

تتحدد وظيفة أيت أربعين و صلاحياته في سلطة تنفيذية تتصل بكل ما هو عسكري حربي واستراتيجي، بحماية القبيلة أفرادها ومجالها من أي أو تعسف خارجي قد يطاله، وكذلك في سلطة قضائية (تحقيق العدالة) خصوصا في جانبها الجنائي الجزائي (زواج)، تشرعه جماعة القبيلة وتوافق عليه هيئة قانون مكتوب، والذي يسمى "عرفا أو ديوانا أو لوحا"²³².

كما يصعب الفصل بين ما هو جنائي ما هو مدني في قوانين أيت أربعين، ففي الصحراء توجد قوانين خاصة بالواحة (الماء) والدشر (القصر) وأماكن الانتجاع (الرعي) والحرث (المعذر) والزواج والطلاق (الأعراف) والحماية والذبيحة، لذلك نجد أنه قد تمت صياغة أعراف لتنظيم طريقة الاستغلال الفردي أو الجماعي لها.

(أ) "أجماعة"

إذا كانت السوسيولوجيا والانتربولوجيا قد اهتمتا منذ تأسيسهما بالظاهرة القبلية، فإن دراسات الباحثين التي أنجزت في الصحراء الاطلنتية ركزت على الجماعة، ويطلق على الجماعة باللغة الحسانية "أجماعة"، إذ "يصف مونطاني 'الجماعة' بشكل واضح وبسيط شيء. فهو يعتبر 'أجماعة' المحرك الرئيس للقبيلة لكونها تملك السلطة الادارية والتشريعية، الأمر الذي دفعه إلى اعتبار القبيلة 'جمهورية مستقلة'²³³. فهي تستمد قوتها من التفاف القبيلة عليها وعلى قراراتها التي يصعب الشك أو الرجوع عنها.

²³²أحمد العثماني، ألواح جزولة والتشريع الاسلامي، الرباط، وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية، ، الطبعة 2004 ، ص: 99.

²³³أحمد مهديان، السوسيولوجيا القروية بالمغرب مقاربات وقضايا، منشورات: كلية الآداب و العلوم الإنسانية أكادير. مطبعة: بدر سوس خدمات أكادير، الطبعة: 2015. ص: 39.

"إن شرعية الجماعة ليست اجتماعية وسياسية فقط، بل شرعية دينية أيضا، قد تقوم مقام السلطان في الحفاظ على أحوال المجتمع من الانحراف والتسيب وانتشار الفوضى والمفاسد"²³⁴ فإذا كان النظام القضائي لدى الركييات القواسم يحتكم الى "القانون الاسلامي، الشرع، والعرف، والعادة. فإن القاضي يحكم بالقانون الإسلامي، والجماعة فإنها تتبع العرف"²³⁵ والمحافظة عليها والسهر على تتبع تنفيذه. وتتكون الجماعة من مجموعة من الشيوخ ذات فئة عمرية كبيرة تمثل أغلب الفخذات داخل القبيلة²³⁶، لكن بعض القبائل تلتجئ إلى الديمقراطية لاختيار أفراد جماعتها مثل قبيلة "ايتوسى التي تنتخب كل ذكرى المولد النبوي جماعتها"²³⁷.

ر يؤسس الاختيار على مجموعة من الصفات أهمها الشجاعة، الثقة، الفطنة، والقدرة على التسيير، ثم معرفة تاريخ القبيلة والعلاقات السائدة مع القبائل الحليفة بالصحراء التي تجمعها علاقات مودة وإخلاص، فأغلب القرارات التي تصدرها الجماعة تستند إلى التاريخ والظروف المحيطة بالقبيلة هذا فيما يخص العلاقة مع القبائل الأخرى، "لتدخلات جماعة القبيلة والجزء فوائد مهمة في السلم، الحرب، التحالفات، الهدن... والسوق المكان الرئيس لاجتماعات القبيلة أو الجزء."²³⁸

²³⁴ عبد الله هرهار، زمن القبيلة إشكالية السلطة والعنف في المجتمع الصحراوي، مرجع سابق، ص: 238.

²³⁵ Jean- Pierre Charre « les Reguibat l' Goucem. Système juridique et social » Revue de géographie alpine. Année 1966. Volume 54. Numéro 2. P : 345.

²³⁶ Le Capitaine de Furst « Etude Sur la Tribu des Ait Oussa ، Assa le 5 Aout 1939 » centre d'étude et de recherches " Entreprendre "، Réalisé : hammadi habad، Etablir : Haibatna Elhairech، 2011، P : 29.

²³⁷ Ibid، 21.

²³⁸ Michaux-Bellaire « Quelque tribus de montagne de la région du Hapt » A.M.، Vol. 17، 1911، P : 186.

فيما يخص الأحكام التي تصدرها الجماعة فإن أغلبها يستند على جبر الضرر للضحية، والابتعاد عن الدخول في صراعات قد تكلف القبيلة ضحايا من جميع الأطراف، وخصوصاً إذا تعلق الأمر بالمشاكل الداخلية. فالمحافظة على صورة القبيلة أمام القبائل الأخرى أولى الاهتمامات جماعة القبيلة.

قوة اجماعة من قوة القبيلة، وهذا العلاقة الجدلية تقتدي من الجماعة والعناصر المكونة لها اجتتاب كل ما يمكن خلق تناقض بين مكوناتها. والتوجهات الكبرى للقبيلة وفق تحالفاتها الوثيقة مع قبائل تساندها في مختلف الفترات التاريخية، وهذا يتطلب منها المحافظة عليها وتوطيدها. بالإضافة العلم بالخصائص السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحكم النزاعات القديمة والحالية. وذلك لفهم الواقع المحلي المركب لقبائل الصحراء، وفك كل التعقيدات الداخلية والخارجية. فمستوى التناسق بين أفرادها ودرجة ترحاب القبيلة بقرارات اجماعة، يعطي فعالية وحضور للقبيلة في الصحراء.

يمكن التمييز بين «الجماعة» و«المجتمع»، من خلال "إعطاء مثال وحيد لتوضيح الاختلاف بين المفهومين: إن اليهود المشتتين في العالم ويعيشون في لندن ونيويورك وباريس وأمستردام، يشكلون جماعات داخل تلك المجتمعات والدول المختلفة: بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وفرنسا وهولندا... إلخ. تتعايش تلك الجماعات مع أخرى تركية وباكستانية... إلخ. ولكل واحدة منها أساليب في عيشها وتقاليدها الخاصة بها، هذا في حين أن اليهود المشتتين في العالم الذين تركوا هذه البلاد للذهاب إلى إسرائيل، يعيشون من الآن فصاعداً في مجتمع عملوا على تكوينه في الشرق الأدنى"²³⁹.

²³⁹ موريس غودوليه، جماعة، مجتمع، ثقافة. مفاتيح لفهم الهويات المتصارعة، ترجمة: زهرة جابر، مراجعة: سعود المولى، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 12، ربيع 2015، ص: 130.

ب) الشيخ/ القائد/ أمغار

عند الحديث عن الجماعة يقتضي الحديث عن الشيخ فهو الناطق باسم الجماعة، "يكون الشيخ / أمغار في البدء كبير عشيرته، وإذا أبدى أهلية في الشؤون المحلية، وإذا كان يتقن طقوس الكرم وسياسة التآمر، أمكنه أن يشغل التحالفات على نطاق واسع" 240، وتمتد سلطته إلى الأمور الاجتماعية والاقتصادية وعلاقات القرابة والزوجية، وبخصوص طريقة تعيينه، فإن مونطاني يرى بأن اجماعة القبيلة تعقد جمعها مرة كل سنة، وذلك لتقديم الحسابات وعرض المنجزات التي قام بها الامغار خلال سنة كاملة، كما تعمل على تعيين شخص آخر خليفة له، أو إعادة تعيين نفس الشخص لفترة ثانية وأخيرة، خاصة إذا قام بأعمال جليلة لفائدة القبيلة، كما قال بأن هذا المنصب يكون بالتناوب بين ممثلي عظام القبيلة بالتراضي أحيانا أخرى" 241.

لكن تبقى القيادة في الصحراء مرهونة ببعض العائلات كأهل بيروك (أيت موسى وعلي) والشيخ ماء العنين، وذلك لحملهم ظهائر شريفة تشرعن قيادتهم في الصحراء. فإذا كان دحمان ولد بيروك يتمتع بنفوذ سياسي واقتصادي بإتحاد تكنة، فإن الشيخ ماء العنين الذي قال فيه مولاي الحسن "وأنا أجعلك أبا" 242 الذي يتمتع بإجماع أهل الصحراء على نسبه الشريف وعلمه الواسع، جعل منه القائد في الأمور الدينية، ومن صفات القائد بالصحراء، نسرد ما قاله الملازم هنري بيير بيران عن القائد بوزيد ولد الرياني أحد قادة ايتوسي خلال الاستعمار الفرنسي وقد رآه أول مرة "شاب في الثلاثين من عمره، قوي البنية، يبدو الذكاء على محياه الذي تزيته لحية سوداء مرسومة، يلبس لثندورة بيضاء ولثاما أسود، لا يحمل

²⁴⁰ عبد الله حمودي، الشيخ و المريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة يله مقالة في النقد و التأويل، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الرابعة 2010، ص: 111.

²⁴¹ امحمد مهدان، السوسيولوجيا القروية بالمغرب مقاربات وقضايا، مرجع سابق، ص: 40.

²⁴² المعسول ، ج. 4، ص: 98.

تمائم ولا معدات تدخين كأنه يرفض السير على مهيع الموريتانيين، وبما أنه كان يعدل لثامه لاحظت أن رأسه حليق²⁴³ وهذا "الإرث التاريخي للعائلة" أصبح يلزم افراد هذه العائلات للحفاظ عليه.

استأثرت بعض العائلات الصحراوية بالقيادة في القبيلة، حتى أصبحت ترثها جيل وراء جيل، واليوم تجد بعض العائلات تتميز بشهرة، حتى أنها أصبحت تنافس العائلات التي تنتمي إليها. وهذا يجعلها توصي أبنائها للمحافظة على هذه المكانة، وتقدم المساعدة وتتعاون مع أبنائها لقطع الطريق على كل أفراد القبيلة التي تطمح في تكسير هذا الاستحواذ على السلطة وخيرات القبيلة. وتعتبر هذه المنافسة خروج عن ثقافة القبيلة وتنظيماتها الأصلية. التي أصبح وراثية وخروج شيخ أو القائد من عائلات تعرف بذلك شيء طبيعي، وغير الطبيعي هو خروج أحد أبناء هذه العائلات مدمن مخدرات أو قاطع طريق. وهذا يولد لدى عائلته نكسة وللقبيلة تحصر لما وصلت إليه العائلة.

²⁴³ هنري بيبير بيران، مقامي بأسا. محكي حي، ترجمة: هيتن الحيرش، مراجعة: حمادي هباد، مركز الدراسات ولأبحاث 'مشاريع'، مطبعة: المطبعة والوراقة الوطنية، 2017 مراكش، ص: 35.

المبحث الثاني: مؤسسة الزواج واستمرارية القبيلة.

(1) زواج القبيلة

يعتبر الزواج الخطوة الأولى في بناء العائلة في الصحراء، و"هو التعبير عن العلاقة الإنسانية الخاصة التي تنشأ الأسر بنشأتها... وهو تعبير رائع يكشف عن علاقة فريدة بين «ذاتين».. لا تنفى إحداهما عن الأخرى، ولا تنفصل عنها، وإنما ترتبطان برابط لا شبيه له.. يتداخل معه الإحساس بالذات مع الإحساس «بالغير» ويتداخل الشعور أن في انسجام تنفرد به المخلوقات العليا من «خلق الله».²⁴⁴

ينتج الانتماء خارج هذه المؤسسة يقتضي العقوبة والطرده خارج القبيلة، أو الانتقام من الفاعل. ولهذا فالمجتمع القبلي يصهر على الحفاظ على هذه المؤسسة، فالقراية "رابطة قرابية تنشأ بالزواج"²⁴⁵ يتجمع شيوخ، نساء، شباب وأطفال القبيلة للاحتفال بالزواج لمدة سبعة أيام، وهذا يظهر عظمة هذه المناسبة في الصحراء. فهو يكرس وحدة القبيلة وقوة عصبيتها واستمرار قوتها بين القبائل. وخصوصا إذا كان الزواج من داخل القبيلة، فالمثل القديم يقول "أن الدم أكثف من الماء"²⁴⁶. إن "الزواج ليس فقط رابطة بين فردين (الزوجين) وإنما رابطة بين جماعتين قراييتين، وبالتالي فإن هذه الرابطة يتواجد معها نوع من الالتزام على كل الجماعات المترابطة في الظروف والمناسبات"²⁴⁷.

²⁴⁴ عبد السلام الترماني، الزواج عند العرب. في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة)، عالم المعرفة، العدد 80 شعبان 1998، الكويت، ص: 9.

²⁴⁵ نجوى عبد الحميد سعد الله، الأسرة و القراية، مطبعة: دار النور، 2007، القاهرة، ص: 21.

²⁴⁶ Robin Fox، Kinship and Marriage، An Anthropological، Perspective، Printed in Great Britain by C.Vicholls Et Company، 1974، P: 15، Introduction.

²⁴⁷ نجوى عبد الحميد سعد الله، الاسرة و القراية، مرجع السابق، ص: 103.

في مثل هذه المناسبات يحضر البعد الديني، وهذا يجسد سلطة الموروث الديني وعظمته في ممارسة الزواج في الصحراء، وهذا الموروث يتجذر في الذهنية والعقيدة الاعتقادية لدى القبيلة وشيوخها والزوايا. لهذا فإن الطقوس والمعتقدات الدينية المصاحبة لحفل الزواج، يجب أن تطبق وفق مراسيم محددة ومعروفة تقوم العائلتين بهذه الطقوس الدينية من أجل مرور مناسبة الزواج بفرح وسرور. وفي حاله وقوع أي مشكل فهذا سيؤثر في الزواج وفي استمراريته فيما بعد.

يشد الارتباط بالنظم الاجتماعية للقبيلة، التي تمارس على الفرد نوعاً من الالتزام والرقابة على أفعاله وتصرفاته. ولا ينكر الفرد انتماءه القبلي وولائه لها من خلال الدفاع عن عاداتها وتقليدها، واعتبارها الصورة المثالية في الصحراء، التي يجب فرضها على القبائل الأخرى من خلال قوة عصبيتها.

يتسم الزواج خارج القبيلة بالتمرد على نمط الزواج السائد بالقبيلة الذي يستوجب على الأبناء الزواج من بنات القبيلة الذين يعتبرون "بنات العمومة"، والخروج عن هذه العادة يعرض صاحبها للانتقادات والمقاطعة في بعض الأحيان. ويستحق العقاب من أفراد القبيلة بالسخرية والاستهجان هو وزوجته من نساء القبيلة بالأخص. فقرابة الدم قاعدة من قواعد الضبط الاجتماعي للقبيلة يجب احترامها، وتزداد السخرية في حالة الزواج من القبائل الصغرى. ويستمر هذا الانتقاد مدى الحياة، ويحمله أبناءه من بعده. ولكن ينقص الانتقاد الاجتماعي للقبيلة في حالة المصاهرة من قبيلة معروفة وكبيرة في الصحراء ومن عائلة وازنة في القبيلة.

(أ) الذبيحة

يلتجئ بعض الأفراد إلى الذبيحة على قبيلة أخرى بهدف الاستفادة من الحماية، سواء تكون مؤقتة أو دائمة.

-**الذبيحة المؤقتة:** يلتجئ الأفراد والجماعات إلى هذه الحماية لظروف اقتصادية واجتماعية أو سياسية، حيث تقوم بعض القبائل بطلب الحماية من قبائل أخرى في ظروف الحرب، وبالأخص القبائل الصغرى التي تطلب الحماية من القبائل الكبرى مقابل دية. وفي ظروف الجفاف تنتقل القبيلة إلى أراضي القبائل المجاورة لاستغلال أراضيها، وهنا يستوجب على القبيلة أن تذبح وتدعو شيوخ القبيلة من أجل السماح لها بالانتجاع في أراضيها، وهذا يعطيها الشرعية على سيادة القبيلة على أراضيها (ترايبها) في الصحراء، وأنها قادرة على حمايتها من أي عدوان خارجي. وفي ما يخص الأفراد فإنهم يذبحون في حالة الاستقرار لفترة معينة وذلك لظروف الانتقال أو السفر.

-**الذبيحة الدائمة:** يقصد بها الحماية طول العمر، ولا يمكن أن يلتجئ الإنسان الصحراوي إلى هذا الخطوة إلا في حالات قليلة مثل الهروب من عقوبة الإعدام بسبب القتل العمد، إذ يعتبر هذا الفعل في الصحراء "انحدار اجتماعي" يقتضي من فاعله التنازل عن مجموعة من المكتسبات وأولها عصبية. وهناك أيضا أفراد يتزوجون بنات من قبيلة أخرى وبعد فترة من الزمن وارتباط الأبناء بأخوالهم، يقوم الأب بالذبح على أنسابه. تجدر الإشارة أن الأفراد الذين يلتجئون إلى هذا الفعل في الصحراء، يطلبون الحماية من قبائل بعينها، معروفة بالصحراء بالقوة والشرف واحترام العرض.

أثار الذبيحة سيكولوجية وسوسيولوجية على أفراد القبيلة في تلك المرحلة وفي المستقبل، وذلك راجع إلى التنظيم القبلي للمجتمع البيضاني، الذي يعتمد على التراتبية بين القبائل، والمكانة التي تحصل عليها القبيلة وفق مراحل تاريخية تمر بها، والبدو من صفاتهم لا ينسون الهرم الاجتماعي والمكانة الاجتماعية والأصول الاجتماعية للأفراد، مهما بلغت درجته في السلم الاجتماعي، وهذا ينطبق على قبائل الذبيحة وأفرادها في مجتمع البيضان الذي مازال يعيش على التاريخ القبلي لكل قبيلة.

ب) المعالمين/الحراطين والعبيد/إكاون

يقصد بهم الصناع، وهم "مجموعات ذات أهمية ديمغرافية واجتماعية ضعيفة"²⁴⁸ فئة تتبع القبيلة والفريك أينما تنقلوا، و"طبقة لمعلمين أو الصناع ليس لهم من نسب معين، إلا ما كان من انتمائهم لقبيلة من القبائل بحكم المعاشرة الطويلة والتساكن"²⁴⁹، وفي الحالة "التي لا يوجد فيها «إكاون»، يؤدي «لمعلمين» دور الزفافين والمهرجين والطامعين في العطايا والعطف"²⁵⁰.

"يجسد فئة «لمعلمين» داخل المجتمع القبلي البيضاني، بحسب مارييلاً، حالة التاجر الغريب، ذلك «الرجل الذي يأتي اليوم ويبقى إلى الغد... رغم أنه معك الآن... فإن له الحرية أن يذهب متى شاء... إنه يرتبط بمجموعته التي ينتمي إليها، لأن درجته محددة سلفاً، خصوصاً أنه ينتمي إليه منذ البداية، وهو يؤدي دور جالب بعض المعارف والمهارات الجديدة على هذا المجتمع"²⁵¹، ويشغلون بالصناعة التقليدية التي في الأصل "الحجر مادتها الأولية"²⁵². يوفرون كل لوازم القبيلة من أواني معدنية وخشبية، ويقومون بإصلاح لوازم الخيمة وأدوات الحرب.

²⁴⁸ Abdel Wedoud Ould Cheikh، «Nomadisme، Islam et pouvoir politique dans la société maure précoloniale (XI-XIXe siècles)» thèse de doctorat de sociologie، Université de Paris V، 1985، p. 327

²⁴⁹ الطالب بوياءعتيك ماء العينين، شذرات من الأدب الحساني، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، الرباط 1999، ص: 44.

²⁵⁰ محمد دحمان، الترحال والإستقرار بمنطقي الساقية الحمراء واود الذهب، مطبعة: كوثر، الرباط 2006، ص: 140.

²⁵¹ صلاح الدين الركيبي، فئة «لمعلمين» في المجتمع القبلي البيضاني، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 19 شتاء 2017، ص: 75.

²⁵² موسوعة الحرف التقليدية بمدينة القاهرة التقليدية، جمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة، ج 1، القاهرة 2006، ص: 10.

أما العبيد والحرّاطين يسخرون للأعمال الشاقة التي تقتدي الصبر واحترام أوامر السيد. والحرّاطين "هم من العبيد (Matynbe) وعند تحريرهم يصبحون غالونكي (Gallunke) «حرّاطين» في مجتمع البيضان»²⁵³ يشتغلون في جمع التمر ورعاية النخيل وفي الأعمال المنزلية.

أما إكاون يمتنون العناء والطرب، ويقتصر دورهم في الغناء ومدح أمجاد القبيلة وشيوخها ورجالاتها، وهذه الفئة تحتكرها فئات لها نفوذ في الصحراء.

رغم الأدوار التي تقوم بها هذه الفئات في القبيلة، فإن فهمنا (المجتمع البيضاني) لأسراره وخباياه ما زال متواضعاً جداً، ولا سيما بالنسبة إلى الفئات التي تحتكر ميدان المعرفة الحرفية التي ظلت مغيبة لزمن طويل، ولم تسترّع انتباه إلا النزر القليل من الباحثين، فالبحث في هذا الموضوع جاء متأخراً مقارنة مع الأبحاث التي تناولت الفئات الأرستقراطية (المحاربين) والدينية (الزوايا)²⁵⁴ يحتلون أسفل الهرم الاجتماعي في القبيلة، ويحظر عليهم الزواج ببنات القبيلة وحتى البنات لا ينظرون إليهم، والأولاد لا يمكنهم الزواج من "معلمة"، لأنه "عار" للقبيلة وللعائلة.

إن "هناك تقاطعات عامة بين ما ساد في الجنوب (موريتانيا) والشمال (الساقية الحمراء وواد الذهب بالمغرب)، لكن مع اختلافات واضحة، من تلك التباينات إنعدام الغرامين في الشمال، أي من تفرض عليهم غرامات للحماية، فقد كانت هناك آليات للدمج داخل العصبية القبلية يتحول بموجبها الفرد الباحث عن الحماية إلى واحد من أعضاء القبيلة يسري عليه ما

²⁵³ حمّاه الله ولد سالم، تاريخ موريتانيا (العناصر الأساسية)، مطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2007، ص: 19.

²⁵⁴ صلاح الدين الركبي، فئة «لمعلمين» في المجتمع القبلي البيضاني، المرجع السابق، ص: 71.

يسري عليهم. ومن آليات الحماية هذه الذبيحة (الشاة) أو تعرّجية (ناقة)، وميثاق الخاوة بين فردين أو عائلتين²⁵⁵.

تجتمع كل الدراسات التي حاولت تسليط الضوء على هذه الفئات، أنهم أسفل السلم الاجتماعي في مجتمع البيضان. وتسمى **اللمة** أو **الاتباع** وهي قبائل مسالمة لاتهمم بالعلم والسلاح، تعيش في حماية القبائل المحاربة والزوايا، إنها لا تنتمي إلى جد مشترك أو سلالة واحدة، فما يميزه عن "البيضان الآخرين بمهنتهم، ودرجة انغلاقهم الكبيرة التي يحكمها منطق التزاوج الداخلي"²⁵⁶، لكن مع التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتتها الصحراء المغربية، ومع مرحلة الاستقرار أصبحت هذه الفئة تتدرج في السلم الاجتماعي داخل المجتمع الحساني، وأصبحت لها مكانة بفعل نظام الدولة المدنية القائمة على المؤسسات، هذا أدى إلى بروز عائلات تنتمي إلى هذه الفئة لها نفوذ سياسي واجتماعي، ولها تأثير في جوانب عديدة من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية بالمجتمع "ما بعد الترحال".

(2) العائلة بالصحراء

يحمل التراث النظري السوسيولوجي والانثروبولوجي بالعديد من الدراسات حول الأسرة كمؤسسة اجتماعية، تستمد قوتها من أنها أول مؤسسة للتنشئة الاجتماعية للفرد. وأصبحت مجموعة من المفاهيم السوسيولوجية مرتبطة بالعائلة، ولا بد من استثمارها للدراسة موضوع العائلة، "لذلك كان الباحثون في مجال الأسرة يعتمدون في تفسير نتائجهم على النظريات السوسيولوجية العامة وربطوا هذه النتائج بالنظريات الكبرى لدركايم وماركس وميرتون وغيرهم

²⁵⁵ محمد القادري، **مجتمع الصحراء: سيرورة وتحولات قراءة في كتابات رجال بويريك**، مجلة: هيسبريس تمودا، العدد XLVII 2012، ص: 39-40.

²⁵⁶ Abdel Wedoud Ould Cheikh، «Nomadisme، Islam et pouvoir politique dans la société maure précoloniale (XI-XIXe siècles) » ، P :404.

من علماء الاجتماع²⁵⁷، أدى ذلك إلى عوائق في التحليل السلوك الأسري من طرف الباحثين والمهتمين بميدان الأسرة، وأصبح الاعتماد على مفاهيم لا تتناسب مع مجتمع البحث، سببا في خلق أبحاث متوسطة المدى من حيث النتائج والتحليل.

يلاحظ في أغلب الأبحاث التي تتعلق بالعائلة الصحراوية، فالنمط القبلي والعائلي السائد بالمجتمع الصحراء، يقتضي من الباحث تطوير آليات البحث في دراسته لتحقيق درجة معينة من الدقة، فالعائلة بالصحراء ممتدة، لكن تبقى تستمد قوتها من القبيلة والفريك الذي تنتمي إليه، أما الفرد فهو ملتزم بالانتماء الثقافي للعائلة، القبيلة والفريك، والسلوك الاجتماعي تجاه الآخرين، يستمد قوته من الانتماء العائلي والقبلي، وتتسم العلاقات الاجتماعية بين أفراد العائلة بتشابه العلاقة مع أفراد القبيلة والفريك، فاحترام الصغير للكبير معطى أساسيا في تنظيم العلاقات الفردية، وتجنب السخط والطرد من كل الاجتماعات بالعائلة والقبيلة، فمقياس الولاء للقبيلة يقاس بالولاء للعائلة.

يعتبر التنظيم الداخلي للعائلة مظهرا هاما ف"الكل يعرف نطاق تحركه حسب فئته العمرية وجنسه من أجل استغلال جماعي للقطيع"²⁵⁸ وذلك من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي للعائلة، ويعكس هذا النظام في الأدوار النظام السياسي للعائلة، فالأب هو الناطق الرسمي للعائلة الصحراوية وكلمته هي الفصل بين أعضائها ولا يمكن مناقشتها. وينعكس التنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي القوي للعائلة على قوة القبيلة، ويلاحظ تأثير بعض العائلات على إختيارات القبيلة ذلك راجع إلى قوة التنظيم داخل هذه العائلات.

²⁵⁷نجوى عبد الحميد سعد الله، الأسرة و العائلة، مرجع سابق، ص:174.

²⁵⁸ Francis de chassey، « L'étrier، la Houe et le Liivre ، sociétés traditionnelles au Sahara et au Sahel occidental »Editions L'Harmattan30،Mai 2000، P :75.

إن استمرار البعد العلائقي داخل العائلة وتمركز القوة في فرد معين، ينعكس على اختيارات أفراد العائلة وتطلعاتها في إمكانية حصول أفرادها على مكانة في القبيلة والمجتمع، لكن مع انتقال المجتمع إلى مرحلة أخرى وتغير عناصر الواقع القبلي، وتوزيع قوة القرار بين أفراد العائلة حسب المردود المادي، هكذا تغيرت قاعدة الأدوار وعرفت تحولاً عميقاً، حيث أصبح الفرد حراً في حركاته وتنقلاته، بل إنه يستطيع تجاوز العائلة والقبيلة، وهو ما غير بشكل عميق العلاقات الاجتماعية والسياسية داخل العائلة، وعلاقاتها بالعالم الخارجي، وخاصة بالقبيلة كمكون يجمع العديد من العائلات.

(أ) التراتبية الاجتماعية بين الجنسين

يتوجب على المرأة في المجتمعات التقليدية "في أية مرحلة من مراحل حياتها، التي تستطيع فيها العمل بأي شكل، وعلى أية صورة خادمة البيت سواء كان ذلك في بيت أبيها، أم بيت زوجها، وحتى في حالة ترملها، أو طلاقها أو انفصالها عن زوجها لفترة من الوقت، العودة إلى بيت أبيها لتخدم فيه مهما كان سنها"²⁵⁹، وهذا الأمر يختلف شيئاً ما في المجتمع الصحراوي.

فالمرأة يظهر تأثيرها مع مرحلة الأمومة على الأب والأبناء، من خلال تعلق الأبناء بالأخوال، ففي المثل الحساني "إلا جعت كـيس أخوالك"، فالارتباط بالأخوال في المجتمع البيضاني يتسع ويتطور في حالة ما كانوا مستقرين قرب أبناء بناتهم، "لأن العادات والطقوس التي تظهر في جانب منها مركزية الأم مثلما هو في الانتساب والإرث عن طريق الأم، أو نمط الزواج «matrilocalité» حيث يقيم الزوج مع عائلة الزوجة، ذلك نجده في مجتمعات إفريقية أبيسية"²⁶⁰، إن تأثير المرأة لا يقتصر على الجانب القرابي، فهي تتحمل القسط

²⁵⁹ مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع العائلي، عامر للطباعة و النشر، المنصورة، 2008، ص: 176/175.

²⁶⁰ محمد القادري، مجتمع الصحراء: سيرورة وتحولات قراءة في كتابات رحال بوبريك، مرجع سابق، ص: 35.

الأكبر من التنشئة الاجتماعية، حيث تقوم بتربية الأطفال والعناية بهم، وهي المشرفة والمسؤولة عن تدبير أمور البيت، فهي تعمل على تحقيق مطالبه.

"ظلت قرابة الأمومة حاضرة حضوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية حتى وسط القبائل الأكثر تعصباً للأصل والنسب العربيين، بما تحمله من بعد رمزي على مستوى القيم وبعد تاريخي وسياسي على مستوى شرعنة السلطة و«البناء الاجتماعي» للتراتبية الاجتماعية»²⁶¹، لذلك نجد الأبناء مازالوا مرتبطين بأخوالهم ولا يمكن أن ينفصلوا عنهم رغم كبرهم، إن التركيز على الجانب الاجتماعي في القرابة بانتساب الأبناء لأبائهم، تغفل الجانب العاطفي للأبناء وقوة ارتباطهم بالأم، لذلك نجد المجتمع الصحراوي من خلال مجموعة من النوازل يستمد مجموعة من الأحكام من الطيبة والعاطفة وبالأخص فيما يخص الأحكام بين أفراد القبيلة.

يظهر دور الأب من خلال النزاعات الداخلية والخارجية، والسهر على تلبية متطلبات العائلة الاقتصادية والأمنية، وتتجذر "العصبية العائلية" للأب تجاه العائلة من خلال الدفاع عن مصالحها في جميع المناسبات والاجتماعات القبلية، وتتكسب هذه النزعة العائلة من خلال تربية الأبناء على الحفاظ على ممتلكات العائلة والدفاع عنها بالغالي والنفيس، وتفضيل سيادة العائلة على سيادة القبيلة في أمور عديدة، فإذا كانت البنات تهتم بالأمور الداخلية للخيمة فإن الأولاد يهتمون بالرعي ويساعدون النساء في بعض أمور الخيمة.

على العكس من التراتبية الاجتماعية التي حمتها التغيرات والتحولات الاجتماعية، نجد خروج المرأة للعمل في مجتمع الصحراء، هذا أحدث تغيرات جذرية في التركيبة الاجتماعية في مجتمع الصحراء، وقد حقق مجموعة من المكاسب للمرأة بالصحراء، حيث أصبحت تفرض رأيها في مجموعة من قرارات خاصة بالعائلة والقبيلة.

²⁶¹ محمد القادري، مجتمع الصحراء: سيرورة وتحولات قراءة في كتابات رحال بوبريك، مرجع سابق، ص: 35.

في المقابل حمل خروج المرأة مجموعة من المشاكل للعائلة الحسانية منها:

- مشكل تربية الأبناء الذي أصبحت المربية أو خادمة البيت لها دور مهم فيه.
- أصبح تقسيم أعمال البيت ضرورة بين الزوج والزوجة.

(ب) ثقافة العائلة بالصحراء:

يعتبر الاهتمام بالثقافة العائلية من طرف الباحثين في الانثروبولوجيا بهدف معرفة مصادر ثقافة المجتمع، فمؤسسة العائلة بالنسبة للإنسان هي الكون الذي ينشأ فيه، ويستمد منه القيم، المعايير، السلوكات، والتربية، ويكون العلاقة السلوكية بين أفراد من خلال نمط العيش، فالعائلة هي معمل بدائي يوفر للعناصر المكونة لها: الخبز، والملابس التي يحتاج لها أفرادها، وهي النواة الأولى للمجتمع، ويكتسي الفهم السليم للمجتمع دراسة نظامها الاجتماعي، وتحديد أعراف وتقاليدها، من خلال محيطها الداخلي والخارجي.

ينبني النظام الغذائي على تقسيم الأكل بين الرجال والنساء، وإعطاء الحصة الأكبر للرجال، يجعل العائلة الصحراوية تقدم الرجال على النساء، وهذا لا يعني أن الرجل يستأثر بالقرار دون مشورة ففي الغالب تكون هناك "جماعة الخيمة"، تتألف من الأب الأم والأخ الأكبر أو بعض الأبناء، وتجتمع بشكل تلقائي عندما لا يكون هناك عنصر خارج العائلة في الخيمة، وتندرس أمور الخيمة والأمور الخاصة مع الرعي وحالة الأغنام، بالإضافة إلى الأحداث التي تقع داخل لفريك، وتبقى بعض الأمور بين الأب والأم، وذلك لدرجة دقتها وصعوبة حلها.

جدير بالذكر أن العائلة نواة للعصبية القبلية، فهي أساس الأخوة، إن "الذين أصبحوا أخوة، على الالتزام بالالتزامات نفسها التي تقتضيها الروابط العائلية داخل القبيلة نفسها من

حماية الأخ واللجوء إليه وقت الشدة»²⁶²، وتستمد العائلة تأثيرها داخل القبيلة من عدد أبنائها، بفضل تمثيلية العائلة في جماعة القبيلة، فالجماعة تستند في تمثيليتها في عدد الفروع الفخدرات بها، وهذا يجعل العائلة تبحث عن مصالحها تجاه جماعة القبيلة بفعل تواجد من يمثلها.

تغيرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية المحيطة بالعائلة، بفعل تقدم المجتمع وتطوره ومستوى تحضره. وأصبحت نموذجاً للأسرة النووية في الغرب تتميز باستقلالها الاقتصادي والسكني، هذه التحولات أثرت على الثقافة السائدة بمجتمع الصحراء، حيث أفرز نمطاً استهلاكياً للعائلة بالصحراء، ونظام من العلاقات الاجتماعية تجسد المصلحة الخاصة للأفراد على مصلحة العائلة، وهذا النمط من الحياة جعل مؤسسة العائلة يتمركز تأثيرها في السنوات الأولى للطفل، وذلك راجع لبروز مؤسسات اجتماعية لم تعرفها الصحراء إلا في السنوات الأخيرة، كمؤسسة الشارع التي تلعب دور في بناء شخصية الفرد في سنوات المراهقة، ومؤسسة التواصل الاجتماعي التي أصبحت تستحوذ على تربية جميع المراحل العمرية، وتأثير في جميع الفئات الاجتماعية بالصحراء، هذه المؤسسات تتفاعل مع مؤسسة الأسرة، وفي بعض غالب الأحيان تتجاوزها. لتصبح الفاعل الوحيد الذي يستمد الفرد ثقافته.

²⁶²رحمة بورقية، الدولة والسلطة و المجتمع: دراسة في الثابت و المتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، مرجع سابق، ص:96.

المبحث الثالث: الزاوايا والأضرحة: أهمية الرموز الدينية في التنظيم الداخلي للقبيلة.

1) الفريگ كمؤسسة دينية للقبيلة

لا يقتصر دور مؤسسة لفريك عند أهل الصحراء على ضمان لقمة العيش لأفرادها، والسهر على ضمان الأمن لمجالها والمراعي لماشيتها، بل يصل إلى المحافظة على الأمن الديني للفريك من خلال التمسك بالوحدة الدينية والمذهبية للقبيلة، وهذا يحقق تماسك الموروث العقائدي، المتمثل في المذهب السني المالكي.

تستمد قبائل الصحراء قوتها من المستوى الديني لأفرادها، لهذا وجب الاهتمام بالجانب الديني وإعطائه مكانة خاصة من طرف جماعة القبيلة وشيوخها، ومن هذا المنطلق منحت القبائل بالصحراء الأفراد المسؤولة عن الخطاب الديني مكانة مشرفة في القبيلة، وذلك راجع إلى تأثير هؤلاء الأفراد على السلوك اليومي للقبيلة، لا يتوقف تأثير هذه الجهات على السلوك داخل الفريگ، بل يتعداه ليصل إلى قرارات القبيلة، الفريگ، الجماعة، والشيوخ.

إن مؤسسة لفريگ تعطي عناية للسلامة الفكرية والعقلية، يقي عناصرها من الانحراف عن التصور العام للدين، الذي يهدد السلامة الفكرية، الثقافية، والأخلاقية للقبيلة، الأمر الذي يجعل الخطاب الديني يتناسب مع الظروف التي يعيشها أهل الصحراء، ويؤدي الدور المنوط به، المتمثل في تعليم أفراد القبيلة ما ينفعهم في حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والحفاظ على السلامة الروحية للقبيلة.

أ) "الطالب" والتأطير الديني للقبيلة:

تعرف المجتمعات البدائية والقبلية بتعلقها بالدين، واعتبار التحولات والضياح والمجال اللانهائي من تدبير خالق حكيم، وقد كلف رجال يفسرون هذه القوى للمجتمع يعرفون بالتقوى، يصنفها أهل الصحراء بالفئة المتدينة لها مكانة خاصة في تدبير الشؤون الدينية للقبيلة، وتربية الأطفال على أصول الدين وحفظ القرآن، وفي بعض القبائل يعتبرونها من

العلماء و"هم أهل الحل والعقد (...)"، ورثة الأنبياء (...)"، وهم الذين تجب لهم الطاعة، هم خواص الطبقة العليا من الأمة ورؤسائها ووكلاء العامة"²⁶³. وتحتل مكانة في النظام السياسي والاجتماعي الصحراوي، ويعتبرون من الفاعلين الاجتماعيين من خلال تأثيرهم الديني على المجتمع بالصحراء، الذي يتسم بالضعف على المستوى الثقافية الدينية.

يضمن "الطالب" الفاعل الديني الوحيد على مستوى الفريق التوازن الروحي والديني لأهل لفريق، وانطلاقاً من هذه المكانة يصبح صاحب الأيادي البيضاء في نزاعات القبيلة الداخلية والاستشارة في النزاعات الخارجية، ويبقى احترام مكانة الطالب ليس لشخصه لكن لحمله كتاب الله، وتتعزيز سلطة الطالب عندما يصبح قادراً على الإقناع من خلال فصاحة لسانه ومعرفته بالعلوم الدينية، فأهل الصحراء يقدرّون من يمتلك القدرة والكفاءة على التواصل، وبالأخص حينما يستمد حججه من القرآن والسنة.

يظهر مكانة الطالب عند أهل الصحراء عندما يريد أحد أفراد القبيلة تنظيم وجبة معينة، حيث يصبح الطالب المسير لهذه المأدبة، من خلال الخطاب الديني الذي يتمحور على الالتزام بالدين في المعاملات بين الأفراد. رغم المرجعية الإسلامية التي تحكم العلاقات الاجتماعية بالصحراء، وتأثير أهل الدين في النظام الاجتماعي، تبقى الممارسات الخارجة عن الإسلام المسيطرة على السلوك العام للمجتمع والتي ترتبط بالنظام المؤسس للقبيلة.

يلتجئ أهل الصحراء في تفسيرهم للظواهر الطبيعية، لقدرة الخالق للكون في تسخيرها للإنسان، وتكاد علاقة الصحراوي بالله والطبيعة تنحصر في المطر، وجميع الصدقات التي يقدمها أهل الصحراء، الغرض منها إبعاد الشرور والقوى الغيبية وجلب المطر. فالدين هي تلك "العلاقة الروحية والعاطفية بين الإنسان وقوى ما فوق الطبيعة أو الكائنات التي يقدم لها العبادات ويقيم لها الممارسات الطقوسية التي تعينه على الاتصال بهذه القوى وتمكنه من

²⁶³ أبو الحسن اليوسي. " الرسالة الكبرى " ورد في : رسائل أبي حسن بن مسعود اليوسي، جمع و تحقيق، فاطمة خليل القبلي، جزان، دار الثقافة. البيضاء 1981. ص: 74-125.

إدامة تلك العلاقة التي تصبح مقننة في النظام الاجتماعي²⁶⁴ حسب علماء الانثروبولوجيا. ومن هنا فإن الوسطاء في العلاقة بين الله والعبد، يستأثرون بمكانة جوهريّة لدى المجتمع، تكسبهم مجموعة من التصورات حول قوتهم الدينية التي بواسطتها يمكن لهم الاتصال بالله مباشرة، وهذا يعطيهم الحق في تصنيف الأشياء والسلوك والتحكم في القيم والمعتقدات السائدة بالمجتمع.

يتحمل الطالب مسؤولية مساعدة جماعة القبيلة في قراراتها المتعلقة بتسيير شؤون لفريغ. انطلاقاً من المرجعية الإسلامية (القرآن والسنة)، وأن الدين هو المؤسس للبنى الاجتماعية والثقافية للقبيلة، وهنا تجدر الإشارة أن قرارات القبيلة تكون في الغالب ليست متلازمة مع توصيات رجال الدين بالصحراء، فرغم استشارة أهل الدين في أغلب قضايا القبيلة، فإنها تبقى غير ملزمة للجماعة القبيلة، وفي الغالب يتم تجاوز هذه التوصيات باعتبار أنها تقوض سلطة الجماعة والشيخ وتوسع سلطة رجال الدين.

(ب) الشيوخ والخطاب الديني

يتصف الشيوخ داخل القبيلة بقدرتهم على حل المنازعات القبلية، وتجد الشيخ دائماً على مسافة واحدة مع كل أفراد القبيلة، ما يجعله محصن من التأثيرات الداخلية للقبيلة. يتفادى الشيخ الخوض في أمور قد تؤثر في صورته كقائد للقبيلة، والضامن لسلامة أفرادها وجماعتها، ويستند الشيخ في خطابه مع جماعة القبيلة وأفرادها على الخطاب الديني، وذلك من أجل إقناع القبيلة بصحة قراراته، فالخطاب الديني لا يمكن اعتراضه.

يعتبر احترام الدين وتمثيله في الحياة اليومية واجب على كل أفراد القبيلة، وحماية الواجبات الدينية من المهام الأساسية للشيوخ، ومن يريد امتلاك ولاء القبيلة "هم أولئك الذين

²⁶⁴ فلاح جابر جاسم الغرابي، الدين واليات الاجتماعي، دراسة تحليلية في دور الدين في الضبط والبناء الاجتماعي، مجلة: أورو، العدد العاشر 2017، ص: 418.

يثبتون قدرتهم على تمثل هذه القيم²⁶⁵، من خلال الخطاب والسلوك الديني، "فالدين يفرض جزاء يمكن وصفه بأنه فوق اجتماعي كالخوف من غضب الله"²⁶⁶.

"إن العلاقة بين الدين والعائلة تتصف بالتكامل والتناقض معاً، فحاول الإسلام من ناحية استبدال الولاء القبلي بالولاء الإسلامي، ولكنه من ناحية أخرى أكد على أهمية الأسرة كنواة للمجتمع وحض على الطاعة وإكرام الأهل، وأن الأفراد يرثون دينهم وينشأون على تعاليمه في العائلة وأن الأعراف العائلية قد تتناقض مع الأعراف الدينية وتتخذ الأسبقية عليها، وأن الدين الإسلامي بدوره ثبت النظام الأبوي على حساب النظام الأمومي وشكل مصدراً أساسياً لكثير من العادات والقيم التي تنظم الزواج والطلاق والإرث والعلاقات ضمن الأسرة"²⁶⁷.

يستمد الشيخ قوة ثقافته الدينية من أهل الدين بالصحراء، ويحرص على استشارتهم في النوازل المستعصية على الحل، وتبرز مكانته في الصحراء بصدى قوة خطابه الديني. وتتسع ثقافة الشيخ إذا كان يعرف القراءة والكتابة، وهنا لا يحتاج إلى أهل الدين لاستشارتهم أو كتابة ما توصلت إليه الجماعة، من قرارات التي تستوجب معرفة دينية، لكن يختلف الأمر عند الشيخ الأمي الذي يستعين في قراراته على السلطة أهل الدين.

يستمد بعض الشيوخ انتماءهم من آل البيت، "وهم بذلك يرثون عنه الشرف والبركة فيحظون بالتقدير والاحترام و التوقير"²⁶⁸، وهناك مجموعة من الشخصيات التي تنتسب إلى

²⁶⁵ حمودي، عبد الله، الشيخ والمريد النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، يليه مقالة في النقد والتأويل، مرجع سابق، ص. 63.

²⁶⁶ فلاح جابر جاسم الغرابي، الدين واليات الاجتماعي، دراسة تحليلية في دور الدين في الضبط والبناء الاجتماعي مرجع سابق، ص: 432.

²⁶⁷ حلیم بركات، المجتمع العربي المعاصر بحث استطلاعي اجتماعي، مرجع سابق، ص: 231.

²⁶⁸ الهادي الهروي، القبيلة، الاقطاع و المخزن مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، مرجع سابق، ص: 145.

النسب الشريف في الصحراء، منهم الشيخ ماء العينين وسيد أحمد الركبي ثم الشيخ أحمد العروسي، وقد "سأهم الشرفاء باعتبارهم ممثلين للبركة باعتبارها سلطة رمزية متوارثة بدور كبير في المحافظة على التوازن الاجتماعي في أقاليم المغرب الجنوبية"²⁶⁹، وقد أسهموا في التحولات الاجتماعية والدينية والسياسية بالصحراء، مما جعل السلاطين يبعثون لهم برسائل الرضى والاحترام للأفعال التي يقدمونها للبلاد والعباد.

(2) ثقافة الزوايا/الأضرحة/الدار عند القبيلة

تكسب ثقافة الزاوية، الضريح والدار عند قبائل الصحراء، ذلك البعد الأنثروبولوجي للقيم والعادات والتقاليد التي يختلط بها الجانب الديني مع الجانب الثقافي، وهنا يتبين غياب دراسات حول التاريخ الديني والإثنوغرافي حول المنطقة، وارتباط المفهوم الشعبي للدين بهذه الأماكن، ويرى أغلب الباحثين ومنهم الباحث الميداني فسترمارك "أن الممارسة الدينية هي بالأساس عبادة الكائنات الروحية والموقف الديني في طبيعته محترم ومتواضع"²⁷⁰.

ترتبط الممارسة الدينية بالصحراء بمعتقدات وقيم، يؤثر فيها الجانب الروحي للمكان والحياة اليومية لأهل الصحراء، وتترسخ هذه المعتقدات من خلال علاقة الأولياء بالطقوس العامة للمجتمع، كالاعتقاد بالأرواح الشريرة ومناخ الصحراء المتقلب والجن والعين والبركة، جعل الإنسان بالصحراء يتعلق بالضريح والزوايا من أجل إبعاد الشر والحصول على البركة التي تحفظه من القوى الغيبية.

تتسم العلاقة بين الزوايا والأضرحة بالأدوار الثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية. و"تعتبر العائلات المشكلة لفرق الأضرحة والزوايا من ضمن النسيج الحاكم، تلعب أدواراً سلطوية وتتمتع بامتيازات وإتاوات تجعلها في قمة سلمية الأوضاع وتراتبية المجتمع، ونجد

²⁶⁹ محمد الطريف، جوانب من ثقافة الصحراء، مرجع سابق، ص: 129.

²⁷⁰ عبد الغني منديب، الدين والمجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2006، ص: 19.

بأن النسب الشرقاوي بدوره يتفرع إلى فرق حيث تسهر كل «شجرة، أي مجموعة ذات نسب ومصالح مشتركة، على ألقابها ورصيدها الرمزي وامتيازاتها الاجتماعية..»²⁷¹، التي تتسم بتجدرها الثقافي داخل المجتمع، وقدرتها في التحكم على الحيلة الروحية واليومية للأفراد، في المقابل فإن الدار لها سلطة أمنية ورمزية للقبيلة تجمع أفرادها.

(أ) الزوايا

شكلت الزوايا منذ ظهورها في المغرب مكانا للعلم والفقهاء، وأحد أهم الفاعلين في الصراع السياسي والاجتماعي في المناطق النائية، التي يصعب على المخزن التحكم بها، حيث أصبحت الزوايا مكانا لتجاذبات السياسة لأن "داخل كل زاوية توجد نواة للسلطة"²⁷²، وهنا "يفوض ويمنح -السلطان- جزاء من مهامه وسلطاته"²⁷³ للزوايا حسب عبد الله العروي، "ففي محاضرة ألقاها ميشو بلير بدار فرنسا بطنجة سنة 1919 حول الزوايا المغربية قال: أن الزوايا لعبت دورا مهما في تاريخ المغرب، حيث كانت عبارة عن شبكات حية ومتراصة فيما بينها، إذ تستطيع الواحدة منها أن تعوض الأخرى التي تختفي، وبهذا يمكن اعتبارها التنظيم الحيوي الحقيقي بالبلاد"²⁷⁴، وتحاول مجمل الأبحاث والدراسات السوسيولوجية الكشف عن العمق الثقافي للزوايا بالمغرب وارتباطها بالمجتمع وتاريخ نشأتها ووظائفها، "فهو مسجد غير جامع ليس فيه منبر، فهي مأوى للمتصوفين والفقراء"²⁷⁵.

²⁷¹ مقال لرشيد الحاحي، بتاريخ: 2018/11/20 على الساعة: <https://m.hespress.com/writers/79321.html> 10:45

²⁷² Michaux Bellaire، **Les confréries religieuses Au Maroc**، Archives Marocaines، Vol V XXVII، Librairie Ancienne Honoré، Paris 1927، p.25.

²⁷³ Laroui A، **Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain : 1830-1912**، Centre Culturel Arabe، Casablanca، 1993، p. 143.

²⁷⁴ محمد مهديان، السوسيولوجيا القروية بالمغرب مقاربات و قضايا، مرجع سابق، ص: 26-27.

²⁷⁵ المنجد في اللغة المعاصرة: دار المشرق، بيروت، الطبعة 2، 2001، ص: 631.

عرفت الصحراء صراعات "كانت من نتائج هذا الصراع أن بنو حسان التراتبية عمق الاجتماعية من خلال بنائهم لهم اجتماعي كانوا هم أنفسهم في قمته، واحتكروا اسم «العرب»، ويأتي في وسطه فئة الزوايا القيمة على الخطط الدينية والتجارية، ويأتي في أسفل السلم، القبائل التي تدافع على المغارم (حق الخاوة في اصطلاح أهل الجزيرة)، أي الضرائب الإجبارية، وسموا باسم: آزناكة، أو: اللحمة.²⁷⁶

تعرف الصحراء بالزوايا إلا مع مجيء المشايخ كالعلامة إعزى ويهدى مؤسس زاوية اساء، والشيخ ماء العينين مؤسس زاوية أهل الشيخ ماء العينين، وهناك "مؤسسي القبائل وهم: سيد أحمد الركيبي (الركيبات)، ثم سيد أحمد بوغنبور (أولاد تيدرارين)، أخيرا سيد أحمد لعروسي (العروسيين)²⁷⁷، وهم أيضا مؤسسين لزوايا تحمل اسم قبائلهم، ويتضح البعد القبلي في تأسيس الزوايا في الصحراء، حيث تهتم بتعميق البعد الديني للقبيلة، تقديم الخدمات المادية والمعنوية لطلاب العلم والعباد، مما يكسبها سمعة ذائعة الصيت في الصحراء والقبيلة المنسبة إليها.

هناك بعض القبائل من اهتم بنشر المشروع الديني والفكري للزاوية القبيلة، وطريقة معالجة بعض القضايا وفق منهجية تحترم البعد القبلي للزاوية، عن طريق بناء فروع بمختلف أنحاء الصحراء، "إن العلاقة بين الدين والمجتمع هي علاقة بين ما هو خفي ومتضمن لما هو معلن وظاهر، علاقة بين المعيش والمهيكل نظريا"²⁷⁸، فالدين يفتح لمستوى آخر من العلاقات، وبالأخص بالنسبة للمجتمعات الصحراوية التي يصعب السيطرة عليها.

²⁷⁶ الشيخ موسى كنرا، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى، تحقيق: الدكتور حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية بيروت، 2009، ص: 62.

²⁷⁷ Pierre Bonte : **figures historiques de sainteté dans la société maure**، annuaire de l'afrique du nord، 1994، p :289.

²⁷⁸ نور الدين الزاهي، الزاوية و الحزب الإسلام و السياسة في المجتمع المغربي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2011. ص: 134.

بالنظر إلى تصاعد دور الزوايا في الصحراء، وتأثيرها السياسي والإيديولوجي داخل المجتمع، فقد وجدت موطئ قدم لها في عهد السلاطين العلويين، من خلال تتبع مراحل تأسيسها ومحاولة استقطاب الفاعلين بها، وقد حضيت الزوايا بالدعم من السلطة السياسية، لما تكتسبه الصحراء من مكانة لدى مؤسسة السلطان، حيث أن الشيخ ماء العينين وسيد احمد الركيبي حضيا بمكان خاصة لدى الملوك العلويين.

ب) الأضرحة

حظيت الأضرحة باهتمام كبير عند أهل الصحراء، لكن لم تحظى بقدر كبير من اهتمام الباحثين والسوسيولوجيين المهتمين بثقافة الصحراء، رغم مكانة الضريح في المتخيل الشعبي "فهو ذلك الفضاء الذي يضم بالأساس قبر الولي، ويتمتع عادة هذا المكان بالتقديس، أكثر مما يناله الولي في حياته، لهذا نجد الجماهير البسيطة تتردد على مقاماتهم وقبورهم، تتلمس منها البركة وقضاء الحاجات، إضافة إلى أن فضاء الضريح يشهد طقوساً وعادات يرددها زواره"²⁷⁹، وتستمد كرامات الأولياء من خلال الرواية الشفوية التي ينبهر بها المستمع، "فالأولياء حسب الحكايات يعلمون ما لا يعلمه أحد، يشفون الأمراض التي لا ينفع معها علاج طبيب، كما يعملون على حل أعقد المشاكل التي يعجز أصحاب العلم والذكاء على حلها"²⁸⁰.

تتجلى قداسة الولي والمكان المدفون فيه من خلال الطقوس التي يمارسها أهل الصحراء عند زيارتهم للضريح، ومن أبرز هذه الطقوس التزام الهدوء، واعتبار تربة الضريح مقدسة يتم مسح الجلد والرأس بها من طرف الزائرين، ويمتد الاعتقاد بقدرات الأولياء والأضرحة إلى التنشئة الاجتماعية للأطفال، من خلال ممارسات وطقوس يتربى عليها

²⁷⁹ مصطفى أوسرار، الأضرحة و مزارات الأولياء بالمغرب ، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 33، ربيع 2016، ص:97.

²⁸⁰ نفس المرجع، ص:99.

أطفال الصحراء كاحترام الضريح وكل الأواني والأفرشة، واحترام سكoon المكان حيث لا يمكن اللعب في هذا المكان المقدس.

تحمل الطقوس التي تمارسها قبائل الصحراء في زيارتها للأولياء مجموعة من الدلالات، حسب طبيعة "الأساطير والحكايات المرتبطة بالأولياء هي التي تساهم في ذبوع صيت بعض الأولياء، خصوصا وأنها تعبر عن حقائق الخارقة والعليا لهم"²⁸¹، يستوجب ممارسة طقوس خاصة داخل ضريح الولي، و"يتلجئ العديد من الأشخاص طلبا لعلاج لمجموعة من الاضطرابات النفسية والهستيريا وما يشابهها، إلى مجموعة من الطرق التي يشكل الضريح أبرزها، وذلك راجع بالأساس إلى مجموعة من التمثلات Représentation social التي يحملها هؤلاء الأفراد حول المرض النفسي ذلك أن معظمهم، يعتبرون المرض النفسي مسأ للجن أو عملاً سحرياً"²⁸².

"ويمكن للبعض هنا أن يعتبر هذه المعتقدات والممارسات المرتبطة بها مجرد طرق استشفائية محلية تنتمي إلى حقل الأثنووبنفسية المغربية كما فعل فانسون كرينزانو في دراسته حول حمادشة، بيد أن هذه الممارسات هي في الواقع جزء لا يتجزأ من المعتقدات الدينية التي يحملها هؤلاء الناس ويدفعون بواسطتها كل درجات وأشكال القلق الذي يصيبهم"²⁸³، يتعلق أهل الصحراء بالضريح الذي يكون الوالي المدفون فيه من أولياء القبيلة، حيث يصبح زيارة أفراد القبيلة لهذا الولي أمراً واجباً. والاحتفال بشكل موسمي للقبيلة عند أولياءها، يهدف لإبراز سيرة الولي وكراماته أمام قبائل الصحراء.

²⁸¹ Bennani Jalil « La Psychanalyse au pays des Saints، les début de la psychanalyse au Maroc »، le Fennec، Casablanca 1996، P: 35.

²⁸² مصطفى أوسرار، الأضرحة و مزارات الأولياء بالمغرب، مرجع سابق، ص: 102-103.

²⁸³ عبد الغني مندب، الدين و المجتمع، دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب، مرجع سابق، ص: 152-153.

ت) الدار

يتضح من خلال بحثنا على الدلالات الانثروبولوجية والسوسيولوجية، يتضح أن الباحثين لم يعطوا لرمزية المكان، كالدور ومساهمتها في إغناء المسار الثقافي المادي والرمزي، أهمية كبيرة في دراساتهم حول مجتمع الصحراء، رغم تأثيرها في طقوس الاندماج والتحول في المجتمع البدوي الرعوي، ودورها في إبراز قيم رعي الأغنام والماعز وتربية الإبل، وتشمل أيضاً خصائص من جوانب حياة الرجل، كالمأكل والمشرب، والبساطة في المسكن والملبس.

إن الدار عند المجتمع البدوي نمط آخر من العيش، يتطلب "طراز متميز للحياة الاجتماعية والإنسانية، وهي نسبياً موطن أكبر وأكثر أدم للأفراد غير متجانس اجتماعياً"²⁸⁴. لكن يختلف هذا المفهوم عند أهل الصحراء فهو امتداد للعلاقة الإنسان بالأرض، وبناء الدار "توفير الماء عندها، وهذا من أعظم متطلبات الوقت ذلك الزمن للأمن والاستقرار"²⁸⁵، فالدار تمثل النقطة الإستراتيجية في "التراب القبيلة"، ومصدر انتمائها إلى المجال القبيلة. ويشيدها أفراد القبيلة لتحديد مجال الفروع والفخذ، بالإضافة إلى أدوارها الاقتصادية والاجتماعية.

يلتجأ أهل الصحراء إلى مكان مناسب لتخزين علف المواشي، ويستغلونها للسكن في المواسم التي تهطل فيها الأمطار، حيث تكون العائلات في هذه الفترة مقبلة على الحرث والحصاد، الذي يمتد إلى ثلاثة أشهر تتم خلال هذه الفترة الاهتمام بالماشية ومراقبة الحقل، وهي سمات ذات بعد ثقافي وأنتروبولوجي، تتناول القبيلة ككيان اجتماعي مقيم في مجال معين، تشكل الدار العمود الفقري لقواعد الاندماج الداخلي بين مكونات القبيلة.

²⁸⁴ حسين عبد الحميد رشوان، المدينة- دراسة في علم الاجتماع الحضري، المكتب الجامعي الحديث، مصر، الطبعة 5، 1989، ص:5.

²⁸⁵ بشر بن احمد، تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها العربية، مرجع سابق، ص:82.

خلاصة الفصل:

لقد تبلور مفهوم أجماعة ومجلس أيت أربعين كسلطة حقيقية في الصحراء، تشريعية (أجماعة) وتنفيذية وقضائية وتديرية وعسكرية (أيت أربعين) بمعزل عن شمال الصحراء، أي سوس أو المغرب الأقصى الذي عرف الظاهرة الأميرية بتازروالت مع الأمير بودميعة، والظاهرة القايدية/القائدية (أنفلوس وابن ميس وغيرهم) وجنوب الصحراء بموريتانيا التي عرفت الظاهرة الاميرية مع التراززة وأولاد امبارك وادوعيش وغيرهم. فما الذي تبقى من مجلس أيت الاربعين؟ لقد قضى الاستعمار على كل التراث الإنساني الذي أنتجه أهل الصحراء على مر السنين، وأصبحت أيت الاربعين مجرد ذكرى، يتضح لنا أن الباحثين في دراستهم للقرابة في المجتمع الصحراوي، لا يركزون على الجماعات القرابية الأساسية، فالعائلة كوحدة مجالية واقتصادية وسياسية للمجتمع حتى أن بعض العائلات تحمل اسم فروعها أو أفخاذها وهذا راجع إلى درجة ارتباط عناصرها بالقبيلة.

إن المنتبِع لتأثير الدين في الحياة اليومية للقبائل الصحراء، يستنتج أن النمط العام للتدين لمعظم الفئات الاجتماعية بالصحراء، يغلب عليه التعلق بالموروث الثقافي الخاص بالقبيلة، وبالأخص عندما تكون القبيلة لها إرث ديني متعلق بأولياء وصلحاء معروفون بالعلم والورع بالصحراء.

خلاصة القسم:

تتميز الثقافة بتعدد مصطلحاتها ومدلولاتها، والتي تختلف باختلاف الحقل المعرفي الذي يتناوله الباحث، وتتجاوز الثقافة الإنسان لتصل إلى الطبيعة، وتأثيرها في تطور ونمو المجتمع، هذه من سمات الثقافة، فهي تتميز بالتفاعل والتبادل والتداخل، وهنا على الباحث أن يدرك طبيعة العلاقة بين الفرد/المجتمع والثقافة وفق صيرورة تاريخية تتميز بالتطور والتحول لمختلف الاتجاهات التي تتناول الثقافة بالدرس والتحليل.

تخضع الثقافة لمجموعة تطورات محيطة بالمجتمع، كالعوامل الطبيعية، والعوامل المناخية، والعوامل البشرية أو الانفجار السكاني، بالإضافة إلى عوامل دينية واقتصادية وسياسية، وعوامل مرتبطة بالإنسان نفسه، كالوضعية الاجتماعية والنفسية، وتتسم هذه العوامل بترابطها وتداخلها وتطورها.

من خلال استحضارنا لتطور الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية بالمغرب، إنطلاقاً من مجموعة من الدراسات الكولونيالية التي تتحكم فيها دوافع عسكرية وسياسية، وقد أثارت الأبحاث الاستعمارية ريبة الباحثين بالمغرب لما تحمله من أحكام مطلقة والصفة التقريرية لهذه الدراسات، التي رصدت الأعراف والتقاليد والطقوس الدينية، ومساهمتها في تكريس مجموعة من القيم وارتباطها بالرموز الدينية، التي تتحكم في النظام الاجتماعي السائد في البادية.

رغم هيمنة التفسيرات الأجنبية للواقع الاجتماعي بالمغرب، التي أصبحت مرجعاً للباحثين لدراسة التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع المغربي، لكن نلاحظ ارتفاع شكل ووتيرة الدراسات، التي قام بها مجموعة من الباحثين المغاربة، التي أصبح لها وزن والرجوع إليها ضروري من أجل الاستفادة منها واعتمادها في مناقشة نتائج البحث.

تبقى الدراسات المتعلقة بالصحراء من طرف الباحثين المغاربة ليست بالمستوى المطلوب، والباحثين المهتمين بالثقافة البيضانية عليهم تأسيس مختبرات تهتم بهذا المجال،

ولهذا فإن أغلب الدراسات التي يعتمد عليها الباحث هي دراسات إسبانية وفرنسية، وتعتمد على الرواية الشفوية، ولا ينكر أحد أن بعض هذه الأبحاث مازلنا نعتمد عليها في دراساتنا للثقافة القبلية بالصحراء، وهنا لا بد من دراسة أنواع القرابة، ودور الصلاح والزوايا، والممارسات المتعلقة بهم، ومكانة المرأة في مجتمع البيضان، والفئات المكونة للمجتمع، والأدوار التي تمارسها كالزراعة والموسيقى والشعر الحساني.

ما حاولنا رصده من خلال دراستنا لمجموعة من الدراسات حول المنطقة، بالإضافة إلى اطلاعنا على مجموعة من أعمال الباحثين حول ثقافة الصحراء، من أجل إعطاء كل الدراسات حقها في البحث والمنهجية التي يعتمدها الباحث في تحليل مميزات تطور العصبية القبلية بالصحراء، والنظام الاجتماعي للقبيلة، ومراجعة تاريخية للمصادر المحلية والأجنبية، التي حاولت تسليط الضوء على مختلف الظواهر الاجتماعية بالقبيلة، والتنظيم المؤسسي المتحكم في القرار بالقبيلة، من مؤسسة الشيخ ومؤسسة الجماعة إلى مؤسسة أيت لاريعين.

توصلنا إلى أن الصحراء تعيش تقابلات وصراعات ثقافية، تجسد علاقة الإنسان بالقبيلة والمجال، تخلق مجموعة من التقابلات للإنسان الصحراوي، فيصبح تحت تأثير هيمنة القبيلة والمجال والنزعات الفردية، تولد أزمة ثقافة ونظام وتراتبية اجتماعية، إن الخلاصات التي توصلنا إليها تجعلنا، نتخذ هذه المعطيات النظرية في دراستنا للواقع الاجتماعي بالمنطقة، وفق منهجية تستوعب المفارقات الاجتماعية والثقافية في مجال البيضان التي خلفها الاستعمار الإسباني والفرنسي بالمنطقة، وهنا نذكر دراسة كاروباروخا حول الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للقبائل الصحراوية، ولأهمية هذه الدراسة تمت طباعتها سنتي 1990 و2008، وترجمت سنة 2015 من طرف مركز الدراسات الصحراوية بالرباط.

لا يفوتنا في دراستنا للظاهرة القبلية بالصحراء، رصد العلاقة بين ثقافة القبيلة وتشكل الدولة منذ استرجاع المناطق الصحراوية إلى حظيرة الوطن، ومراحل تنقل القبائل قبل

الاستعمار، وكيف تأثرت القبائل وانقسمت داخل الوطن الواحد خلال مرحلة الاستعمار، ومحافظةها على أسماء عشائرها وبطونها وانتماءاتها في مجال الصحراء، واحتفاظها بثقافتها البيضانية رغم الانقسام.

من هنا؛ فإننا سنحاول وضع المكانزمات المتحكمة في العصبية القبلية، وأثرها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي على المنطقة قيد الدرس، مع الإحاطة بالتفاعلات الفردية ودورها في الاختيارات السياسية للأفراد، التي تستمد عناصرها الأساس من تفسير طبيعة المجتمعات البيضانية، انطلاقاً من مجال صحراوي مفتوح على سمات مازالت تحتفظ بقيم القبيلة التي تشمل الصراع والنأر.

لما يكتسبه من خصوصية اجتماعية وثقافية وتاريخية، حيث يمكن مراعاة نمط العيش الصحراوي وتداخله مع نمط العيش المعاصر، وقدرة المجتمع الرعوي من العيش ضمن ظروف معقدة، واندماج الخصوصية الثقافية لمجتمع البيضان مع أنماط العيش بمرحلة الاستقرار.

القسم الثاني:

الثقافة والعصية

القبلية

بمنطقة الساقية

الحمراء

تمهيد:

يتميز الموضوع الذي بين أيدينا، بالحضور الكبير للمفاهيم التي تقتضي منا الكثير من الدقة والحذر، في إسقاطها على مجتمع أو ميدان البحث وذلك راجع إلى تطورها، وقدرتها على التكيف مع نمط الحياة بالمجتمع، وإنها تمتاز بزئبقيتها وتغيرها من منطقة إلى أخرى ومن تاريخ محدد إلى آخر، وتتمثل صعوبتها في قدرتها على التخفي بين الظواهر الاجتماعية الأخرى.

يحمل موضوع الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمجتمع الصحراء منطقة الساقية الحمراء نمودجاً، مجموعة المواضيع التي تتطلب من الباحث في السوسيولوجيا، التحلي بسمات التركيز في تقنيات البحث، واختيار المنهجية المناسبة في البحث في منطقة عرفت تحولات ديمغرافية واجتماعية واقتصادية وسياسية منذ رجوعها إلى الوطن، وذلك من حيث التمسك بالأساليب العلمية والموضوعية في الخوض في مغامرة الكتابة.

"كانت منطقة الساقية الحمراء تعرف نمط عيش بدوي قائم على الرعي الترحالي والتجارة، قطنتها مجموعة من قبائل الصحراء على مر العصور، وهذا يدل أنها لم تكن أرض خلاء كما زعم صاحب الوسيط في أدباء الشنقيط، وكذلك عرفت الساقية الحمراء تشييدا عمرانيا «قصر حوزة» الذي مازالت بعض آثار معالمه إلى يومنا هذا. يعود بناؤه إلى عدة قرون خلت وكذا النخيل الذي غرسه سيدي بوبا في غرب واد الساقية الحمراء"²⁸⁶.

عرفت الساقية الحمراء حضورا لافتا في الثقافة البيضانية، من خلال مجموعة من الكتابات الكولونيالية الإسبانية والفرنسية وبعض الرحالة من بلاد الشنقيط، وقد تعززت هذه الإسهامات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية مع مجموعة من الباحثين المحليين من خلال

²⁸⁶ محمد الترصالي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع في موضوع: دينامية التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الصحراوي من البداوة إلى التمدن دراسة سوسيولوجية لمنطقة الساقية الحمراء، تحت إشراف: لحبيب لمعمر، الموسم الدراسي: 2015/2016

بحوث الإجازة والماستر والدكتوراه، وقد اشغلت هذه البحوث على تسليط الضوء على القبيلة بشكل عام ودورها في الظواهر الاجتماعية بالمنطقة.

أثار مجموعة من الردود المتباينة، الموضوع الذي يتعلق بالعصبية القبلية، والمتتبع لإصدارات الباحثين بالمنطقة يجد نوعاً من الخوف في الخوض في هذا الموضوع الذي يتطلب جرأة تحليل أكاديمي، مخافة الخوض في النزاعات القبلية وإمتداداتها التاريخية، حيث تتناول هذه الأبحاث والدراسات العصبية القبلية في الغالب الجانب السلبي لظاهرة، وتتغافل عن دورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني بالمنطقة.

يهدف الجانب التطبيقي من البحث السوسيولوجي تتبع دينامية العصبية القبلية، من خلال الموروث الثقافي بمنطقة الساقية الحمراء، حيث سنحاول مقارنة الظاهرة، من خلال التفاعل مع المشاركين والميدان وفق تقنيات المنهج السوسيولوجي، ووضع مسافة مع مختلف عناصر الظاهرة، وتباين الفاعلين المؤثرين فيها والمتغيرات التي تتحكم فيها والعلاقة السببية بين كل متغير، وهذا الفعل لا يخلو من صعوبات تتطلب من الباحث احترام وضبط قواعد الكتابة السوسيولوجية، التي تعتمد على الموضوعية وابعاد الذاتية في تحليل الظاهرة.

من هنا فقد حاولنا صياغة موضوعنا وفق مجموعة من المتغيرات، التي ستسهم في عرض الموضوع وفق مقارنة شمولية، تبين شساعة الإشكالية المطروحة وابعادها الرمزية والمادية، وتمثلاتها الاجتماعية والإقتصادية والطبقية والسياسية والدينية وغيرها. والذي لا بد لنا من استحضار العديد من المناهج التي تتناول الظاهرة، والمتقاطعة مع السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا في مقاربتها لظاهرة العصبية القبلية وعلاقتها بالثقافة.

يتحدد موضوع اشتغالنا حول الثقافة الذي يحمل ترسانة من المفاهيم المتداخلة والمتشابكة، وهي في دينامية مع بعضها البعض، وهذا ماجعلنا نحاول في ماسبق (الاطار

النظري)، إدراك هذه المفاهيم ودرجة تأثيرها على العصبية القبلية، على ظروف وأنماط العيش بالساقية الحمراء، وارتباطها بالقيم العقلية والأخلاقية والروحية للمجتمع.

وهذا يتطلب منا التوثيق والجمع الميداني الذي يقودنا إلى فهم الواقع الثقافي في الساقية الحمراء، وطبيعة التفكير والتأثر بالعصبية القبلية، من خلال التراث الرمزي والمادي للقبيلة وللمجال، وهنا سنحاول تسليط الضوء على مجموعة من المعتقدات والتقاليد بالمنطقة، والتي تحل دلالات أنثروبولوجية وسوسيولوجية، وسنحاول مقارنة هذه المتغيرات مع أنماط العيش وطريقة الاندماج في المدينة.

الفصل الأول: الساقية الحمراء: المجال والتاريخ.

تمهيد:

يرتبط مجال الساقية الحمراء بأسماء لها دلالات رمزية وقعت بها أحداث تاريخية، وأغلب هذه الأسماء نابعة من أماكن للأودية ومنابع للمياه وهذا يبين دور الماء وأماكن الرعي بالصحراء، فكل مناطق الصحراء مرتبطة بأسماءها بمصببات مائية من واد نون والساقية الحمراء وصولاً إلى واد الذهب، أو مرتبطة بأسماء شخصيات معروفة بالمنطقة لها كرامات أثرت في تاريخ قبائل الصحراء، ومعروف بأخلاقه وقربه إلى الله عند جميع شيوخ الصحراء، وأسماء نباتات تنمو بمنطقة من الساقية الحمراء، ثم مناطق تحمل أسماء معارك خاضتها قبائل فيما بينها خلفت عددا كبيرا من القتلى.

رغم أن طرفاية كانت المكان الحضري الوحيد في الساقية الحمراء، فحياة الاستقرار لم تعرفها الصحراء إلا مع الاستقلال الفرنسي والإسباني، وزادت وتيرتها مع انطلاق تنظيم مخيمات الوحدة، حيث عرفت الساقية الحمراء تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية أثرت على ثقافة أهل الصحراء.

المبحث الأول: الامتداد التاريخي والمجالي للساقية الحمراء.

1) تاريخ الصحراء تاريخ شفوي

تحظى الرواية الشفوية بمكانة خاصة لدى الباحثين الانثربولوجيين والسوسيولوجيين في دراساتهم لمجتمع الصحراء، "فقد ظل تاريخ هذه المجتمعات محفوظا بكل وقائعه وحيثياته لدى شيوخ القبائل وتتناقله الأجيال كابرا عن كابر بشكل يضمن استمرارية نسبية لهذا التاريخ الشفهي المتضمن لوقائع وأحداث خاصة بكل قبيلة ومخلدة لأمجادها"²⁸⁷، يتوجس البعض من الرواية الشفوية من منطلق "الحقائق مقدسة والرأي مجاني".

"ليس من شك في أن المؤرخ الجاد بحاجة إلى التأكد من صحة وقوع الحدث التاريخي، وأن يتحاشى ثانياً مغالطات أو مزالق تدوين الرواية الشفوية، وأن يعمل فكره ثالثاً لتحليل أسباب وقوع الحدث والنتائج التي تولدت عنه، لكي تستطيع الأجيال القادمة استخلاص العبرة منه، وأن يستنبط- رابعاً قوانين التطور الاجتماعي التي تشكل مجتمعة «حركة التاريخ»، التي لا تتوقف مادامت أحداث التاريخ مستمرة، وبصورة يومية"²⁸⁸.

"وتتصف الرواية الشفوية بالصحراء كذلك بتعرضها بشكل تدريجي للتلاشي نتيجة لعاديات للزمن والنسيان أو صعوبة تداول هذا التاريخ بين الأجيال من المعايين الذي عايش الواقعة التاريخية إلى الذي سمع عنها، وهو ما يعكسه واقع هذا التاريخ الشفهي الذي تعكس رواياته نوعاً من التواتر الملتبس والمتضمن للكثير من التناقض أو غياب التناقض في بعض الأحيان خاصة وأنه بالمقارنة مع إفريقيا جنوب الصحراء لم تعرف الصحراء وجود رجال

²⁸⁷ محمد بوزنكاظ التاريخ وقضايا الكتابة التاريخية بالصحراء الأطلنتية، مركز الدراسات والأبحاث "مشاريع"، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش 2012، ص: 76-77.

²⁸⁸ مسعود ضاهر، منهجية التاريخ الشفوي والاستفادة منها عربياً، مجلة عالم الفكر، الوثيقة، المجلد 38، 3 يناير/مارس 2008، ص: 52.

متخصصين بحمل التاريخ الشفهي²⁸⁹، وحسب أحد المشاركين "الي لذيب في خلا" فالحديث عن تاريخ وثقافة الصحراء والبحث عنه كالبحت عن إبرة في كومة قش بفعل التحولات الاجتماعية والبعد الزمني عن هذه التحولات، بالإضافة إلى تناقص اللقاءات الخاصة حول تاريخ وثقافة الساقية الحمراء بالأخص.

يبقى الاعتماد على شخصيات لها وزنها في المجتمع من حيث الاستقامة والرزانة في سرد الأحداث التاريخية بالصحراء لابد منه، فالباحث مقيد بمنهجية علمية تستوجب عليه الالتزام بالابتعاد عن الذاتية في البحث، وأن يلتزم بمعرفة الظروف المحيطة بالمشاركين قبل طلب مساعدتهم.

أ) ضعف الوثائق التاريخية حول الساقية الحمراء

يعطي الحديث عن تاريخ الساقية الحمراء بواسطة الوثائق التاريخية، دلالات وحقائق تاريخية مهمة ونظرة عميقة لمجال البيضان، رغم نمط العيش المبني على الخيمة و"هي باب التمثل الاجتماعي والثقافي والرمزي"²⁹⁰ للانسان الصحراوي والغنم الإبل والماء، هذا النمط البسيط جعل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والقبائل تتسم بالبساطة، لكن "نظافة التاريخية وانتم الي شتو شي ملموس اما شي مكتوب منه صايب ياسر ارحل، والخيام احي سحاب اليوم تطفك هذا الكتوب كاملين الي عند ورقك انت. جات الساحب دا الخيمة طفكت ومش بها الواد اوا السلام عليكم، ولا ملي كانت عند مداهب جاها العدو والتحارب بيناتهم اول مايحرقوا الوثائق، ولا خلق كاع فاش أنكتبوا وبنه دليل على دا الي له يكتبوا الناس كانت عندها للواح تحفظ والقيم دا هيا" حسب أحد المشاركين.

²⁸⁹ محمد بوزنكاظ التأريخ و قضايا الكتابة التاريخية بالصحراء الأطلنتية، ص: 78-79.

²⁹⁰ RAHAL BOUBRIK De La Tante à la Ville La société sahraouie et la fin nomadisme، Centre des études saharienne، Université Mohammed V، la Croisée des chemins 2017، Casablanca، P : 28.

استمرارية نمط العيش في الصحراء وسيادة القيم بها، جعل ثقافة الصحراء فطرية ومكتسبة بين صحراويين، ففي "سياق سوسيو مجالي فرض حتمية جغرافية اتسمت بقساوة المناخ والتضاريس وندرة الماء وموارد العيش وأفرزت بذلك نمطا سوسيو ثقافيا مميزا بقيمه التي سندا لها في هذا الوسط، والتي شكل غياب التدوين والتداول الشفهي أبرز محدداتها والضامن لاستمراريتها والمميز لنظامها التربوي والياتها في التنشئة الاجتماعية ساعده في ذلك قوة الحافظة والسليقة كخاصية ملازم للبدو"²⁹¹.

عند الحديث عن الوثائق في مجتمع الساقية الحمراء فهذا يدخلك في متاهات صراعات وشكوك مع المشاركين وبين المشاركين أنفسهم، بفعل غياب الوعي بين أفراد المجتمع بأن الوثائق التاريخية ملكية جماعية، وتستوجب إظهارها للعموم والاستفادة منها.

(ب) مناطق بأسماء قبائل بالساقية الحمراء

شكلت الساقية الحمراء عند قبائل الصحراء منذ زمن قديم مكان التقاء القبائل، لما توفره من ماء في أوديتها العديدة كواد وين سلوان وتاسديميت، وهي كذلك طريق للقوافل التجارية الرابطة بين واد نون وبلاد شنقيط، وهذا يتطلب منا تتبع أثار هذه القبائل في الساقية الحمراء، وحسب أحد المشاركين في الجماعة البوذية "الصحراء فيها مجموعة من القبائل، القبائل الياسر القبائل إلي أصلها موريتانيا، وفيها خلق إلي جاي من التل وخلق إلي ما هو معروف أصلها و شنهو، إذن مزيج من القبائل. ولكن بحكم ثقافتها تقريبا دائمة متقاربة رغم التقطيع الترابي ألي تخضع لو تكنة، تكنة درك كلها معروف ترابها بليد لفلانية و لبليدة لفلانية. الصحراء هون ما فيها تقطيع.

تدخلت أنا وقلت يعني الساقية الحمراء ما فيها.

²⁹¹ محمد بوزنكاظ التاريخ و قضايا الكتابة التاريخية بالصحراء الأطلنتية، ص: 43.

المشارك: الساقية هون ما موجود ذاك التقطيع ما موجود أنا بعد حسب معلومات تقطيع ترابي واضح معروف. التريس مثلا هون فيها أهل بارك الله فيها حيب الله فيها العروسين فيها أولاد دليم ياسر من القبائل ولكن تقطيع ترابي ما هو خالق".

من خلال تحليلنا لخطاب هذا المشارك، يثير انتباهنا إعادة كلمات خمس مرات كقبائل وتقطيع، فالعلاقة بينها أن القبائل تعيش في الصحراء دون تقطيع ترابي بالمفهوم القانوني، الذي يضع حدود معروفة لكل قبيلة معينة ولها وثائق تؤكد ذلك، وتبين ذلك من خلال استعماله لصحراء كناية للساقية الحمراء، تعني أرض خلاء ليست في ملك أي قبيلة وكل القبائل تتواجد فيها، فرغم تواجد بعض القبائل في مناطق بالساقية الحمراء، لا يمكن إثبات أنها تمتلك الساقية الحمراء، فرغم بناء العديد من الآبار من قبل القبائل لتؤكد تواجدها وما تحمله من دلالة الحياة في الصحراء. فإن أحد المشاركين يؤكد أنها ليست علامة على تسمية أرض المنطقة باسمها، ويعطي مثالا لقبيلة بارك الله في مناطق من الساقية الحمراء التي بنت العديد من الآبار.

تبقى الثقافة هي المحدد لانتفاء القبائل للمجال حسب المشارك بالساقية الحمراء، في المقابل فإن مجالات معروفة بملكيتها لقبائل معينة كمجال واد نون، وهذا يبين أن مجال الساقية الحمراء تمتلكه كل قبائل الصحراء التي تسود بها ثقافة أهل الصحراء.

إن تجنب إعطاء أسماء المناطق في الساقية الحمراء بأسماء قبائل، يبين بالملحوس تجنب القبائل لنشوب نزاعات بينها في ذلك الوقت، والاحتفاظ على طابع الترحال والانتجاع بحثا عن الكلاء، وهي تتواجد في نقط الماء من خلال حفر الآبار التي هي صدقة جارية لكل من حفرها، حيث يتم الدعاء له بالخير في حياته ومماته.

2 (تاريخ الساقية الحمراء

لا يمكن فصل منطقة الساقية الحمراء عن تاريخ الصحراء، فقد توصل مجموعة من الباحثين حول تشكل القبيلة، التي قد بدأت في القرون السابقة في هذه القبائل لقصورية أولا ثم عمت بعد ذلك مجتمع غرب الصحراء عموما، ولعبت الانتماءات الشريفة دورا متزايدا؛ مشكلة بذلك امتدادا للتطورات التي ظهرت من قبل في المغرب الأقصى والتي انتشرت في الصحراء بواسطة أولياء الساقية الحمراء.

"حيث تبرز منظومة الروايات المتعلقة بالشريف بوبزول بشكل خاص مسارات إعادة التشكل الجنيالوجي هذه التي أفضت إلى ادعاء أجاب عرب والتي كان من نتائجها - على خلاف الانتماءات الأولى للأنصار - أن أسست للنسب أبوي الخط بوصفه سمة هوياتية لنظام القرابة سمة هوياتية لنظام القرابة والتحالف "العربي" الذي تقره الشريعة الإسلامية والذي أعطى دفعا على هذا النحو باعتباره عاملا حاسما في إعادة تشكل قبائل البيضان"²⁹²، كان من نتائجه على مستوى العلاقات القرابية والتجارية والسياسية بين قبائل الصحراء، فإن الساقية الحمراء مرتبطة بمجال البيضان حسب كل المشاركين في البحث، ولا يمكن عزلها عن تاريخ قبائل الصحراء.

أغلب الكتابات التي تحدثت عن الساقية الحمراء، تعتبرها امتدادا طبيعيا لمجال الصحراء، وفي الوقت نفسه هي مجال لمرور القوافل التجارية نحو بلاد شنقيط، وحسب الوسيط "هي أرض مشهورة وهي آخر شنقيط من جهة بلاد واد نون تبعد عن بلاد شنقيط عشرين يوما بالسير الحديث وتقدمت أبيات ابن الشيخ سيدي التي صرح فيها أن مسافتها شهر بسير الإبل من الصباح إلى المساء وبذلك يتضح ما قلت لأن أرضه تبعد عن شنقيط

²⁹²بيير بونت "روايات أصول المجتمعات البيضانية مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء" ترجمة وتحقيق: محمد بن بوعلييه بن الغراب، دار النشر: جسر، انواكشوط 2015، ص: 792.

بنحو عشرة أيام وكانت الساقية الحمراء خالية أنيس بها لشدة الخوف لقحولتها دائما حتى عمرها الشيخ ماء العينين وبناء فيها الدور وغرس النخل فسهلت المواصلات بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية أعني التابعة للمخزن وهي في الأصل للركيبات قبيلة أصولهم من الزوايا إلا أنهم يحملون السلاح في أكثر أوقاتهم والعلم فيهم قليل²⁹³.

يمكن اعتبار الوثائق المتعلقة بمنطقة الساقية الحمراء قليلة، وحتى الموجود منها تمتلكه قبائل معروفة بالعلم والكتابة، وأفرادها ينتمون إلى عائلات لها تاريخ في الصحراء، يتهربون من إعطاء هذه الوثائق التاريخية، ومن بين القبائل التي تمتلك وثائق عن لصحراء قبيلة أهل الشيخ ماء العينين، وتوبالت وفيلالة و أهل برك الله، أما القبائل الأخرى فتوجد بها عروش معروفة بالعلم والقضاء، وهنا نستحضر المرحوم القاضي كمال ولد المحفوظ أواخر القرن 19، المعروف في الساقية الحمراء والصحراء بعلمه وأحكامه القضائية، الذي كان يقول للناس في الصحراء "إذا أردت ما قاله الله فأهلا وسهلا وإذا أردت ما قاله السلاح فأهلا وسهلا ونحن نطبق ما قاله الله على المسلمين بالحرف" حسب أحد أفراد عائلة المرحوم، وكان أحد المشاركين يصف كمال ولد المحفوظ قاضي زمانه، وحيث "يرفع السيف والكتاب ويقول أيهم تريد القضاء به"، وبعد موته تولى القضاء فال ولد المحفوظ، لتحفظ الأسرة بكم هائل من الوثائق، وقد أكد لنا أحد أبناء عمومته أنهم طلبوا منه الوثائق التي بحوزته من أجل توثيق تاريخ القبيلة، لكنه رفض هذا الأمر، وقد قمنا بمقابلته عن طريق أحد أقربائه (الوثيقة 01، شهادة من إحدى الإذاعات الإسبانية في زمن الاستعمار)، حيث قال "كان عند ياسر من الوثائق اغار الي دا شي ما يرد" وبالأخص أبناء عمومته.

²⁹³ أحمد الأمين الشنقيطي المالكي، الوسيط في تراجم أدباء الشنقيط، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى 1331 هـ، ص: 424.



الوثيقة 01: شهادة من المعهد الاسباني للثقافة الصحراوية

يقول أحد المشاركين في الجماعة البويرة²⁹⁴: "عندما نتحدث عن الصحراء متعلقة بواد الساقية بنسبة لهم ال واد الساقية إلي تل واد الساقية وهو قبلة واد الساقية إلي تلو ما يعتبر من قبائل الصحراء هو مفهوم شمولي عند أغلب مثقفين ربما نتيجة لظروف معينة"، حيث أصبح تاريخ الساقية الحمراء عند الكثير من المهتمين بمجال ثقافة الصحراء يحظى باهتمام خاص.

أ) التقسم الترابي للساقية الحمراء

يقصد التقسيم ملكية قبائل معينة لمجال الساقية الحمراء، كما قال أحد المشاركين "ماه خالق شي كتوب"، ويعجل من الصعب تأكيد استيطان قبيلة في منطقة معينة في الساقية الحمراء دون الأخرى، رغم أن بعض فروع القبائل تحمل منطقة تواجدتها فهناك الأصل وهناك مناطق الانتقال، فالركبيات تنقسم الى قسمين ركبيات الشرق وركبيات الساحل،

²⁹⁴ أنظر الصورة وما أشرنا إليه في الفصل التمهيدي.

"ركيبات الشرق معروف لهم فم اغار بهم كسابة اجوا هون وهذ (ركيبات الساحل) يمشو هوك اغار الاصل يرجعو لو" حسب أحد شيوخ الركيبات.

يبقى الانتقال من مجال الى مجال معين يتسم بصفة مجال البيضان في شموليته وفي العلاقات القائمة بين القبائل، حيث يتسم بمنطق الحرب والسلم في زمن البداوة والترحال، وقد كشف لنا أحد شيوخ قبيلة إزركيين أن هناك قائداً للجيش ويحمل صفة وزير في زمن الدولة السعدية يحمل اسم **حمو سعيد**، ينتمي الى قبيلة إزركيين وقد كان ينوب عن جد السماليل في الصحراء، وقضى بجزء كبير من الساقية الحمراء الى قبيلة التي ينتمي إليها وفق وثيقة قال انها فقدت.

"تقوم هذه الروايات بانتقاء للشخصيات والأحداث الطبيعية أو الاجتماعية أو ما وراء الطبيعة، التي تحمل دلالة تاريخية و قد تكون حقيقية أو متخيلة"²⁹⁵، "حمو سعيد رجل واعر وهو زركي وشي نتشر فيه ينكبد بعين الاعتبار هذا ناحية أغاير باش ألمي يعتامد حد سمعت ذا قال و لا مخلي بذك الصفات ما نجزم عليه عن العيون الساقية الحمراء لفولان هذا الارض ما عندها شي مكتوب عنها" حسب أحد المشاركين في الجماعة البورية، وهذا التبرير تجده عند مجموعة من المشاركين في البحث بفعل الخوف من إعطاء حكم بملكية الساقية الحمراء تاريخيا للقبيلة معينة دون الآخر، فإذا كانت الصحراء تستمد قوتها من أنها أرض خلاء، ما يثير ذلك من خوف، لهذا فحياة التنقل والترحال هي السائدة في المنطقة، "كانت الاشتراكية هي ماكين حد يكد يمنع هذا القبائل من تجرث أو توكل الربيع إلي نابت عند ديك القبيلة الى جاوا للعروسين ال الترسله رتعو ولا تكنة له تفتح، المنافع ما عندها حدود فيه وما قط حد منها قرها حد عن حد ولا حز عن بلد المنافع مشتركينها. سواء من عند كلميم قبله الى حددة موريتانيا هذا اهل مسميات واحد مشاعها واحد حد يتمفصل فيها

²⁹⁵ ببيير بونت "روايات أصول المجتمعات البيضاوية مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء" مرجع سابق. ص: 23.

يدخل في شي انا ماني قيل"، وما يثير الانتباه تحدث أغلب المشاركين عن الساقية الحمراء والقبائل التي تستوطنها بحذر شديد.

إن الحديث عن تاريخ الساقية الحمراء خارج الامتداد القبلي، فكل قبائل الصحراء لها بصمتها في تراب الساقية الحمراء، وذلك راجع الى معرفة كل مكونات القبائل وشيوخها أن هناك قبائل استوطنت الساقية الحمراء، وبفعل ظروف تاريخية وصراعات قبلية انتقلت لتعيش في مناطق أخرى كقبيلة الشناكلة، التي قمنا بالبحث عنها عند العديد من شيوخ القبائل، وثبت معرفتهم بها كاسم دون معرفة تاريخها وامتدادها الترابي بالمنطقة، وقد أكدوا انها قبيلة لها تاريخ عريق وكانت قوية ولها نفوذ كبير بالمنطقة، "عرفوا قوة ماهو معروف سرها" حسب أحد المشاركين الذي أكد لنا أن قبرهم في حفرة لست بعيدة من بنزران، قبيلة الشناكلة نسبة إلى شنكلي بن براهيم بن دليم بن رزق.

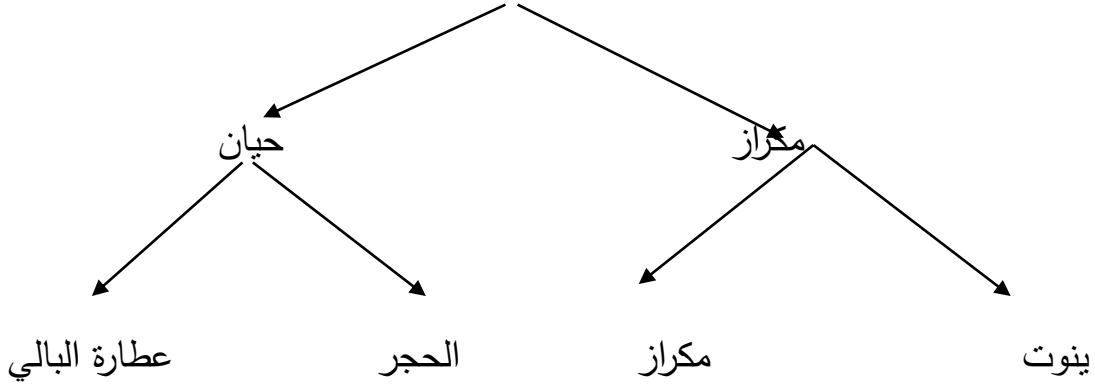
تتقسم قبيلة الشناكلة الى عروش:

- أولاد زياد
- أولاد عباد
- أولاد يخلف
- أولاد طاهر
- أولاد رمضان
- أولاد براهيم
- أولاد بوعسيرية
- أولاد درعي
- أولاد مبيارك
- أولاد حويسين

• أولاد مزيرك

انتقلت، في ظروف معينة، قبيلة دويلال لمساندة قبيلة أولاد جلال وهي "قبيلة تقو بها واعة" حسب أحد المشاركين، ولهذا جعل أولاد جلال تطلب مساعدة من قبيلة دويلال مقابل الأرض "جاءتهم ساكة من أولاد جلال وأهم إسكنو الساقية أحنا نتكلنا في الشرق و الي لنا من التراب وإلي حايزين من شي نص لكم وقيمت دويلال ترحل" حسب أحد المشاركين في الجماعة البوئية، وفي رواية أخرى حكم عليهم القائد حمو سعيد ازركي بغرامة لقتلهم أحد أفراد قبيلة آيت لحسن، لكنهم لم يستجيبوا للحكم مما جعل حمو سعيد يجمع جيش مؤلف من 12 ألف رجل حيث قتل منهم الكثير وهرب الباقي إلى الشرق.

وهذه شجرة قبيلة دويلال: قبيلة دويلال



"تتحدّر قبيلة دويلال من أصول عربية، استقرت في عهدها الأول ببلاد شنقيط المعروفة ببلاد «البيضان» (موريتانيا حالياً) بعد ذلك انقسمت القبيلة إلى قسمين: قسم بقي في الحوض الشرقي قسم الرحل إلى وادي الذهب ثم وادي الساقية الحمراء إلى أن استقرت القبيلة بوادي نون في القرن السادس عشر وسيطرت مطلقة على المنطقة كلها بزعامة قائدها المشهور «جانا» وهو اسم حمله المنصور الذهبي السعدي²⁹⁶، واليوم قبيلة دويلال معروفة في طاطا، وقد انتقل العديد منها للعيش في مدن الساقية الحمراء.

²⁹⁶ مقال بعنوان «قبيلة دويلال» بموقع: www.alnssabon.com/t42762.html بتاريخ: 2018/08/03 على الساعة:

ب) نمط العيش بالساقية الحمراء:

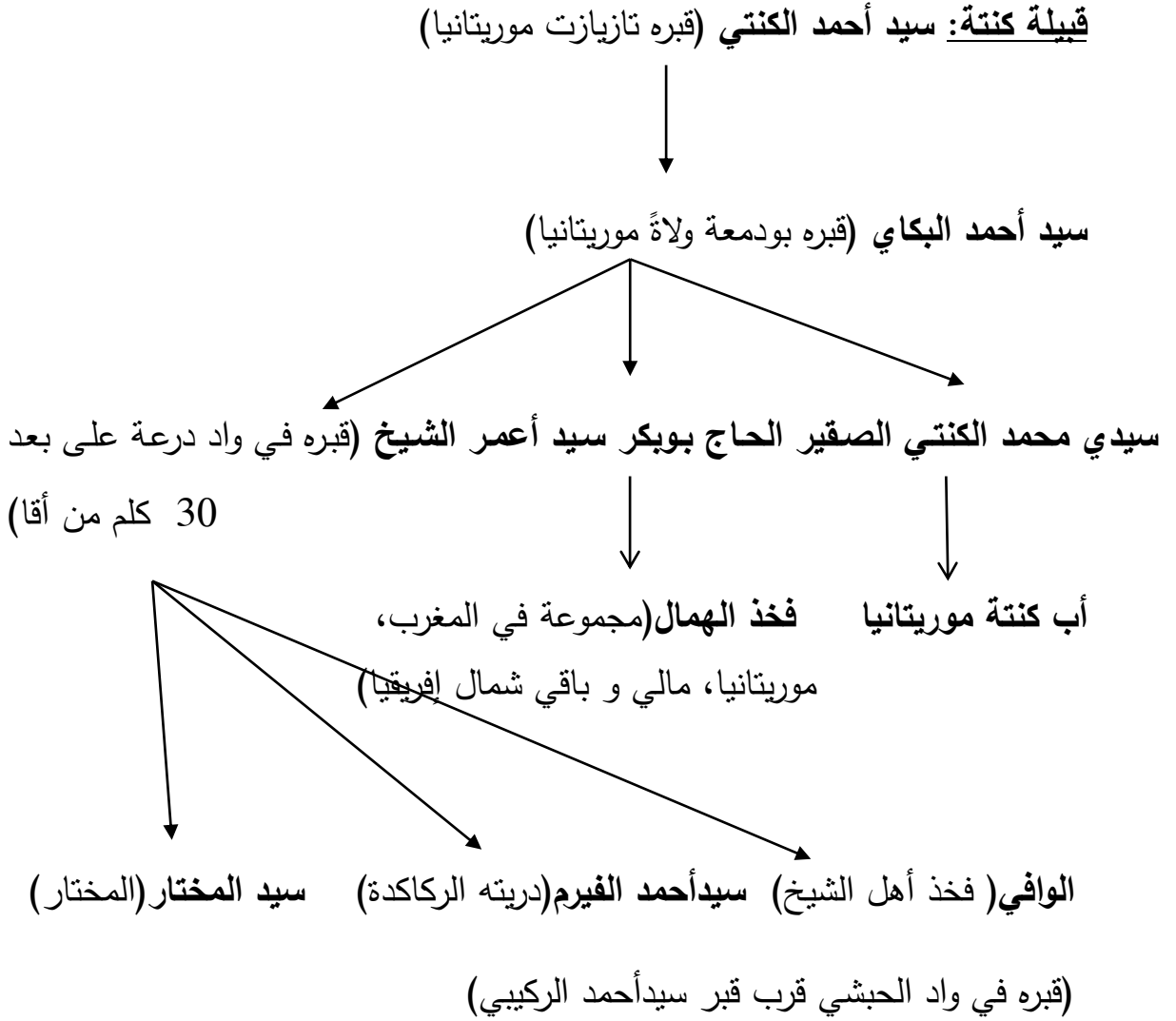
يجمع كل المشاركين في البحث على أن قبائل الساقية الحمراء كانوا يعيشون حياة الرحل، في مجال يمتد إلى واد نون شمالا إلى موريتانيا جنوبا، وتعتبر "الخيمة مجال سكن مجتمع الرحل، وهو جزء من التنظيم الاجتماعي للقبيلة، وهذا يحدد مجموعة من عناصر الحياة الاجتماعية والمادية: الترحال، نموذج تجمع الخيام، عدد خيام لفريق، مجال التنقل، الأمن، المواشي، طريقة القرابة السائدة والعلاقات الزوجية والتحالفات"²⁹⁷.

من خلال زيارتنا لموريتانيا للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بين مجال موريتانيا ومجال الساقية الحمراء، لاحظنا الاختلاف في نمط الحياة وطريقة العيش بالإضافة إلى تقبل أهل الساقية الحمراء لحياة التمدن، من خلال اللباس والمسكن والمعاملات المادية والتجارية، عكس حياة أهل موريتانيا رغم حياة التمدن من حيث العيش في منزل مازالت المعاملات والعلاقات الاجتماعية السائدة تستمد قوتها من حياة الرحل، وهذا لا يعني أن هناك اختلافا كبيرا فتقبل معايشة مجتمع موريتانيا لمجتمع الصحراء ليس كتقبلهم لباقي المجتمعات، فمجتمع موريتانيا يعتبر مجتمع الساقية الحمراء امتدادا لأبناء العمومة، وقد مكنتني العمل الميداني من تتبع قبيلة كنتة وهي قبيلة كبيرة وعريقة "تكونت نواة قبيلة كنتة كأسرة مستقلة تنتقل من الساقية الحمراء وتيرس... ثم انتشرت قبيلة كنتة بين مناطق توات في الجزائر الحالية وفي موريتانيا ومالي والنيجر.

يعود انتقال قسم مهم من كنتة نحو "أزواد" في مالي حاليا، إلى سنة 1130 هـ وهو تاريخ المجاعة التي ضربت الأقاليم الشمالية للصحراء، وبانتقال كنتة إلى فضاء أحواز نهر النيجر الشمالية اندمجوا في التجارة عبر الصحراء التي كانت لهم أدوار أساسية منذ القرون

²⁹⁷ RAHAL BOUBRIK De La Tante à la Ville La société sahraouie et la fin nomadisme P : 49.

الماضية. وفي أزواد أسس بطن كنتي مهم هو أولاد الوافي مراكز حضارة مزدهرة كانت أهمها على الإطلاق زاوية الشيخ سيد أحمد الكبير ذات الإشعاع الواسع في البلاد الصحراوية والسودانية²⁹⁸، وهذه أهم تمفصلاتها.



²⁹⁸ حمّاه أحمد ولد سالم، تاريخ بلاد شنقيطي «موريتانيا»، من العصور القديمة الى حرب شريبه الكبرى، دار الكتاب العلمية، بيروت 2010، ص: 437/436.

يظهر الترابط الكبير بين مناطق الصحراء والامتداد القبلي بها، وليست قبيلة كنتة القبيلة الوحيدة التي امتدت إلى المغرب، فأغلب قبائل الساقية الحمراء لها أبناء عمومتها في موريتانيا والجزائر وبلدان أخرى،

مثال ذلك **قبيلة تكانت** اللتونية، وعرفت هذه القبيلة بالعلم والفقه حتى صار يقال العلم جكني، وقد دخلت في حرب كبيرة مع قبيلة الركييات، ويقال أن بطن واحد الذي كان يحارب من الركييات حسب أحد المشاركين من تكانت، وذلك راجع إلى إمتداد القبيلة على بلدان الصحراء، وكثرت عددها حيث يصل بطونها إلى "إثنى عشر بطن: خلف جاكاب الأبر 12 ولدا وهم: 1. يوسف (جد فرع أدشف) 2. اعمر أقلال (جد فرع لقواليل) 3. رمضان (جد فرع الرماطين) 4. ابراهيم (جد فرع أولاد ابراهيم) 5. يعقوب (جد فرع اديقوب) 6. اتقاغ (جد فرع اتفغات) 7. موساني (جد فرع أولاد موساني) 8. زلماط (د فرع الزلامطة) 9. ابن (جد فرع ادبين) 10. دوشر (جد بقية ادوشر) 11. ناصر (جد بقية النواصر) 12. ابيجة (جد فرع اد ابيجة) ²⁹⁹

عرف مجال الساقية الحمراء حياة التمدن مع الاستعمار الاسباني وازداد هذا التمدن مع رجوع منطقة الساقية الحمراء إلى حوزة الوطن، وتبقى طرفاية أقدم مدينة في الساقية الحمراء بفعل موقعها الاستراتيجي واستغلالها من طرف الكشافة الأوروبيين لدراساتهم في الصحراء وإفريقيا، ورغم هذه الطفرة في التمدن وبروز مدن تضاهي المدن في الشمال المغرب، فإن حياة البدو مازالت بارزة: علاقات القرابة، الولاء، اللباس، قيم أهل الصحراء، العلاقة مع الأجنبي، الانتماء إلى الساقية الحمراء.

²⁹⁹ موقع بتاريخ: 2019/01/16 على الساعة 11:15
http://www.arabtimes.com/portal/article_display.cfm?Action=&Preview=No&ArticleID=297

- قبائل البحر

تسمى "بقبائل إمران³⁰⁰ هذه القبائل المحاذية للبحر من هون إلى السنغال" ، حسب أحد المشاركين. وهو نسبة الى قبيلة ايمران وهذه القبيلة معروف أنها تعيش محاذية للبحر وهي قبيلة من قبائل "قبلة" أي واد الذهب. ومن قبائل الساقية الحمراء توبال، فيكات، أولاد بوعيقة، مجاط، لميار، العرسين وأولاد تدرارين. ويمكن أن نجد أفخاذ أو عروش من داخل قبيلة معينة يستوطنون شاطئ البحر، أما باقي القبيلة فيعيشون حياة الرحل ونذكر على سبيل المثال قبيلة أولاد ادليم وازركين.

تعرف أيضا بقبائل الساحل، ومن خلال تتبع تاريخ قبائل الصحراء لاحظت غياب الاهتمام بالتاريخ قبائل البحر، حيث تلعب دور في مراقبة سواحل الصحراء من الغزوات الاجنبية، هذا الموقع الاستراتيجي الذي يخول لهذه القبائل دون غيرها معرفة ما في البحر ونقل الأخبار الى قبائل الداخل. فإمدادات الاستعمار من السلاح والمواد الغذائية تأتي من ساحل، وحسب أحد المشاركين "هم رجال مانعين وقبائل مانعة وزينين، حقيقتاً عنهم هما مسائلهم ساحلية فيهم رجالة زينين وخيام كبرات، اغير ما هم مطرحين ساكنين الخيام ورحل وهم مقابلين البحر"، وهم مثال للقوة عند أهل الصحراء فكل من يشتغل في البحر ينعت بالقوة والصلابة، فهناك مثل حساني يقول "امتن من رجال البحر".

وتعرف هذه القبائل بصغر حجمها وقلة عددها ما جعلها محل أطماع القبائل الكبرى، لكن أخلاقها وعدم دخولها في حروب مع قبائل الصحراء وخصوصا المجاورة لها، جعلت هذه القبائل تكون سندها بفعل "حقوق الجار على الجار" التي تستوجب الدفاع عنها.

إمران: القبائل التي تعيش بجانب البحر.³⁰⁰

المبحث الثاني: المكونات الجغرافية والبشرية للساقية الحمراء

1) مناخ والموارد الطبيعية للساقية الحمراء:

نقصد بالمناخ الظروف الطبيعية المحيطة بالإنسان وتأثيرها على تنقلاته ونمط عيشه، فبواسطة الموارد التي تتوفر عليها الطبيعة يرفع الإنسان ماشيته ويستخرج طعامه وشرابه ويبني بيته، ويعتمد الإنسان في ظروف الصحراء القاحلة على الماء، التمر، الشعير، الحليب ومشتقاته، والتي تشكل أهم مصادر الحياة بالصحراء، وعلى الرغم من أنها مواد بسيطة لكنها تكلف الإنسان بالصحراء جهداً وطاقة في الحصول عليها، وفي بيئة قاحلة "يمكن أن يحدث التنافس بين الكائنات على الاحتياجات الضرورية من الموارد وخاصة التي تتواجد بكميات قليلة. فقد تتنافس النباتات فيما بينها على الضوء، أو الماء، أو العناصر الغذائية، أو الملقحات الحشرية. فمثلاً تتنافس الحشائش التي تنمو في الحقول الزراعية مع النباتات المنزرعة في الحصول على احتياجاتها من العناصر الغذائية والمياه من التربة،"³⁰¹ ورغم التنافس من مكونات الطبيعة فيما بينها وبين الإنسان والطبيعة، فإن الإنسان بالصحراء يحب بساطة العيش بدون تكلف.

في بيئة الساقية الحمراء الممتدة من الحدود الجزائرية شرقاً المحيط الاطلنطي غرباً، يختلف فيها المناخ من منطقة إلى أخرى، وأصبحت بعض القبائل متكيفة مع المناخ الحار، أما الأخرى التي تعيش بالساحل فإنها تجد صعوبة في التكيف مع حرارة الصيف بالجهة الشرقية من منطقة الساقية الحمراء.

³⁰¹ رأفت حسن عاد الوهاب، منى عايش حسين السلامين بيولوجية البيئة الصحراوية، دار النشر: ذات السلاسل، الكويت 2015، ص: 86.

(أ) الصيد البحري

تتوفر منطقة الساقية الحمراء على شريط ساحلي معروف بثرواته السمكية الهائلة، بفعل دفئ مياهه، يشكل مورد رزق لبعض قبائل الصحراء التي تعرف محليا بإمراكن، شكلت هذه الثروة السمكية في الماضي مصدر لأطماح الدول الاستعمارية الأوروبية خاصة الإسبانية، وتتنمي منطقة الساقية الحمراء مجاليا إلى التقطيع الترابي لجهة العيون الساقية الحمراء، ويقدر الشريط الساحلي " بحوالي 575 كلم، تتخلله موانئ طرفاية والعيون وبوجدور بالإضافة إلى مجموعة من نقط الصيد"³⁰².

أصبحت الساقية الحمراء منطقة جذب للعديد من اليد العاملة من المدن الداخلية، بفعل مناصب الشغل المحدثّة، "ويلعب ميناء العيون، دورا على المستوى الوطني خصوصا ما يتعلق بصيد السردين، حيث تقدر الكميات المفرغة بتجهيزات 285 ألف طن، أي ما يعادل 97% من إنتاج الجهة، ويتميز الصيد الساحلي بهذا الميناء بوفرة منتجاته من السمك الصناعي، ويحتل المرتبة الأولى على المستوى الوطني في إنتاج السردين"³⁰³، وتشكل جماعة المرسى التابعة لعمالة العيون إحدى كذلك أهم المناطق بالساقية الحمراء التي تقطنها اليد العاملة التي تشتغل في الصيد البحري.

تتواجد العديد من اليد العاملة في مدينة بوجدور، بفعل تنوع ثروتها السمكية ومردويتها المادية، ويلاحظ أن أهل الساقية الحمراء لا يقبلون على هذا النشاط الاقتصادي بشكل كبير، ويصف كول اندريس الإنسان البيضاني "بالكسل holgazaneri، فهو لا يعمل إلا قليلا إذا أراد ذلك. فالبيضاني ليست له حاجيات يعمل من أجلها، لا يعمل، فمبلغ ثلاثين سنتيما يشتري نصف كيلو من السكر ومقدار عشرة سنتيمات من الشاي ويقضي نهاره بذلك، وإذا لم

³⁰² مونوغرافية جهة العيون- بوجدور- الساقية الحمراء 2011، المملكة المغربية المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية بالعيون، ص:33.

³⁰³ نفس المرجع، ص: 34.

يحصل على ذلك، فإنه يستطيع شرب الشاي عند أية خيمة دخلها من جواره³⁰⁴، غير أن التحولات الاجتماعية وحياة الاستقرار والريح الذي يأتي من وراء الصيد البحري، أدى بشباب المنطقة إلى الإقبال على هذا النشاط، من خلال الالتحاق بمعاهد التكوين في مجال الصيد البحري.

ب) الرعي وتربية الماشية

رغم التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها منطقة الساقية الحمراء، مازال الارتباط بالبادية وحياة الرحل قوياً، فأغلب سكان المدينة يفضلون قضاء عطلتهم في البادية بدل قضائهما في الشاطئ. فمجموعة من الأفراد قاموا ببناء منازل هي عبارة عن بيت أو بيتين متلاصقين وبجانبتها "نطفية"³⁰⁵، وفي الغالب يتم بنائها فوق هضبة محاذية للوادي، حيث يقضي فيها ما بين يومين الى عشرة أيام، ويلاحظ فيه الشغف والإحساس بالراحة عند قضاء أهل الساقية الحمراء أياما في هذه البيوت المشيدة بالخلاء.

"ويعتبر الربيع عند الانسان البدوي- رجل أم امرأة- من أروع فصول السنة لأنه يرتبط بموسم الرعي الذي يحمل مسؤوليات خاصة، بالإضافة إلى مباحج الحرية والتسلية ولقاء الأحبة والأقارب واستعاده أيام الصبا، ونصب الخباء. ويعشق الانسان البدوي بيت الشعر، لأنه يرتبط بحياة البداوة، حياة الأجداد، حياة بتفاصيلها وأمجادها باقية في الضمير الشعبي، تتمدد في الأحاديث والأمثال والحكايات والسير والشعر، التي تقال حول منجد النار في المساء حيث يجتمع الشمل، فيتم تبادل الخبرات والتجارب كما يتطرق الحديث إلى حكايات

³⁰⁴ محمد دحمان، الكتابات التاريخية الإسبانية حول منطقة الساقية الحمراء وواد الذهب قراءة سوسيو-تاريخية، مجلة المناهل، العدد 89-90، 1 يونيو 2011، ص: 71.

³⁰⁵ نطفية بالحسانية : تعني مكان تحت الأرض يبنى بالاسمنت و الحديد و يغطى به حتى يبقى قليل بحجم نافذة بمساحة 20 سنتيم لجلب الماء.

الأجداد وبطولات القبيلة³⁰⁶. ويساهم هذا الفعل في ترسيخ قيم البداوة، وتحبيب الارتباط بالأرض القبيلة وتاريخها للجيل الجديد.

أهل البادية حسب أحد المشاركين "خدمتهم وكسبتهم الإبل والغنم والنعاج والمعز والخيام"، ويولي المجتمع بمنطقة الساقية الحمراء اهتماما وعناية بالإبل، فهي مفخرة لصاحبها، وتحاول كل عائلة وقبيلة أن تحصل على أحسن الإبل، وذلك حتى يقال "إبل فلان" أو إبل أهل فلان من قبيلة لفلانية". والإبل من الحيوانات شديدة الحساسية، وتتطلب اهتماما وعناية³⁰⁷ أكثر مما تتطلبه أنواع المواشي بالصحراء وذلك راجع إلى قيمتها الثقافية والرمزية والمادية. ففي هذه منطقة يفضلون أن يصبحوا على الإبل ويمسكون عليها، لكونها تشكل مصدر فال خير لكل من يراها ويمعن النظر فيها.

يسعى أغلب أفراد ساكنة الساقية الحمراء إلى توسع مصادر الرزق، عبر إمتلاك على رؤوس من الإبل، ويلاحظ أن جميع الأسر التي تتوفر على رأسمال مادي لديها قطيع من الإبل، ويتبين عند التمعن في هذا الإقبال على شراء الإبل، أنه يشكل في المعتقد الشعبي مصدر للرفاه المادي والاجتماعي، لذلك مازالت تحافظ الإبل على دورها الثقافي، فأحسن هدية يمكن أن تقدم في المناسبات هي الإبل أو ما يسمى عند أهل الصحراء بـ"ترزيفة" أو "التعركيبة"، ويمكن مشاهدة التنافس بين القبائل لتقديم أفضل الإبل عند حضور موسم قبيلة معينة، فضلا أن أصحاب الإبل يمتلكون القدرة على التأثير في العائلة والقبيلة.

(2) أصول الفئات البشرية بمخيمات الوحدة

يثير موضوع الحديث عن المناطق التي جاءت منها القبائل الموجودة بالمخيمات والأعراق التي ينتسبون إليها، مجموعة من الحساسيات؛ بفعل الأسباب التي جعلت الدولة تقوم

³⁰⁶ مقال لسعيد رمضان بموقع www.m.ahewar.org/s.asp?aid=270681&r=0 بتاريخ: 2018/08/11 الساعة 09:50

³⁰⁷ ديسكون عرب الصحراء، المطبعة العلمية، دمشق، الطبعة الثانية 1998، ص: 398.

بهذه الخطوة والمرتكزات التي اعتمدت عليها في اختيار مناطق دون غيرها في التسجيل بالمخيمات، وقد أثار مشكل مخيمات الوحدة مجموعة من الردود المتباينة، لقد حاولنا معرفة الانتماء المجالي والقبلي للمجموعات البشرية التي انتقلت للعيش في المخيمات التي اقيمت بمدن العيون، بوجدور، السمارة، والداخلية.

تمكنت، بعد سنوات من السكن في مخيمات عبارة عن خيام ودور الصفيح، ساكنة مخيمات الوحدة من السكن في أحياء وفق برامج متفاوتة من حيث الزمان، كان آخرها حوالي 2009، وقد لاحظنا في أغلب الزيارات للأحياء التي يسكنها هؤلاء السكان، مستوى الاندماج مع ساكنة الساقية الحمراء من خلال اللباس، فالمرأة تلبس الملحفة هذا الزي الصحراوي الخاص بالنساء هو السائد في الأسواق والشوارع، "والذي يستند دون شك إلى أسس نفسانية متينة نظراً لأنه ينزع للظهور مجدداً لدى كل منا عندما نكون في موقع غير منتظر، إنما يتمثل في الرفض الكامل للأشكال الثقافية، الأخلاقية والدينية والاجتماعية والجمالية، البعيدة كل البعد عن القيم التي نعهدنا"³⁰⁸، ونلقى أن أغلب المبحوثين يتحدثون عن امتداداتهم وأصولهم الصحراوية، والعلاقات العرقية التي تجمعهم بأهل الساقية الحمراء.

ينتمي أغلب سكان هذه الأحياء إلى مناطق قريبة من الساقية الحمراء ككلميم وطانطان، وهي مجالات تنتمي إلى واد نون وواد درعة، وأغلب الانتماءات القبلية بها تعود إلى إتحادية تكنة، حيث يركز أغلب المبحوثين على مسألة العلاقات الترابية لقبائلهم مع منطقة الساقية الحمراء والامتداد القبلي والتاريخي بالمنطقة.³⁰⁹

³⁰⁸كلود ليفي شتراوس **العرق والتاريخ**، ترجمة: د. سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق 2008، ص:13.

³⁰⁹التفصيل في هذا الموضوع في الفصلين القادمين.

تتنمي أغلب الفئات الاجتماعية الأخرى إلى أقاليم قلعة السراغنة، الرحامنة، أسفي، واليوسفية، ويصرح أغلب هؤلاء أن أصولهم ترجع إلى الصحراء، وبفعل مجموعة من التحولات الاجتماعية والسياسية والظروف القاسية التي عرفتھا، انتقل أجدادهم إلى منطقة الرحامنة، دكالة، عبدة، القلعة، والحوز، فهناك بعض الأفراد من القبائل التي انتقلت إلى هذه المناطق، ورجعت بعد ذلك، وعلى سبيل المثال، فإن أفراداً أغلبهم من قبيلة إزركين والعروسين، تم توطينهم بعد رجوعهم في جماعة تسمى الدورة تبعد عن العيون بحوالي 40 كلم، وقد التقيت أحد أفرادها ينتمي إلى قبيلة العروسين، والذي كان يقطن بنواحي مراكش، ومنهم من انتقل للعيش بالساقية الحمراء بعد المسيرة الخضراء.

"تشير أخبار النسابين في الكثير من المصادر إلى أن تسمية الرحامنة تفيد "أولاد عبد الرحمان" أو "أولاد رحمون" بن رزق بن أدري بن حسان، وهي تسمية كانت تدل عليهم قبل وفودهم إلى المغرب من اليمن، مروراً عبر الصحراء، التي مازالت آثارهم دالة على مرورهم منها واستقرارهم بها أيضاً، فاسم الرحامنة ليس حكراً على المغرب فقط، ذلك أن هناك قبائل أخرى تحمل نفس التسمية بكل من الجنوب المصري والجنوب الليبي والشرق الموريتاني"³¹⁰، لاحظت حينما انتقلت إلى الرحامنة الامتداد التاريخي والقبلي لسكان المنطقة، فأغلبهم لا ينكر علاقته بالساقية الحمراء، وشاهدت جماعة تسمى جماعة أولاد أدليم نسبة إلى قبيلة أولاد أدليم تابعة لنفوذ الترابي لإقليم بنكرير، ويوجد شعور بالندم لدى ساكنة هذه المناطق بفعل المستوى المعيشي الذي أصبح فيه الذين بقوا مستقرين في مدن الساقية الحمراء، "ندمت علاش رجعت فين مشيت من المخيم" حسب أحد المشاركين، مقارنة مع الذين بقوا بالشمال.

³¹⁰ عبد الرحيم العطري الرحامنة القبيلة بين المخزن و الزاوية ، منشورات دفاتر العلوم الإنسانية، الطبعة الرابعة الرباط 2013، ص:12-13.

رغم الاختلاف الثقافي بين الفئات الاجتماعية التي تنتمي لهذه المنطقة ومنطقة الساقية الحمراء، "إلا أن الأمر يتعلق بقبيلة تختزن في تاريخها مسارات من الانتماءات إلى ممارسات رعوية وتجارية وزراعية، فقد مارس الرحامنة الترحال الرعوي خلال مقامهم بالصحراء، كما مارسوا التجارة فضلا عن الزراعة على طول رحلتهم الكبرى من تخوم الصحراء إلى سهل سوس، فسهل الحوز أخيراً و بديهي أن تكون لهذه الممارسات والانتماءات حتى في الوقت الراهن"³¹¹.

احتضنت مدينة بنجرير فعاليات مهرجان "روابط الرحامنة" على مدى 3 أيام تحت شعار "الرحامنة والصحراء المغربية أصول مشتركة"، و"المهرجان تقول الجهة المنظمة له، يتوخى تمكين وترسيخ الامتداد والروابط الثقافية والاجتماعية والتاريخية القوية التي جمعت بين البدو الرحل بالجنوب المغربي ونظرائهم في منطقة الرحامنة"³¹²، وقامت اللجنة بدعوة العديد من الجهات التي تنتمي إلى الساقية الحمراء، ويبين هذا الأمر دور المواسم بالمغرب في إحياء ثقافة الامتداد والعلاقة بالأصول الأولى للمجموعات، وتجديد الانتماء القبلي والثقافي واللغوي (الحسانية)³¹³.

أ) حياة التمدن لدى ساكنة الساقية الحمراء

يرى المنتبع لظاهرة التمدن بالصحراء المغربية من واد نون إلى واد الذهب، باللموس الطفرة التي عرفت هذه الظاهرة في مختلف المجالات بعد سنة 1991، فقد أولت الدولة اهتماما كبيرا للمدن بالصحراء، "للتوسع ويصبح التمييز فيها بين المعمار الاستعماري والمعمار العصري المغربي واضح جدا، ومع توافد تكتلات بشرية من شمال المنطقة على

³¹¹ عبد الرحيم العطري الرحامنة القبيلة بين المخزن و الزاوية، مرجع سابق، ص: 37.

³¹² مقال جلال عمر بموقع: www.almaghribtoday.net/amp/319/193207 بتاريخ: 2018/08/15 على الساعة 17:25.

³¹³ سيتم التطرق إلى هذا الموضوع في الفصل القادم.

مدن الصحراء (العيون السمارة بوجدور والداخلة) في إطار مخيمات الوحدة أصبح الحديث عن أهل الدشرة كناية بالسكان الذين يسكنون المنازل بأحياء المدينة وأهل المخيم كناية على الوافدين عليها والقاطنين بالخيام داخل المدينة. وازدادت وثيرة ذلك التطور العمراني مع مطلع القرن الواحد والعشرين³¹⁴.

تدخلت الدولة من أجل استقرار عدد هائل من الساكنة الذي جاء في إطار المخيمات عن طريق الدعم بالمواد الغذائية، وتوفير السكن لهم فيما بعد، أما الوافدين خارج هذا المسار حيث المواد الغذائية بأثمان مناسبة بسبب بيع أصحاب المخيمات "الرصاين"³¹⁵ لنصيبهم من المواد الغذائية، الإستفادة من التعويض عن مناطق الصحراء في رواتبهم والتي تحدد ما بين 1000 درهم إلى 1500 درهم.

تدخلت الدولة، من خلال مشاريعها لاستقرار الساكنة الساقية الحمراء، وأثرت بشكل مباشر وغير مباشر على العلاقات القبلية والفتوية للمجتمع المحلي، كذلك على مستوى الولاءات بين الأفراد/القبيلة والفتات/القبيلة، والذي خلق نوعا من الاستقلالية الفردية والفتوية، وتتمثل هذه المشاريع في خلق مناصب شغل لفتات عديدة من المجتمع، والذي أدى إلى تأسيس ثقافة اقتصادية مرجعها تدخل الدولة في هذا المجال، لأنها الفاعل الاقتصادي الوحيد الذي يمكن له تشغيل أفراد المجتمع، وتمكين فتات من المجتمع من برامج لتأهيل الحرف التي يعتاشون عليها، من خلال برامج تنميين الصناعات التقليدية، الشيء الذي مكن هذه الفتات من الاستقلالية عن القبيلة، وصار لها تأثير، بحكم المسؤوليات التي أوكلت لها في

³¹⁴ محمد شرايمي المدن الصحراوية النشأة و التطور ، مرجع سابق، ص: 8

³¹⁵ رصيون: من ration هي في الأصل كلمة فرنسية، جمع رصاين و يعنى بها الكمية المحددة من المواد الغذائية لكل شخص المحصي من مخيمات الوحدة.

مرحلة الاستقرار، بعدما كانت فئة الصناع والمعلمين تعيش في ضل القبيلة، وتنتقل مع لفريگ في ترحالهم المستمر طيلة السنة.

لا يختلف أحد في أن الساقية الحمراء أصبحت مكان استقطاب للعديد من الناس من أجل الاستقرار بمدنها، التي تعرف نمواً كبيراً بفعل العديد من العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأصبحت ثقافة المدينة المسيطرة على أغلب ساكنة المنطقة، حيث نرى التفاعل بين أنماط العيش البدوي ونمط العيش داخل المدينة، أنتج هذا التفاعل وظاهرة الاستدامة بين نمط الترحال ونمط الاستقرار، أنماطاً عديدة من التفكير والسلوك بين أفراد المجتمع، ولا يقتصر هذا التأثير على الطبقات المتوسطة، بل يتجاوزه إلى الطبقات الغنية، حيث ترى خياماً على أسطح القللات يتم بداخلها تناول الشاي، ويغلب عليها الجلوس على الأرض بفعل طريقة الفراش التقليدية، رغم تملكهم لكراسي وموائد مستديرة عصرية.

يلاحظ التأثير بالثقافة الحسانية من خلال ملاحظة مختلف أنماط السلوك لدى الأفراد القادمين من المناطق الشمالية، فأغلب السكان الذين لهم أصول داخلية يلبسون اللباس الصحراوي، المتمثل في "الملحفة" بالنسبة للنساء، والقليل من الرجال يلبسون "الدرعة"، وترجع أسباب هذا السلوك لعوامل طبيعية وذاتية متمثلة في المناخ الصحراوي الذي يوجب على المرأة لبس الملحفة للمحافظة على بشرتها، وأصبح هذا اللباس مألوفاً حتى أصبح الزائر لا يفرق بين نساء أهل الصحراء ونساء المناطق الداخلية، إلا إذا كانت له فراسة معرفة الأشخاص، وهذا يؤكد التأثير والاندماج مع ثقافة الصحراء، حتى أصبح بعض رجال المناطق الداخلية يتزوجون بنساء صحراويات من أجل الرقي الاجتماعي داخل منطقة الساقية الحمراء، فالزواج من قبيلة لها وزن داخل المنطقة يضمن حماية المصالح، كما يضمن للقبيلة تضامنها في الظروف الاجتماعية في حالة الرجوع للمنطق القبلي بالمنطقة.

يمكن الوقوف على حالات اجتماعية بالمنطقة، والتي وصلت إلى مناصب المسؤولية بالساقية الحمراء وأصبحت تسير الشأن العام، وفي أثناء البحث عن أصولها العائلية وجدنا أنها من أب "داخلي" الذي يقصد به الانتماء إلى مدن الشمال وأم صحراوية، من قبيلة لها امتداد بالساقية الحمراء، وهذا دليل على أن الانتماء إلى قبيلة معينة يجعل من الشخص يرتقي اجتماعياً داخل مجتمع الساقية الحمراء، ويضمن التدرج الاجتماعي بدون معوقات قبلية، فالانتماء القبلي بالنسبة لهذه الفئة الاجتماعية يضمن مستوى آخر من العلاقات الاجتماعية، تكفل رضى القبيلة عن هؤلاء الأفراد، في المقابل يُلاحظ أن الفرد من أب "داخلي" يتمتع بكامل حقوقه في القبيلة، من خلال التمتع بالقدرة على المشاركة في قرارات القبيلة وتحالفاتها المستقبلية، وبالأخص في حالة امتلاكه ثروة ومستوى ثقافي معين، وقدرته على الإقناع من خلال ثقافة حسانية واسعة تقربه من شيوخ القبيلة.

لا يقف نمط الحياة بالمدينة عند الأفراد والفئات والقبيلة، بل يصل إلى مستويات عديدة، منها طبيعة العيش لدى مجتمع الساقية الحمراء، ويُلاحظ تغير نمط الاستهلاك لعدد من ساكنة المنطقة، فثقافة الخروج إلى المطاعم والأكل فيها، أصبحت مألوفة بين ساكنة الساقية الحمراء، وكذلك خروج العائلة بكل أفرادها للتجول في الشارع والعشاء في إحدى المطاعم بالمدينة، وهذا يبين تصاعد ارتفاع حدة الاستقرار المصحوب بنمو ثقافة الاستهلاك، كما نلمس ذلك في التردد على الأسواق والمحلات الكبرى ومنتجاتها المختلفة.

ب) مدن الساقية الحمراء

تتميز المدينة بأدوارها التجارية في الصحراء، وإشعاعها الروحي والفكري لما كانت توفره من سلع والتي كانت تتم مقايضتها ومبادلتها، فقد أصبحت بعض المدن بالصحراء، مكانا يستقطب المؤرخين والانتروبولوجيين الاستعماريين، بالنظر إلى موقعها الاستراتيجي، وتواجدها على ملتقى القوافل التجارية القادمة من الشمال، ولأنها منطقة تماس بين الحساني

والصنهاجي، مما يجعل منه مجال تأثير العادات والتقاليد والأعراف والقيم الاجتماعية وأنماط العيش مثل واد نون.

يجمع المشاركون أن الشيخ ماء العينين أول من بنى منزلاً في السمارة، والتي أصبحت منارة إشعاع علمي متألفة، وتعرف مدن الساقية الحمراء تحولات من حيث الحجم والتفاعلات الاجتماعية تشمل مختلف جوانب الحياة، لكن تبقى دراسة هذه التحولات في عمقها الثقافي مبنية على مؤشرات وإحصائيات بعيدة عن التحليل السوسيولوجي والانتروبولوجي والتاريخي لنشأة مدن الصحراء.

تعرف المدن بالساقية الحمراء طفرة نوعية بفعل عوامل عديدة وتتخذ اتجاهات كثيرة، وتبقى الدولة الفاعل الوحيد والمتحكم بهذه العوامل من خلال الإشراف على بناء الوحدات السكنية، ومن أجل تلبية الطلب المتزايد للعائلات التي أتت ضمن مخيمات الوحدة، وعرفت الساقية الحمراء من خلال الفترة تنوع عمراني يشابه المدن الداخلية، حيث تم بناء تجزيئات سكنية على شكل عمارات وفيلات ومنازل ذات جودة لا بأس بها.

يلاحظ دخول العديد من الشركات العقارية الخاصة لتلبية الطلب المتزايد على الوحدات السكنية، مع توفرها على الوعاء العقاري الذي لا يخضع للملكية القبلية، وتسهيلات وفرتها لها الدولة والجماعات الترابية، والذي أدى إلى خلق منافسة بين هذه الشركات للاستجابة لطلبات الساكنة، في سكن يتوفر على جودة عالية، وهذا يدل على أن مجتمع بالساقية الحمراء أصبح يفهم قيمة السكن في المنازل الراقية والمنازل المتوسطة، وتحكم هذا الإقبال على شراء منازل وبقع مجهزة مجموعة من المعايير المستمدة من الثقافة الصحراوية، منها المساحة الكبيرة، وهذا المعيار ضروري عند شراء السكن أو البقعة الأرضية، ويشترط عند شراء المنزل توفره على غرفة كبيرة للضيوف.

اتسعت شبكة العلاقات بين الأفراد وأصبحت متشابكة ومتداخلة، على العكس من الحياة البدوية التي يعيش فيها انساق ومجموعات صغيرة وعلاقاته محدودة بالإنتماء العائلي والقبلي، كما أن الحياة الحضرية تقاس بمستوى العلاقات الاجتماعية، التي يستفيد منها الفرد لتحقيق مصالحه، ويتميز المجتمع في المدينة بتنوعه وتعدد مشاكله، وكذلك لتطوره في جميع الميادين الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، والعمرانية، مما يخلق لدى الفرد ضغوطات نفسية واجتماعية، وهنا نجد أغلب المشاركين يداومون في الخروج إلى البادية (خارج المدينة) من أجل الراحة التي يطلق عليها "الديميس" وهي اللحظة التي ينبسط فيها الظل (المساء)، والغاية كما يقال "يرد الرأس" أو "يبرد الرأس" بالחסانية أي الراحة النفسية والذهنية.

المبحث الثالث: تأثير التحولات الاجتماعية على ثقافة الساقية الحمراء والعلاقات الاجتماعية.

1) الساقية الحمراء والتحويلات المجالية

عرف مجال الساقية الحمراء تحولات سوسيو مجالية خلال مراحل تاريخية عديدة، وذلك راجع إلى دور هذا المجال في بناء المجتمع، كما عرف استقطاب مجموعة من التكتلات البشرية التي استقرت به، ولظروف تاريخية وسياسية انتقلت إلى مجال آخر، وكانت الساقية الحمراء مجالا مفتوحا لتقدم الفتوحات الإسلامية نحو إفريقيا، فموقعها الاستراتيجي في الصحراء ومناخها الشبه معتدل مقارنة مع باقي مناطق الصحراء الكبرى، جعلها المكان الأنسب للراحة والتزود بالماء، فالمنطقة تتوفر على فرشات مائية مهمة، وعيون كثيرة ومناطق خضراء على طول واد الساقية الحمراء.

لا ينفصل الحديث عن منطقة الساقية الحمراء عن الصحراء، ويرتبط بمناطق الصحراء الأخرى من وادنون شمالاً حتى بلاد شنقيط جنوباً، فمبدأ التنقل والترحال هو القائم بين كل قبائل مناطق الصحراء، "من كليم قبلة إلى حدادت موريتان هذا أهل واحد ومسيمياتها واحد" حسب أحد المشاركين، فالقبائل التي كانت تسكن المنطقة لها امتداد ترابي على مناطق الصحراء بفعل قوة الرابط الثقافي.

يتبين من خلال مقابلاتنا مع فئات اجتماعية متعددة خصوصا الشيوخ، أن الامتداد والترابط الثقافي القوي يلعب دوراً مهماً في الامتداد الترابي، فأغلب المشاركين من هذه الفئة يجمعون على أن القبائل تنتقل من منطقة إلى أخرى حسب الظروف المناخية المرتبطة بالتساقطات المطرية، وحسب أخبار التي يحملها "البواه" الذي ترسله القبيلة للبحث عن مناطق الرعي الخصبة، في المناطق المجاورة والمناطق البعيدة.

تبقى خصوصية القبيلة حاضرة في كل مناطق الصحراء، فالقبائل التي تتواجد في الغالب بالساقية الحمراء لها خصوصياتها الثقافية، التي تميزها عن القبائل الأخرى، وهي تتعدت عند القبائل التي تقطن بالمناطق الشرقية "بأهل الساحل"، هذا الاسم يستمد خصوصيته من الظروف الطبيعية التي تعيش فيها هذه القبائل، فأغلبها تعيش قرب البحر وقد تأقلمت مع الظروف المناخية والبيئية التي يوفرها المكان، حتى أنها أصبحت غير قادرة على الدخول إلى عمق الصحراء، وذلك راجع إلى قساوة مناخ الصحراء من حرارة وتيارات هوائية حارة تسمى "الشركي" والتي لا تمتلك القدرة على تحملها.

(أ) أهمية مجال الساقية الحمراء في الصحراء

يختلف الحديث عن الساقية الحمراء قبل الاستعمار الإسباني عن الحديث عنها قبل الاستعمار الإسباني، فمجالها كان جزءا لا يتجزأ من مجال الصحراء الواسع، ويشكل امتدادها لدى الإنسان الصحراوي اللامتناهي الأطراف، والذي يختلف من منطقة إلى أخرى، حيث تنعم القبائل بأوديته الكثيرة التي تصب في واد الساقية الحمراء، هذا التكوين الطبيعي للمجال والعلاقة بين الروافد وواد الساقية الحمراء ينعكس على طبيعة العلاقة بين منطقة الساقية الحمراء والصحراء عامة، وكل منطقة وقبائل الصحراء، وهذا الامتداد الثقافي والطبيعي يجعل الباحث أمام مجتمع سيمته الأساسية أنه فسيفسي، ما يصعب عليه تحليل الظواهر الاجتماعية دون الرجوع إلى أهمية المجال وأثره في البناء الثقافي للمجتمع بالصحراء.

يستمد مجال الساقية الحمراء قوته من كونه يتوسط مجال الصحراء المغربية، بين منطقة واد نون ومنطقة واد الذهب، وأهل هذا الموقع لالتقاء القبائل ومرور القوافل التجارية من وإلى الصحراء الكبرى وإفريقيا جنوب الصحراء، والذي منح المنطقة مكانة خاصة لدى قبائل الصحراء جعل البعض منهم يستوطن بها رغم امتلاكه لأراض في مناطق أخرى،

ونموذج قبيلة إزركين التي كانت تمتلك أراضي واسعة في منطقة واد نون، وبفعل الترحال انتقلت الى الساقية الحمراء حينها وجدت الظروف المناسبة للاستقرار بالمنطقة.

رغم أنها مازالت في نزاع مع قبيلة أولاد بوعيطه على مناطق في مجال واد نون، فإن استقرار لهذه المنطقة وغيرها من القبائل يرجع إلى أسباب اجتماعية وتاريخية، منها الحروب التي دخلت فيها قبيلة إزركين مع القبائل الأخرى. ونذكر منها الحرب التي دامت حوالي سنوات بين قبيلة أيتوسى وقبيلة أزركين، ودخول المستعر الاسباني إلى المنطقة وما خلفه من تقسيم لمجال الصحراء واضطرار القبائل إلى الاستقرار، حيث وجدت صعوبة في الانتقال من منطقة إلى أخرى، وكذلك راجع إلى مراقبة الاستعمار الاسباني والفرنسي لتحركات القبائل ومحاولة الحد من هذه التنقلات بين مجالين استعماريين واداريين.

أصبحت الساقية الحمراء منذ انطلاق النموذج التنموي للأقاليم الجنوبية الذي أطلقه صاحب الجلالة محمد السادس بمناسبة الذكرى الأربعين للمسيرة الخضراء (نونبر 2015)، مجالا مفتوحا بين القبائل من أجل التمرکز في المنطقة، بواسطة مجموعة من المبادرات، ساهم في جعلها تفرض نفسها كمكون يشكل الدعامة الأساسية بالمجال، وظهورها في ساحة الأحداث كقبيلة لها تاريخ وأمجاد في منطقة الساقية الحمراء، وقد تميز حضور البعد القبلي من خلال المناسبات المختلفة التي تعرفها المنطقة، وقدرة كل قبيلة على حشد وتجميع أفرادها، وحضورها المكثف أمام القبائل الأخرى.

ب) المرحلة الاسبانية وتأثيرها على العلاقات القبلية

تستمد المرحلة الاستعمارية الإسبانية قوتها من طولها وقدرتها على تطويع قبائل الساقية الحمراء، من خلال تراجع النزاعات القبلية ومحاولة المستعمر الإسباني توطين القبائل من أجل مراقبتهم، والتعود على الآخر (النصراني) عند أهل الساقية الحمراء وتخفيف التوتر مع المستعمرين، هذا الصدام الأول بين مجتمع يختلف بكل المقاييس عن مجتمع المنطقة من حيث اللون، اللغة، العادات، الدين، إلى غير ذلك، نتج عنه جملة من التأثيرات

الاجتماعية أثرت على الجانب الخصوصي للفرد بالمنطقة، فإذا كانت الخيمة مكان للأسرة، يتميز بسيادة رب الأسرة وقدرته على التحكم في أفرادها، فالفريگ مكان لتوطيد العلاقات بين أبناء العمومة وتنشئة الأطفال على النظام الأساسي المكون للقبيلة.

حاول الاستعمار الاسباني التأسيس لثقافة أوروبية، أثرت على النظام العام لتسيير القبيلة ونمط عيشها وتربيتها لأبنائها، من خلال اللباس وطريقة العيش وإرسال أبناء المستعمرين إلى مدارس حكومية، وفرض قوانين خارج قوانين الدين الإسلامي والعرف عند أهل المنطقة، والذي جعل بعض أفراد الساقية الحمراء يرسلون أبنائهم إلى هذه المدارس، والاستقرار معهم من أجل متابعة دراستهم.

استهدف الاستعمار الاسباني نظاما أساسيا لدى القبيلة تعتمد عليه من أجل استمرارها وقوتها، ويتمثل في ضمان لقمة العيش لأفرادها، فقد وفر المستعمر الاسباني وظائف على قلتها ومحدوديتها، كانت من المحاولات الأولى لتجريد القبيلة من سلطتها على أفرادها، قد حاول المستعمر الإسباني تكوين مجموعة من أفراد في مجالات معينة كالطب والقضاء ووسائل الإعلام، حيث التقيت مجموعة من هذه الفئات وبالأخص المجال الطبي وهم مازالو يشتغلون فيه، الذين تلقوا دروس نظرية و تطبيقية مدتها بين ثلاثة أشهر إلى ستة أشهر، أهلتهم للاشتغال مساعدين في مهنة التمريض.

كانت هذه الأخبار تنتقل عند قبائل الساقية الحمراء، وتجد كل خيمة وفريگ يتحدثون عن أن ابن فلان يدرس عند المستعمرين، الشيء الذي ولد الفضول لدى بعض أفراد القبيلة، ونعرف أهمية الخبر عند القبائل والسرعة التي ينتقل بها من فريگ إلى آخر، رغم صعوبة المناخ والتضاريس، فأهمية الخبر تستوجب أن ينتقل بين القبائل وأن يؤثر على أفرادها، ما جعل في المرحلة الأخبار المتعلقة بالمستعمر تلقى رواجاً عند قبائل المنطقة الإسبانية.

تبقى المرحلة الاستعمارية مرحلة خلق وعي لأهمية الاستقرار بالمدن وترك حياة البداوة، وتغيير النظام الاجتماعي بالساقية الحمراء، عبر تغيير النظم والأنساق الاجتماعية

بالقبيلة، حيث زرع بدور نمط اجتماعي وأسلوب في الحياة يختلف عن الأنماط الاجتماعية التقليدية، وكانت هذه الفترة بداية بناء نمطين اجتماعيين "نصراني وعربي إسلامي" حسب أحد المشاركين.

(ت) قبائل الساقية الحمراء وامتداداتها وظروف استقرارها

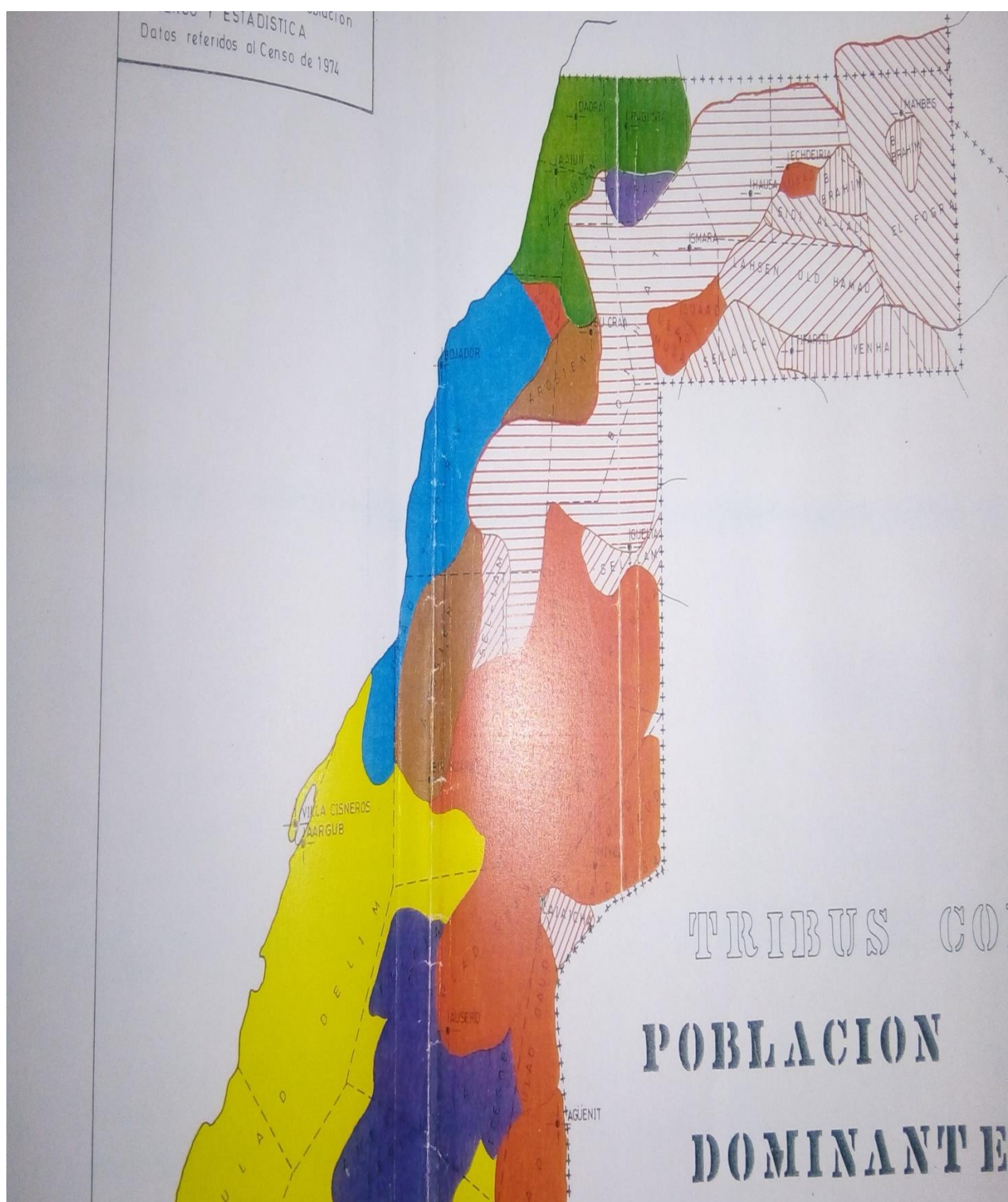
يتفق الباحثين في مجال العلوم الإنسانية أن قبائل الساقية الحمراء، كانت تعيش نمط الترحال بين مناطق الصحراء، وقد عرفت حياة الاستقرار مع الاستعمار الإسباني، حيث استقر العديد من أفراد القبائل لظروف اجتماعية واقتصادية، لكن العديد منهم مازال يمتلك قطيع من الإبل أو الماشية في البادية، وقد أثر الاستعمار الفرنسي والإسباني في ترحال القبائل وقام بالحد منه، وخير دليل على ذلك الخريطة رقم 01 التي تبين تواجد مختلف القبائل في الساقية الحمراء.

تعتبر هذه الخريطة المرجع الأساس لبعض الباحثين لأنها مرتبطة بإحصاء 1974 الذي قامت به السلطات الاستعمارية الإسبانية في تلك الفترة، في ظل ضعف الوثائق التاريخية حول الساقية الحمراء، أصبح ينظر إلى هذا الإحصاء الاستعماري المرجع الوحيد الذي يحدد السكان الأصليين في هذه المنطقة، وأن من لا توجد أسمائهم في ذلك الإحصاء فهم لا ينتمون إلى منطقة الساقية الحمراء، والقبائل المحصية هي القبائل التي تنتمي إلى مجال الساقية الحمراء.

هذا التمييز الذي حمله الإحصاء الاستعماري للقبائل بالمنطقة وبمجال الصحراء عامة أدى إلى "التعصب لإحصاء 1974". وأصبحت بفعل غياب الوثائق بالمجال، الوثائق الموروثة من العهد الاستعماري مؤثرة في الانتماء إلى المجال، حيث يسود في الساقية الحمراء توتر بين القبائل حول "الانتماء للتراب" وهذا يتناقض مع الانتماء التاريخي والثقافي لمجال البيضان.

أثر الاستعمار الإسباني لمنطقة الساقية الحمراء الذي دام أكثر من 90 سنة، على الامتداد الطبيعي للقبائل المنطقة، حيث نجد العديد من القبائل غير موجودة في هذا الإحصاء، رغم امتدادها التاريخي بالمنطقة بفعل نمط العيش البدوي في الصحراء، والقائم على الترحال من مجال إلى آخر، فأغلب القبائل المنتمية لإتحاد تكتة سجلت حضورها في إحصاء 1974 قليل وهناك بعض القبائل منها غير مذكورة، وهنا على المتتبع معرفة الأسباب التي أدت إلى هذا التفكك من حيث المجال ومن حيث الارتباط القبلي.

فالخريطة تبين تواجد القبائل في منطقة الساقية الحمراء، ومن خلالها تم إحصاء العديد من القبائل، وهنا يتبين أن الإحصاء مفهوم عددي لا يستجيب ولا يبين ولا يشير إلى علاقات الاجتماعية والامتداد التاريخي للمجتمعات الإنسانية وعلاقات قرابة، فقد تبين من خلال بعض المشاركين أن هناك علاقات قرابة بين أيتوسى وأولاد تيدرارين، حيث تجمع علاقة العمومة بين القبيلتين حسب مشاركين من أيتوسى وأولاد تيدرارين، رغم أن القبيلتين تبتعدان من حيث المجال، وهذا الترابط القبلي تعززه العلاقة القائمة بين ثقافة البيضان والعمق الانتروبولوجي للإنسان الصحراني بالبحر.



الخريطة 01: CENSO 74, GOBIRNO GENRAL DE SAHARA, Servicio

Censo y Estadística de Registro de Población

خلاصة

تعتبر منطقة الساقية الحمراء واحد من مجالات الصحراء الذي يحمل اسم الواد، وقد حدد المستكشفون الاستعماريون حدود الساقية الحمراء بالأراضي القريبة للواد، وتتطلق من السمارة ، إلى أن يصل إلى مصبه بقم الواد بالمحيط الأطلسي، وأضحى مجال الساقية الحمراء قبلة للقبائل العربية منذ القدم، وتنتشر فيه القبائل البيضانية الناطقة باللسان الحساني.

تربطه المجال المدروس وحدة اللغة، العادات، التقاليد، والتاريخ المشترك مع مجال البيضان، والذي ينسجم في المكان والزمان مع الإرث الثقافي والحضاري للصحراء، لكن الاستعمارين الفرنسي والإسباني حاول خلق وضع مفكك لهذا المجال المعروف بوحدة الثقافية تاريخيا، وأثر هذا التقسيم على العلاقة بين القبيلة والمجال، والذي جعل بعض القبائل تبحث عن إحياء امتدادها في مجال الساقية الحمراء بعد الاستقلال.

الفصل الثاني: الثقافة القبلية وتأثيرها على قبائل الساقية الحمراء.

تمهيد

يتزعزع الفرد ويتشعب بالروح القبلية منذ نعومة أظافره، ويكتسب العناصر المكونة للثقافة القبلية، المبنية أساساً على علاقات القرابة والدم والنسب. ويذوب الفرد في علاقات إجتماعية، تتحكم في مصيره ومستقبله، وتصبح معرقة لمساره الإجتماعي والسياسي والإقتصادي. بفعل تدخل أفراد القبيلة في اختيارات الأفراد ومصيرهم.

يستطيع في المقابل، بعض أفراد القبيلة من التكيف مع روح القبيلة، والتمسك بها في السراء والضراء، وذلك راجع إلى مصلحتهم في إستمرار العصبية القبلية، من خلال إستمرار التركيبة القبلية المبنية على البطون والأفخاذ، وتكوين شخصية الأفراد، انطلاقاً من هوية القبيلة، وتؤدي هذه الشخصية إلى الدفاع عن مصالح بعض أفراد القبيلة، والذي يمكن أن يرتبط بمصالح القبيلة.

تقوم القبيلة في الساقية الحمراء بأدوار عديدة، رغم التقدم الإجتماعي الذي يعرفه المجتمع بالمنطقة، فالقبيلة وحدة إجتماعية أساسها التماسك والتضامن والتآزر، ويصبح الدفاع عن مصالح القبيلة التي تركز على الروابط الأسرية والعشائرية، ويشكل الموقع الجغرافي للقبيلة بمنطقة الساقية الحمراء أساساً لوجودها، ومرتبطة بالأدوار الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية تجاه القبائل الأخرى.

المبحث الأول: العلاقات الإجتماعية بين أفراد القبيلة

1) الإنتماء القبلي والرقى الإجتماعي

تتميز ظاهرة هيمنة القبلية على تاريخ الصحراء الاطلننتية، والتي تقوم على رابطة الأصل والقرابة والدم "وبطبيعة الحال، يمكن جمع هذه الروابط كلها في كلمة واحدة هي « القرابة» وأنه في كثير من الأحيان يؤتى بها قصد تحصين التماسك الاجتماعي بدلاً من

إثبات الأصل المشترك".³¹⁶ أما "القربة بالدم أو المصاهرة"³¹⁷ فتجسد المصلحة بين الأفراد التي تجمع بينهم روابط دموية.

تشكل العلاقة بين الأرض والعرض نقطة تلاقي بين أفراد القبيلة، تجسد التلاحم والتعاون من أجل تدبير الشؤون الداخلية والخارجية للقبيلة. والقائمة على مصلحة القبيلة وامتدادها التاريخي بين قبائل الساقية الحمراء، ففوة جماعة القبيلة له دور في إستمرارية تراكم أمجادها وتكوين "ثقافة القبيلة" وأسسها التي يجب احترامها والدفاع عنها.

"الانتماء القبلي هو ما يعرف بالعصبية القبلية، وهي مشتقة من العصبية أي الجماعة. وهي تترجمه شدة ارتباط المرء بعصبته أو جماعته والجد في نصرتها والتعصب لها أي الميل خصوصا عندما يستدعي الأمر ذلك"³¹⁸، ويشدد التقاخر بالانتماء القبلي في المناسبات وطقوس المناسبات الدينية.

يستمد الإنتماء إلى تحالف الساقية الحمراء، شرعيته من التاريخ الطويل في الصحراء، كتحالف "تكنة هي تحالف سياسي، وليس له علاقة برابطة الدم هو اسطوري، ليس لهم جد مشترك، ولا يشكلون وحدة قرابية"³¹⁹، هذا التحالف تلجأ إليه بعض القبائل في منطقة الساقية الحمراء لتحقيق بعض مصالحها.

تستمد بعض القبائل قوتها من النسب الشريف كالذين ينتسبون إلى آل البيت، وآخرون ينتسبون إلى الأصل الرفيع كعبد الملك بن مروان بن الحكم، أحد الخلفاء بني أمية، وهو

³¹⁶ عبد الله حمودي، الداخلي و الخارجي في التنظير للظاهرة القبلية خطوة في تأسيس خطاب انثروبولوجي مستقل، عمران العدد 5/19، شتاء 2017، ص:17.

³¹⁷ Bonte. Piierre (et al.). **La quête des origines : anthropologie historique de la société tribale arabe**. Paris : Ed. de la Maison des sciences de l'homme. 1991. PP :36.

³¹⁸ تاريخ الإطـلاع: 21/10/2017 بتوقيـت: 12:25 ..
pulpit.alwatanvoice.com20116/09/26/417131.html

³¹⁹ F.DE LA CHAPLLE، **LES TEKNA DU SUD DU MAROCAIN**، Prés : Rahal Boubrik، Faculté de lettre، Centre des etudes sahariennes، 2011، P : XXXII.

"موسى بن نصير الأوسي"³²⁰، من هنا يصبح هيمنة بعض القبائل على تاريخ الصحراء ومجالها، أمراً طبيعياً وليس قابلاً للنقاش، وهذا البعد التاريخي والثقافي يعطيها الحق بمراعاة مصالح هذه القبائل عند تحديد الأولويات في الساقية الحمراء من طرف السلطة المركزية، وأي محاولة لخلخلة التراتبية الاجتماعية السائدة بالمنطقة، يعد مؤشراً لإعلان الفوضى وإقصاء مجموعات قبلية تلعب دوراً في التنظيم الاجتماعي بالصحراء.

تبرير إجماع مؤسسة "الجماعة" بالقبيلة لدراسة التطورات الراهنة، والتي تعتبر المحرك الرئيسي للقبيلة، لكونها تمتلك السلطة الإدارية والتشريعية، الأمر الذي يدفعها إلى اعتبار القبيلة "جمهورية مستقلة"³²¹، وأي اقتراب بمصالحها يعتبر استهدافاً لها ولمكوناتها ولتاريخها، وهنا يستوجب الرد المباشر السريع على هذا الاستهداف، ويتميز النظام الداخلي للقبيلة بالحفاظ على النسق الاجتماعي واستمراريته، والحفاظ على مستويات العلاقات والوشائج العائلية التي تربط بين أفراد القبيلة.

"يظهر مستوى التكامل بين أنساق القبيلة حين ظهور مستجدات معينة"³²²، فيكون التجاوب سريعاً ومنظماً، رغم الصراعات التي تنشب بين أفرادها وتصل درجة القتال والدم، وهذا ما يبين أن "القبيلة تعبر عن مجتمع كامل التنظيم"³²³، الذي يثبت مستوى النسق السياسي بالقبيلة، من خلال قدرة الفاعلين على حل المشاكل المستعصية، ويصرح أحد شيوخ الركييات "التهالات منين إدخالو في مُشكل في الركييات إحلوه، هم أصلاً، التهالات، أصلاً

³²⁰ هيبتن الحريش وحمادي هباد "أسا ديوان الصالحين"، ص:33.

³²¹ محمد مهادن "السوسيولوجيا القروية بالمغرب مقاربات وقضايا" كلية الآداب و العلوم الإنسانية ابن زهر اكادير، مطبعة بدر سوس خدمات، اكادير، الطبعة الأولى 2015. ص:39.

³²² الهادي الهروي، القبيلة، الإقطاع والمخزن مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، أفريقيا الشرق، 2005، ص:57.

³²³ Encyclopedia Universalis. (TRIBU) Morgan systems of consanguinity and affinity of the human Family 1871. Vol. 6 ، P 314

شيوخهم ألي منين كانوا إستعصى (عند قبيلة الركييات) مشكلة مايدخلها واحد ما يحل المشكل".

تشير بعض الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية أن ميكانيزمات القبيلة مازالت مستمرة، رغم الطفرة الحضرية التي تعيشها المنطقة، والتي عرفت التمدن منذ القرن الماضي، وازدادت وتيرته مع الاستقلال عن الاستعمار الاسباني، وذلك من أجل تحقيق التنمية بشكل متكامل ومتوازن، بالإضافة إلى تحقيق التغير الاجتماعي على مستوى بنية القبيلة، كما أن "الفئات المحافظة تسعى إلى نشر روح المقاومة للتغير الجديد بما يلائمها من التغيرات المتعلقة بعاداتها وتقاليدها وبنائها الاجتماعي وثقافتها"³²⁴ [القبيلية]. التي لا تقبل التغير وفي أوقات كثيرة المحافظة عليها يصبح واجبا من طرف أفراد القبيلة. وهذا يؤدي إلى تباطؤ التحولات الاجتماعية، والتي تتسم بالغرابة في بعض الأحيان.

نجد بعض الحالات التي يغلب عليها الطابع الحضري الذي تتسم بالتغير، متجاوزة مع تقاليد وعادات تتسم الجمود والثبات في مختلف جوانب الحياة الحضرية للإنسان بالساقية الحمراء، الشيء الذي أضفى على المشهد الثقافي والرمزي صورة غير متجانسة ومشوهة للثقافة، التي تتأسس على المبادرات الفردية والحرية في اتخاذ القرار، لكن يبقى الفرد في مجتمع يسود فيه نظام القبيلة، مجبر على الاستعانة بالإرث القبلي من أجل تحقيق أهدافه في الحياة الحضرية الصعبة، التي تستوجب على أفراد القبيلة استثمار الموروث القبلي بصورة تنعكس على تطلعات مكوناتها بشكل عام.

لا يتعارض النظام القبلي مع الرقي الاجتماعي لأفراد القبيلة، بل يعتبر من مساهمات الأفراد في بناء أمجاد القبيلة وازدهارها، مهما ستنعكس على قوة وتأثير القبيلة بين القبائل في البناء الاجتماعي، الذي يركز على تموقع الأفراد في مواقع مؤثرة في السلطة، ويعتبر

³²⁴ محمد الشرايمي، المدن الصحراوية النشأة و التطور، مرجع سابق، ص: 163.

الاعتماد على الإرث القبلي من عوامل النجاح والرفق الاجتماعي، والمقصود هنا " أي مدى تدرج العصبية في أهل الدولة من القوة إلى الضعف"³²⁵، فكلما كان أفراد القبيلة متغلغلين في السلطة كلما كان تأثيرها في مؤسسات مجال الساقية الحمراء كبيراً وقوياً.

يستمد الأفراد قوتهم من قوة التماسك داخل القبيلة والحضور القبلي الوازن في مناسبات مختلفة، حيث يتم تسويق قوة الانتماء القبلي لأفراد القبيلة وتشجيعهم على الدخول في مختلف المجالات مع تحديد الأولويات، وهنا يتم الاعتماد على شيوخ القبيلة الذين يتمتعون باحترام العشيرة من أجل حشد الدعم لأفراد القبيلة، المقبلين على تقلد مناصب في السلطة.

كثيرا ما يستغل بعض الأفراد مناسبات خاصة بالقبيلة لتوطيد الشعور الجمعي لأفراد القبيلة لأجل استغلالهم في مشاريعهم الشخصية، وقد يستغلون تاريخ وأمجاد القبيلة في تقوية العصبية القبلية، حيث يعتبرون أن المستهدف ليس أفراد بل القبيلة وشرفها المجيد، وفي هذا السياق، فإن "الصلاحيات المدنية للشيخ فإننا لا نتمكن من تحديدها بدقة، إذ تختلف حسب كل قبيلة وعصر. فهو على ما يبدو شخصية تحظى بكثير من الاحترام والتقدير"³²⁶، في تقليص الخلافات حول المسائل المطروحة.

نلاحظ هيمنة الكبار على الصغار، وهيمنة الرجال على النساء و توجيه اختياراتهم، واستمرار التمثلات السابقة التي تعتقد في أهمية الأعيان، و"أهمية «الدار الكبيرة» وإعطائها مفاتيح التمثيلية لأصحاب «الأيادي الطويلة» التي تعتقد في كثرة «علاقاتها» وقدرتها اللامحدودة"³²⁷، حيث مازالت تهيمن على قرارات القبيلة، وتعتبر نفسها الموكيل الحصري عن القبيلة في الحفاظ على مصالحها، حيث استطاعت التكيف مع واقع التحضر المبني

³²⁵ محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية و الدولة/ معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ص:219.

³²⁶ خوليو كاروبروخا، دراسات صحراوية، مرجع سابق، ص:74.

³²⁷ محمد شرقي، التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية، الطبعة 2009، أفريقيا الشرق، ص:204-205.

على مؤسسات ينبغي احترامها، حتى أنها تستحوذ على التمثيلية لدى السلطات المحلية ولا تقبل أحد من منافستها.

تمتلك فئة معينة مفاتيح تدبير أزمات القبيلة وطريقة استغلالها من أجل الرقي الاجتماعي دون مراعاة مصالح القبيلة، بل تعتبر أن رقيها الاجتماعي ستكون له تأثيرات إيجابية على مستقبل أفراد القبيلة، ويعتبرون المشاكل التي تتخبط بها القبيلة ليسوا مسؤولين عنها، بل الرقي على حساب إنتمائهم القبلي من شروط الحل للمشاكل القبلية، وهذا ما يفسر الاعتزاز بمعارضتهم لأي محاولة للنيل من سمعتهم أمام جماعة القبيلة، والتي يتم التصدي لها عن "طريق البطن، ثم الفخذة، فالفصيلة وأخيراً العشيرة التي تضم أقرب المقربين، أي العائلة".³²⁸

(2) مساندة القبيلة لأفرادها

تعتبر الفصيلة والعائلة من أهم قوة الأفراد داخل القبيلة، وخصوصاً إذا كانت تستأثر بالجانب الكبير من تاريخ القبيلة. ففي المجتمعات القبلية لا يمكن أن تتخلى القبيلة عن أبنائها، ويصبح بمثابة عار عليها أمام القبائل الأخرى لا يمكن محوه مع مرور الزمن، بل يصار إلى القول بين القبائل "النهار لفلان ألي تخلات للقبيلة الفلانية على ولده"، وما بالك بالفصيلة والعائلة رغم معرفتها باستغلالها لتاريخ العائلة والقبيلة لتحقيق مصالحه.

إن تضارب المصالح القبلية والفردية وتناقضها في أغلب الأحيان في المجتمعات القبلية، التي مازالت تعيش البداوة وهي في حياة الحضر، تتلاقى وتتقاطع مؤازرة مع ابن العم رغم سلوكاته المسيئة للقبيلة، وخصوصاً عندما يصل إلى موقع نافذ في السلطة وينسى القبيلة وأفرادها، وهنا يجب رد الجميل للقبيلة ولأفرادها عن طريق استغلال المنصب لتسهيل

³²⁸ Edmond douuté, La Khotba burlesque de la textes publiés en l'honneur du XIV Congrès des Orientalistes, Alger, Fontana, 1905, p : 11.

تحقيق أفراد القبيلة لمصالحهم، وفرض "أيديولوجية القبيلة" على القبائل الأخرى إنطلاقاً من مقولة "ولدنا فم"³²⁹.

رغم أنه في بعض الأحيان لا يحقق مصالح أفراد القبيلة، إنما العكس توجد شكوى منه، كما يعتبرونه دون فائدة حتى أن صورته بين القبائل تصبح معروفة، يبقى جانب المصلحة الطاعية على العلاقة بين تمثيلات الأفراد للقبيلة والرقى الاجتماعي، فمساندة القبيلة لأفرادها يستند على ما هو سيكولوجي أكثر من ما هو واقع.

تعتمد القبيلة داخل مجتمع الساقية الحمراء، في إستمراريتها على ما هو تاريخي، يعكس الجانب الذي وصلت إليه القبيلة، من خلال فعاليتها وقدرتها على تحريك مكانيزماتها في التأثير على أفرادها، وهذا ما يستوجب "ربط فلسفة الفرد + فلسفة المجتمع. والرباط الذي يؤدي إلى الانسجام بين الفردي والجماعي هو الشرارة الروحية"³³⁰، وهذا هو الجانب الذي تعتمد عليه المكون القبلي في الدفاع عن تاريخ القبيلة.

يجعل التمسك بثقافة القبيلة الأفراد يتمسكون بالخصوصية والهوية الثقافية التي تميزهم عن باقي قبائل الساقية الحمراء، "فالتراث قد أصبح بالنسبة للوعي العربي المعاصر عنواناً على حضور الأب في الإبن، حضور السلف في الخلف حضور الماضي في الحاضر، من هنا ينظر إلى التراث لا على أنه بقايا الماضي تمام هذه الثقافة وكنيتها: إنه العقيدة والشرعية، واللغة والأدب، والعقل، والذهنية، والحنين، والتطلعات"³³¹، وهذه أمور تستفيد منها القبيلة رفع بمستوى الوعي بأهمية القبيلة بين الصغار.

³²⁹ ولدنا فم: تعني أن إبن القبيلة في المصلحة الفلانية أو في المنصب الفلان.

³³⁰ حورية بكوش، تبسيط مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي دراسة في مفهوم الثقافة وعناصرها، مجلة: رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا، جامعة أحمد دراية، العدد العاشر ديسمبر 2016 الجزائر. ص: 121.

³³¹ جعفري عز الدين، تجليات التراث الشعبي في الحياة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب في كتاب "المعيار المعرب"، المرجع السابق، ص: 32.

تعمل الجماعة القبلية على بناء التصور العام للقبيلة، وهذا ما يسمى بـ"روح الجماعة لدى شعب من الشعوب التي هي الجو العام والخاصية التي تطبع حياة الناس في ذلك الشعب، هي أسلوب هذا الشعب في ما يتعلق بالأخلاق والذوق الجمالي والمزاج العام، بل هي موقفهم الأساسي تجاه أنفسهم وتجاه العالم كما ينعكس في الحياة"،³³² وهذا يشمل كل الظواهر حياة الإنسان بالساقية الحمراء، من خلال الدعم النفسي والاجتماعي لأفراد القبيلة، في المشاكل التي قد تواجههم.

يتضح من خلال ملاحظتنا وجرد الأحداث التي يمكن صياغتها من سلوك القبيلة، أن ثقافة القبيلة وتأثيرها على السلوك الفردي والجماعي يتقوى وفق الظروف التي تعيشها، فالمسؤولية الاجتماعية للقبيلة تفرض عليها مساندة مكوناتها على السواء، وهذا ما يتبين من خلال عقد لقاءات تضامن بين أفراد القبيلة في حالة وجود مصاعب يواجهونها، حيث اجتمعت قبيلة أيت لحسن لمساندة ابنها في محنته (الوثيقة 02)، وتتسم هذه الخاصية في ثقافة قبائل الساقية الحمراء بالتلقائية والإلزامية بين مكونات القبيلة.

تحولت هذه الممارسة إلى عادة جماعية منبثقة من الضمير الجماعة، وستجد جماعة القبيلة نفسها محرجة أمام القبائل الأخرى إذا ما ساندت أحد عناصرها، وبالأخص إذا تحول المشكل إلى مشكل رأي عام، وهنا لابد لجماعة القبيلة مناقشة التدابير التي ستتخذ فيما بعد (الصورة 01 في الملحق)، والذي تمخض الاجتماع بإصدار بيان تضامني (الوثيقة 02)، والملاحظ أن العلاقة القبلية لا تستوقفها الحدود والمناطق. فالعصبية القبلية والغيرة على جميع مكونات القبيلة، تلزمها بممارسة الوصاية على مكوناتها رغم البعد الجغرافي.

تتسع حدود الحماية القبلية لأبنائها لتصل إلى تدخل القبيلة في قرارات السلطة المركزية، وهكذا تحولت هذه القبائل إلى متابع لسياسات العامة، ودورها في إعادة بناء ثقافة

³³² كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات مقالات مختارة، ترجمة: د. محمد بدوي، مراجعة: الأب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الطبعة الأولى 2009، بيروت، ص: 290.

القبيلة، تتلاءم مع البناء السياسي الجديد. مما جعل هذا المجتمع يتحول "من البساطة والاتساق إلى التخصص والاختلاف"³³³، الذي يؤدي إلى إختلاف السلوك القبلي في التدابير التي تتخذها والخطوات المقبلة عليها، فالركيبات «فخذ لبيها» أكبر افخاد في الركيبات، اختار الاجتماع في السمارة (فبراير 2015) للتتديد بعزل الوالي العضي عن جهة كلميم واد نون، هذا البعد الرمزي للمجال والبعد القبلي البيها، ومنطقة السمارة التي تشكل مكان امتداد مجالي لركيبات وبالأخص فخذ لبيها، وتعتبر نفسها "مستقلة عن الوحدات الأخرى".³³⁴

يتضح من هنا قوة البعد المجالي في التأثير على مؤسسة السلطة، وهذا ماقت به قبيلة توبالت من خلال مساندتها محمد راضي الليلي (الصورة 02 في الملحق)، بعد إعفائه من القناة الأولى، رغم أن القبيلة " أهل علم شرفاء وأهل علم وهم ما هم إهل شر" حسب أحد المشاركين من توبالت، هذا التحول في طبيعة القبيلة من أسبابه إغفال الجانب الديني للقبيلة، فقبائل الساقية الحمراء مثل توبالت وفيلالة أصبحت لا تهتم بتعليم علوم الدين لأفرادها، وهذا ما أثر على تصوراتها وعلاقاتها مع البنى السياسية إما على المستوى المركزي أو على المستوى المحلي.

³³³ روبرتس (تيمونيز) – هاي تي (أي)، من الحداثة إلى العولمة: رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغير الاجتماعي، الجزء الأول. ترجمة: سمير الشيكلي، منشورات عالم المعرفة، الطبعة الأولى، 2004، ص: 61.

³³⁴ مصطفى سليم شاكر، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1981، ص: 860.

بيان تضامني

التأمت فعاليات قبيلة أيت لحسن بكافة مكوناتها اليوم الأحد 11 فبراير 2018 على الساعة الثالثة بعد الزوال بمدينة كلميم للتداول بخصوص نازلة تطاول رئيس المجلس الجماعي لمدينة العيون على ابنهم السيد **حبيب بوغمران** المدير الإقليمي لقطاع الكهرباء بالعيون أثناء حضوره أشغال الدورة العادية للمجلس الجماعي العيون " دورة فبراير ". السيد المهندس **حبيب بوغمران** أحد أبناء وأطر قبيلة أيت لحسن الحاصل على دكتوراه الدولة في مجال الطاقات المتجددة والمشهود له طيلة مساره المهني - بدءا من إنزكان مرورا بالطانطان كلميم والعيون - بالكفاءة والنزاهة والأخلاق العالية والتفاني في خدمة الصالح العام وتطوير أداء المؤسسة التي يمثلها، وفي سياق مداخلته الرامية إلى توضيح المساطر القانونية المعتمدة من طرف المكتب الوطني للماء والكهرباء لمنح الربط المؤقت بالكهرباء، تعرض لإهانة لفظية من طرف رئيس المجلس الجماعي السابق ذكره.

وعليه يعلن شيوخ وأعيان وشباب وكافة أبناء قبيلة أيت لحسن بوادنون للرأي العام الوطني والمحلي ما يلي :

- 1- إدانتهم لهذا السلوك اللامسؤول وغير الأخلاقي الصادر عن من يفترض فيه أنه يمثل الساكنة بكافة أطيافها.
- 2- تضامنهم المطلق واللامشروط مع ابنهم البار تجاه هذه الواقعة المخجلة.
- 3- دعوتهم للهيئات الحقوقية والنقابية والمدنية للوقوف صفا واحدا ضد هذا النمط من السلوكيات غير القانونية البنيية والباندة.
- 4- استعدادهم للدفاع عن حق ابنهم بكل الوسائل القانونية المتاحة، واحتفاظهم بالحق في اتخاذ أشكال الدعم و الموازنة المناسبة والمتاحة حسب ما تفرضه السياقات اللاحقة.

الوثيقة 02: بيان تضامني للقبيلة أيت لحسن مع أحد أفرادها

نجد التشابه بين هذه القبائل أي تقول بأنها الشريفة والمؤكد أنها من قبائل الزوايا مع القبائل المحاربة في الساقية الحمراء، في تصورها للأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث يغلب الجانب المصلحي للجماعة والأفراد وإغفال البعد التاريخي للقبائل، والتي كانت تعرف بإبتعادها عن الأمور السياسية، وذلك راجع إلى تحول ثقل تأثير الحقل الديني إلى الحقل السياسي والإقتصادي في الساقية الحمراء، جعل القبائل تهتم بهذه الجوانب وتوجه أفرادها إلى هذه المجالات، وهذا يبين عن "وعي جمعي وضرب من السلوك"³³⁵.

لا تكتفي المجموعات بالساقية الحمراء بتاريخها والطرق التي كانت تعيش بها، فإذا اعتبرنا الاستقرار من أول التحولات عرفت حياة قبائل المنطقة، فإن الحياة في المدينة الذي حتم على مجموعة من القبائل الإحتكاك فيما بينها، أدى إلى خلق مجموعة من أنماط التفكير والعيش والسلوك، من مظاهره السعي القبائل إلى الإهتمام بالشأن الديني بالمنطقة، بعد أن كان وصل مجال إهتمامها مرتبط بالتجارة والسياسة والعمل في أجهزة الدولة.

حتمت هذا التحول في تاريخ القبائل الظروف التي تعيشها القبيلة، وتجديد الوعي الثقافي بمكانتها، وقوتها في التكيف مع التغيرات الثقافية الاجتماعية والإقتصادية، ونستطيع أن نقف عند بعض القبائل التي مازالت تستند على مورثها الثقافي، وتظهر عصبيتها في حالة تهديد أحد أفرادها، من خلال القيام بمجموعة من المبادرات، التي تهدف إلى توحيد ورص صفوفها من أجل دعمه، وتصل بعض الحالات إلى تصريح أن تهديد أحد أفرادها هو تهديد لها بشكل مباشر.

مازالت الذهنية الرعوية للقبيلة منتشرة بين مكونات قبائل الساقية الحمراء، من خلال التصدي غزو نمط حياة المدينة، وما تشكله من إلتزام وتقبل أفراد القبيلة لتوجهاتها وأوامرها، بإعتبارها مازالت تشكل مصدراً لكثير من القيم والعادات والسلوكات عناصرها. فباء الفرد

³³⁵ أحمد القصير، منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفية والبنوية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة 2012، ص:34.

بالقبيلة وطاعته لها هو تأكيد لقيم القبيلة في الساقية الحمراء، التي تعتبر ولاء الفرد للعائلة ولاء ضمنيا للقبيلة، لأن العائلة هي التي تربي فيه المبادئ الأولى لقيم القبيلة.

تتحدد تطور العلاقات الاجتماعية في منطقة الساقية الحمراء، بطبيعة تحقيق الأفراد لطموحاتهم الاقتصادية والاجتماعية مع مراعاة رضى القبيلة عليهم. ويسعى الفرد في النسق العام للقبيلة من أجل معرفة البنى الثقافية المتكاملة فيها، لتحديد مصادر القوى في القبيلة للاستفادة منها ومساعدته في تحقيق اهدافه.

المبحث الثاني: تأثير الجماعة والشيخوخ على ثقافة القبيلة بالساقية الحمراء

1) الرموز القبلية بالساقية الحمراء

لا ريب أن تجد إلى عهد قريب أن لكل قبيلة قائد بمنطقة الساقية الحمراء، ويكتسب هذه السلطة من قيم وإتجاهات ثقافية تقليدية في المجتمع، تتجلى فيها فيهم نزعة التقليد والمحافظة على الأصالة، و"يمتاز الشيخ بحفظه وغزارة علمه، وموسوعتيه العلمية، وقدرته على العطاء في كل الظروف، والأحوال مهما كثر عدد الطلاب واختلفت مستوياتهم، وتنوعت دروسهم في الحلقة"³³⁶، هذه السلطة الرمزية للشيخ، أكسبته القدرة التي تحكم بين أفراد القبيلة.

نشأ البعد الثقافي والفكري بين الرموز التاريخية للقبيلة، في سياق التواصل التاريخي بين الأجيال، لهذا يمكن القول أن "ثقافة الصحراء كانت دائما ثقافة تواصل"³³⁷، وقد شكل التواصل حالة مستمرة من التكامل الثقافي، يتداخل فيه الجانب العاطفي والجانب السلوكي، وتكاد تجد جميع أفراد القبائل يربطون أمجاد القبيلة برموزها، عبر وسائل مختلفة مما زاد اللحمة بين تاريخ زمر القبيلة وأفرادها.

نشاهد تغييراً على مستوى الأجيال داخل المجتمع، بسبب أن القبيلة يقودها في الوقت الراهن رجال ونساء يعرف بعضهم البعض، وفي أكثر الأمر عاشوا سوياً ويعرفون تاريخ كل واحد منهم، لكن عندما يتعلق الأمر بزملاء لهم تاريخ وفصائل على القبيلة، فإن أفراد القبيلة ملزمون باحترام أولاده وإرثه التاريخي الذي تعترف به القبيلة، كعائلة محمد المختار الكنتي الذي مازات قبيلة تكنة تحفظه له.

³³⁶ د. محمد المختار ولد أباه، الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الثانية 2003، ص: 29.

³³⁷ عباس الجراري، ثقافة الصحراء، مطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987، ص: 35.

النزاعات التي سادت بين القبائل بالساقية الحمراء كثيرة، وقد خلفت العديد من الضحايا، وكان العدد سيزداد لولا حكمة وتبصر زعماء كان لهم أثر كبير في توقف الحروب، ومن هذا المنطلق كانت إسهامات رموز، تتصف بالشهرة الواسعة في القبيلة والقبائل المجاورة، وتتميز هذه الأسماء بالتأثير في قرارات القبيلة أثناء السلم والحرب، فمشورتهم ضرورية في كل شؤونها، لما يمتلكونه من حكمة وبصيرة، وهؤلاء بعض الامثلة عن بعض رموز القبائل بالساقية الحمراء:

- **ازركيين:** حم ولد سعيد، عياش، اهل مولود، سيدي يوسف...
- **ايت لحسن:** المختار ولد الناجم، احمد غرضو، أهل بوعيدة، فراحي ولد الرزمة...
- **ايت موسى واعلي:** القايد صالح ولد بيروك، احبيب ولد الكنتاوي...
- **أيت أوسى:** أهل الرباني (بوزيد ولد الرباني)، محمد ولد الخرشي، القائد شياهو، حمدي ولد بريك، اعليات ولد شياهو...
- **يكوت:** لحبيب ولد الحسين، احمد العيلالي، لعروصي الراحل، الكوري ولد احماو...
- **الركيبات:** سعيد ولد الجماني، الحاج حمر اللحية، داود امحمد، حما ولد الخليل، خطري ولد سعيد ولد الجماني، احمد الخليل الركبيبي الموساوي، علي ولد ميارة، اسماعيل ولد الباردي، محمد سيد أحمد، محمد الخليل ولد البخاري...
- **أولاد الدليم:** ابراهيم اخليل ولد عمار ولد امبارك، حمد ولد بوسيف، عوان ولد ميارة، احمد ولد الخطاط، الغيلاني ولد عمار ولد بكار، سيداحمد ولد الكوري ولد الشكاف، لفقيير ابريكة، البار ولد امبيريك، الخطاط ولد حرمة الله. ومن النساء السالكة منت سليمان، مانة منت حبت...
- **العروسين:** خطاري ولد اعمر، سيد احمد الخطاط، اعلي السالم ولد أحمد الدقاق، محمد عالي ولد هداد...

- أهل الشيخ ماء العينين: الشيخ امريه، الشيخ أحمد الهيبة...
 - فيلالة: الشيخ سيدي بكر (ابا الحاج) الجد الاكبر، سيدي عمي لحبيب...
 - توبالت: احمد ولد اهل ولد لفجح، عند الله ولد لحبيب، الليلي، سيدي حمود ولد الليلي...
 - اولاد تيدرارين: بغمبور، احبيبي، محمد امولود، بابي، احبيبي، حنبن...
 - اهل بارك الله: الشيخ محمد المامي، احمد بزيد، سيدي عبد الله ولد الفاضل، عبيد العزيز، البخاري ولد الفلالي...
 - أولاد بوعيطه: سيدي براهيم مول أكجكال، سيدي العبيد ولد الرحمة...
 - أيت بعمران: القائد أحمد (صبويا)، الشيخ عبد الكريم (أيت خلف)، الشيخ بلعيد البوبكري (أيت النص)، الشيخ محمد بارا (أيت عبد الله)، الحسين بن عبد الله (أيت إعزا)، محمد أفقير، حمو علي مولود بن جامع (أيت الخمس)...
- يشكل تسلط الضوء على زعماء قبائل الساقية الحمراء وغعادة الذكير بمراحل حياتهم وبطولاتهم، وذكر أهم أحداث عصرهم وبيئتهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية. كما يتم عرض تاريخ القبيلة والمحطات التي مرت منها، من أجل إحياء القيم الإجتماعية والثقافية للقبيلة، ووسمها بسميزات ومظاهر إجتماعية إنفردت بها دون غيرها من قبائل الساقية الحمراء، ولهذا يدعو العديد من الشيوخ من الجيل الحالي، التشبث بمبادئ القبيلة وقيمها.
- يلاحظ أن بعض الرموز التاريخية، وسعت نشاطها الذي لم يقف عند الإصلاح بين الناس والبحث في علوم الدين، فقبيلة فيلالة التي عرفت بحسن إستقبال الضيف، كان أغلب شيوخها قضاة يصلحون بين الأفراد والقبائل، والذين كانوا يرفعون إليهم قضاياهم التي يفصلون فيها، كان بعضهم يمارس الكسب مثل "اهل لحبيب عندهم الكسب والكسب هو قوة

القبائل ذاك الزمان" حسب أحد المشاركين، وهذا يبين أن أهل العلم (زوايا) إهتموا بتربية الماشية، مما جعل تأثيرهم على قبيلتهم والقبائل الأخرى.

إن تتمتع رموز القبائل في الساقية الحمراء بتأثير على أفراد القبيلة، ودور سيرته في تجميع أبناء القبيلة حول أمجاده التي تحمل بالنسبة لهم العديد من القيم الثقافية والرمزية، والتي تساهم بشكل مباشر في تضامن القبيلة والتمسك بعاداتها وتقاليدها، وهذا يؤدي إلى خلق وئام إجتماعي وسياسي في القبيلة، والمحافظة على علاقات سليمة الكبار، وتبجيل العلاقات الأسرية العشائرية، والتكافل الإجتماعي داخل القبيلة.

تكتسب بعض العائلات قوتها من سيرة رموزها والتاريخ مع الإجتماعي أو السياسي أو العسكري أو الديني لأفرادها، فعائلة أهل الجماني التي تنتمي للقبيلة الركيبا، فخذ لبيها، لها مكانة خاصة في القبيلة ولا يمكن لأعراس القبيلة، كيفما كان إنتمائها الاختلاف على قدرتها في جمع القبيلة وإصلاحها. وتستمد قدرتها في التأثير على مكونات الركيبات لما تتمتلكه من ثروة مالية وحيوانية (الإبل)، والتي تجعل هذه العائلة تؤثر في قراراتها وإتجاهاتها.

أ) الشيوخ القبائل وأعيانها

يتمتع كل شيخ قبيلة بالساقية الحمراء بصفات عديدة منها: كبر السن، وهذه الصفة تجعل منه محمل احترام وتقدير من القبيلة التي ينتمي إليها وكذلك الأصل في الساقية الحمراء. وتظهر قدرته على ترأس القبيلة بما يمتلكه من حكمة وشجاعة وفطنة وبصيرة، فالشيخ يستند في قراراته على التشاور مع جماعة القبيلة، وقراراته الفردية لا تلزم أحد بأن يقوم بها، ولكن سلطة القرار تأتي من جماعة أهل الحل والعقد.

يمكن ملاحظة من خلال تتبع مكانة الشيخ في منطقة الساقية الحمراء، تمتعه بصفات خلقية كالعقل والتواضع والكاريزما، وتعد هذه خصال ضرورية في مجتمع الساقية الحمراء، وهي علامات التي تعطي لشيخ القبيلة تقدير خاص إزاء أفراد قبيلته والقبائل الأخرى، وتعد صفة الكرم منالصفات الضرورية في الشيخ، وذلك راجع الى أهمية الجور في ثقافة القبيلة،

وينبغي أن تبقى "دار الشيخ" تلازمها صفة "الخيمة الكبيرة"، وهي الدار أو الخيمة لا تقفل في وجه أي أحد، لكونها دائماً مفتوحة للقريب والبعيد والغريب.

تجعل هذه الخصال من الشيخ أكثر نفوذاً وتأثيراً على القبيلة، "وعليه وجبات غير قليلة، فعليه رعاية أمور القبيلة، وتحقيق التكامل بين أفرادها، ويعين الضعفاء، ويواسي المنكوبين، ويفتح في بيته مضيفاً للضيوف والوافدين ومندوبي القبائل الأخرى، وتنظيم أمور الدفاع عن القبيلة"³³⁸، والدليل على ذلك، أن الشيخ ختار ولد الجماني (الصورة 03 في الملحق) "إلى حل ويربط، إلى قال شي ماشي، وما يعدلوا شي إلى خلق شي على اساس قبيلة الركيات، إلى ماحضر لو ما يصلح، خالق المشاكل ألي في غنى ألي اقول لهم ذاك (الحل) ولا يقول لهم أعطوني حد إمتلني، وخالق من المشاكل المستعصية ومعقدة لابد من حضور" حسب أحد المشاركين.

يمكن القول أن الشيخ ختار ولد الجماني الرئيس الفعلي للقبيلة الركيات، يستمد سلطته من نسبه إلى سيد أحمد الركبي المؤسس الأول لقبيلة، بالإضافة أن هذه العائلة حافظت على علاقات متوازنة مع مختلف عروش قبيلة الركيات، وتغلب على علاقاتها مع أفراد القبيلة التقدير والإحترام المستمدة من تقاليد وعادات القبيلة، ونشير إلى أن عائلة الركبي لها سمعة طيبة في الساقية الحمراء، وهي لا تستند إلى القهر والقوة في مواجهة مكونات القبيلة، وإنتمائها إلى أكبر عروش الركيات من حيث الكثافة العددية، وعائلة الجماني تمتلك ثروة كبير تساعدها على التكفل بالعديد من المساكين سواء كانوا من قبيلة الركيات أو من خارجها.

إن توفر الشيخ ختار ولد الجماني على هذه المقومات، جعلت القبيلة تتوحد حوله، رغم عدم تجانس القبيلة، فالركيات منقسمة مجالياً إلى ركيات الشرق، يستقرون من السمارة إلى

³³⁸ عبد الحميد حسين احمد السامرائي، بعض مظاهر التنظيم القبلي في صدر الإسلام، مجلة سر من رأى، المجلد 5، العدد 14 نيسان 2009، جامعة سامراء- العراق- ص: 14.

لحمادة، وركيبات الساحل من الساقية الحمراء إلى واد الذهب. هذه الإمتداد المجالي الكبير في المغرب الصحراوي، لم يفقد الشيخ قوة عصبية ولاء أفراد القبيلة له. ومنها قوة عصبية القبيلة للمجال ولشيوخها التي تستمد من التاريخ والنسب.

يوجد كذلك الشيخ إبراهيم ولد الرشيد (الصورة 04 بالملحق)، الذي ينتمي إلى ركيبات الساحل عرش التهلالات، ويستمد قوته من قوة عائلة أهل الرشيد التي تمتلك ثروة مالية كبيرة، تستخدمها في جمع القبيلة عليها من خلال مجموعة من التدابير، كتمكين أفرادها من أجر شهري قار، وتكسب قوتها من السلط التي تمتلكها، وهذا يؤهلها لحل مجموعة من المشاكل تهم القبيلة، ويتصف الشيخ براهيم ولد الرشيد بحمكته السياسية، وقدرته على حل المشاكل العويصة.

إن المقارنة بين الشيخين تعطي نموذجين هما الغالبين بين قبائل الساقية الحمراء، نموذج يستمد شرعيته من تاريخ العائلة الذي يكون مرتبط بتاريخ القبيلة، وتاريخ أمجادها وقدره عصبيتها على الإلتفاف حول العائلة، لما توفره لأفراد القبيلة من مساعدة وحماية ونجدة في مختلف الظروف، ونموذج يتميز بقدرته على حل النزاعات بين أبناء القبيلة، وبين القبيلة والقبائل الأخرى، وهذا ما لاحظته في نزاع بين أفراد بين قبيلة العروسين وقبيلة الركيبات، حيث إستطاع الشيخ براهيم من إستغلال قدرته السياسية والتفاوضية من أجل حل النزاع بين القبيلتين.

ويلاحظ أن العائلتان تشتركان في إمتلاكهم لثروة مادية كبيرة، وهذا الشرط مهم في إستمرار التأثير على القبيلة والقبائل الأخرى، ورفض النسق الإجتماعي الذي يقتصر على علاقات إجتماعية مغلقة، حيث ترتبط بأصولها وتدعم أصول القبيلة ومن ناحية أخرى يحافظون على ثقافة القبيلة وإمتدادها في الساقية الحمراء. وتتوحد العائلتان في جمع أفرادها وحسب روابط الدم والمصاهرة أو التي تحالفت معها العائلتان. وتعمل العائلتان في علاقة

مباشرة مع القبيلة الأم، على تجميع أفراد القبيلة على أساس الولاء للقبيلة، وهو أحد مظاهر العصبية القبلية.

تتميز أيضا العائلتان بامتلاكهما لثروة حيوانية مهمة، وبالأخص أهل الجماني التي تمتلك لعدد كبير من الإبل. وهي مصدر قيمة عند ساكنة الساقية الحمراء، فوجودها عند أغلب الأسر في المنطقة دليل على رفعت شأن مالكيها، وهذا دليل "إن أصل الثقافة الحسانية مرتبط بالرعي والإنتاج والترحال كأبرز الخصائص المميزة للمجتمع البدوي"³³⁹، ولهذا "صور على الغالب بأنه مجتمع منظم حول علاقات عائلية ونسبية، مع نوع من المساواة في العلاقات الاقتصادية في ما بين المجموعات العائلية، باعتبار إدراج كل ذلك ضمن تنظيم يكون على شكل قبيلة أو كونفدرالية قبلية تضع الإنقسامية مبدأ بنينته اجتماعياً"³⁴⁰.

الدليل على رفعت شأن الإبل لدى أهل الجماني إهتمامهم المتزايد بها، رغم تجارتهم المتنوعة، ويؤكد هذه العلاقة الروحية والوجدانية بين الإبل وأهل الساقية الحمراء، وتتجدر هذه العالقة من خلال مجموعة من الأنشطة التي يكون الجمل محورها، وهي أفضل هدية تقدم في المناسبات، وعربون ويد وتقدير من شخص إلى شخص ومن قبيلة إلى قبيلة، وتسمى "ترزيفت"، وفي الآونة الأخيرة، أصبحت الوسيلة القادرة على إيصال التقدير والاحترام والمودة لطرف الآخر.

إن التزام هاتان العائلتان الكبيرتان في الركيبات والساقية الحمراء، بالعرف والتقاليد والعادات، يبرر سيادة الضبط الاجتماعي داخل العائلة والقبيلة، وسيادة تنظيم اجتماعي بدوي يعتمد على لملة الأول والأخيرة للشيخ، ويستند إلى قوة العائلة التي تخضع لعلاقات

³³⁹ عياد بلا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في علم الاجتماع تحت عنوان: نظام القرابة ونسق الثقافة بالصحراء قبيلة أيتوسي - نموذجاً، تحت إشراف الأستاذ: أحمد شرارك، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السنة الجامعية: 2016/2017.

³⁴⁰ محمد الطوزي، «القبيلة»: واقع متعدد الأبعاد، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 15، المجلد الرابع شتاء 2016، ص: 29.

يلتزم فيها الأفراد للخضوع لكبار السن، وإحترام النسق العام للعائلة والقبيلة، الذي يعتمد على تراتبية إجتماعية تستمد قوتها من التضامن العائلي والقبلي.

يلاحظ من خلال حصرنا الأحداث بمنطقة الساقية الحمراء، التي تستوجب إجتماع القبيلة وأفخاذها، تقتضي حضور شيوخ القبيلة فمبدأ "تكعد الأبل على كبارها" في الثقافة الحسانية، والذي يعني أن الإبل لا يمكنها فعل شئ الا بالأكبر منها الذي يقودها، إي أن الشيوخ لابد من حضورهم من أجل إعطاء الشرعية لكل إجتماع، وحتى تصبح القرارات التي يتمخض منها هذا الإجتماع ذات فعالية وتأثير علي القبيلة، فالمثل الحساني يقول "إشوف الشيباني إلي قاعد ما شاف الشاب ألي واقف" بمعنى قدرة الشيوخ على تقدير الأمور، وإعطاء حلول تراعي الظروف الداخلية والخارجية للقبيلة.

ب) رمزية "الصندوق" في القبيلة

تعتمد القبيلة في دفاعها عن حقوق أفرادها على التضامن والتعاقد والتماسك بين جميع مكوناتها، من خلال مجموعة من المبادرات التي تدفع الظلم عن القبيلة وأفرادها وتضمن التماسك القبلي، ومن بين هذه المبادرات جمع المال حسب المناسبات، يصرح أغلب المشاركين في البحث، على ضرورة مساهمة أفراد القبيلة كل حسب إستطاعته في جمع المال ووضعه في صندوق يسمى "صندوق القبيلة"، لكن هناك تحولات طرأت في تسير هذا الصندوق بفعل مجموعة من العوامل، وهذه التحولات تختلف من قبيلة إلى أخرى، فقد أصبح يجتمع أفراد القبيلة لجمع المال من أجل مساعدة أحد أفرادها وقع مثلاً في مشكل، كالمرض أو شجار مع أحد أفراد قبيلة أخرى، غير أن ثمة تحول طراً يصرح به أغلب المشاركين أجمعوا أن الصندوق يقتصر على "لعراش" و"الخيام" فقط.

يتبين من خلال ملاحظتنا في العلاقة بين الصندوق والقبيلة، أن كلما زاد عدد المساهمين في الصندوق، كلما تقوت العلاقة الفردية داخل القبيلة، وزاد إهتمام الأفراد بالقبيلة وبمشاكلها، ويلاحظ أن قوة القبيلة من قوة أفخاذها وعروشها، فتلاحم العروش حول

الصندوق والتزام المساهمين، بأداء واجباتهم التي تختلف إما شهرياً أو موسمياً، يجعل الأفراد وبالأخص المساهمين تؤثر في إجتماعات عروش القبيلة، وتدخلات الصندوق من حيث المبلغ المصروف لمساعدة كل واحد من أفرادها.

يشكل الصندوق عند القبيلة ومكوناتها نموذج للتضامن بين جميع عناصر القبيلة، وتجدر لمنطق "أبناء العم" الذين تجدهم في السراء والضراء وتقوية الروح الجماعية، وبذلك يصبح الفرد وفي لأفراد قبيلته، كما يحترم القانون الداخلي للقبيلة، وبهذا تعزز العصبية القبلية ويكون الصندوق أحد العوامل الرئيسية لبقائها ورمز شوكتها، فهو من الروابط التي تركز عليها القبيلة في وجودها من خلال المحافظة على العلاقات الإجتماعية والتماسك الداخلية وإستمراريتها.

ث) الجماعة في ثقافة منطقة الساقية الحمراء

❖ الجماعة في زمن الإستقرار

نسجل من خلال المقابلات التي أجريناها وحضورنا في مجموعة من اللقاءات التي تجتمع فيها القبائل، حضور ممثلين من كل الأعراش، ويمكن أن نجد بعض الأعراش يفوق عددها ممثلي الأعراش الأخرى، ولكن على مستوى التمثيلية داخل الجماعة تساوي الأعراش الأخرى، وهنا نذكر قبيلة أيتوسى وعرش أيت وعبان الذي عدده يساوي أو يفوق الثلث من عدد القبيلة في الساقية الحمراء، ولكن على مستوى التمثيلية داخل جماعة أيتوسى يساوي عدد الأعراش الأخرى، وهذا النمط يسري على أغلب قبائل الساقية الحمراء.

وهنا يتبين أن القبيلة في نظامها التمثيلي تحاول جمع جميع الأعراش على قدم المساواة داخل الجماعة، من أجل إصال صوت العرش الأقل عدداً في الجماعة، ويستطيع الممثلين عنها التأثير في الجماعة في حالة تحالف بين العروش الأقل عدد في القبيلة، ويظل إنسحاب أحد ممثلي العروش وارداً، في حالة عدم قبوله للنتائج التي تمخض عنها اجتماع

الجماعة، "فإنني أعتقد أن مجتمعات المنطقة لديها مفاهيم أنتجتها بفعل المرور من تجربة إلى أخرى، وهي جزء من الثقافة، ومفهوم الثقافة الذي مفهوم دينامي وعلمي، لكنه تجريدي أيضاً وأحسن مثال على ذلك هو مفهوم «القرباية» المهم جداً في الحياة القبلية»³⁴¹.

تحاول الجماعة خلق التوازن بين عروشها من خلال الضغط، على الأطراف المعارضة بواسطة القرباية التي تجمع كل القبيلة. ومراعاة مصالح القبيلة العليا التي تلزم جميع الأطراف على تقديم تنازلات، لتتمكن الجماعة من الخروج بقرارات متفق عليها، وتأثيرها لا يقتصر على الجماعة بل يمتد إلى كل أفراد القبيلة، ولهذا وجب على الجماعة القيام بمجموعة من اللقاءات المتتالية، وقد تكون مع عروش معينة، من أجل توحيد الرؤى وتعبئة أفراد القبيلة للمراحل القادمة.

وتجدر الإشارة أن أجماعة أصبحت تجتمع غالباً، في أمور تهم قضايا "الدية" والصلح لقيام قبلية معينة. وقد شاركت في إجتماع دعاني إليه والد الجاني، ودعى أجماعة قبيلته أيت لحسن، وبعد تناول وجبة الغذاء قام وأطلعهم على سبب دعوتهم، حيث ابلغهم أن إبنهم إعتدى على فرد من قبيلة أيتوسى، وبعد نقاش حول الخطوات التي سيقومون بها، إتفقوا في البداية على زيارة عائلة الضحية والإطلاع على حالته الصحية، لكن أجماعة أيت لحسن لم تتمكن من زيارة العائلة لرفض والدة الضحية إستقبالهم، رغم تدخل بعض أفراد قبيلة أيتوسى لضغط على والدة الضحية.

يتبين من خلال هذه الواقعة، أن والد الضحية متوفي، وفي أعراف قبائل الساقية الحمراء، من المفروض علي الوالد الضحية إستقبال جماعة الجاني، والذي يستدعي أفراداً من أبناء عمومته. وتستمع عائلة الجاني إلى طلباتهم والضرر الذي لحق بإبنهم، وبعد ذلك

³⁴¹ عبد الله حمودي، الداخلي و الخارجي في التنظير للظاهرة القبلية خطوة في تأسيس خطاب انثروبولوجي مستقل، مرجع سابق، ص: 38.

تتدخل أجماعة لعرض الدية المقدمة في مثل هذه الحالات من طرف قبائل الساقية الحمراء، وفي الغالب تتم الاستجابة لطلبات الضحية مع إحترام مبدأ لا ضرر ولا ضرار.

لكن في هذه الحالة فإن الأم التي تنتمي إلى قبائل الشمال، لا تعترف بهذه الأعراف ولا بجماعة أيتوسى، كتمثل عنها ومدافع عن مصالحها. وتعتبر القضاء هو الذي سيأخذ حقها، ويحقق مطالبها المشروعة، وهذا ينطبق على مجموعة من أفراد القبائل الأخرى التي لا تعترف بالاتفاقات التي تبرمها القبائل حول أداء الدية.

تبين هذه الواقعة تقلص الدور الاجتماعي والإقتصادي والسياسي لجماعة القبيلة، بفعل الزواج المختلط على مستوى البنى الاجتماعية، وعدم قدرتها على خلق التوازن بين متطلبات الفرد وثقافة القبيلة. وظاهرة معادلة الجانب الفردي والجانب الجماعي والجانب القانوني، جعل بعض الأفراد يخرجون عن جماعة القبيلة، وأصبح يحكمها بعض الأشخاص ليست لهم القدرة على فهم القانون والحق العام حسب رأيهم.

الملاحظ في المنطقة أن جماعة القبيلة مازالت لم تواكب التحولات الاجتماعية والثقافية بالساقية الحمراء، والتي تتطلب من جماعة القبيلة، إحداث تغيرات في مكانيزمات عملها، بإعتبار أنها تعيش داخل الدولة المدنية، الأمر الذي يتطلب منها مواكبة التحولات الاجتماعية والسياسية والقانونية، من أجل معرفة حدود وإمكانيات تدخلها وتطلعات أفرادها.

المبحث الثالث: الثقافة الحسانية والعصبية القبلية

1) المناسبات في الثقافة الحسانية

أ) الزواج

يعتبر الزواج من المناسبات التي توحد قبائل الساقية الحمراء، وذلك راجع لطبيعة العلاقة، التي "ينظمها القانون والعرف، ويحل بموجبها للرجل (الزوج) أن يطيأ المرأة ليستولدها، وينشأ عن هذه الرابطة أسرة، تترتب فيها الحقوق والواجبات تتعلق بالزوجين والأولاد. والغاية من الزواج إستمرار الحياة في الأخلاق"³⁴²، ويكتسب حفل الزواج خصوصية في المنطقة، فهو يعتبر من التقاليد التي تعبر "عن ارتباط الانسان الإجتماعي بترائه المادي-الروحي، ومحاولة بعثه من جديد، عن طريق إعادة إنتاجه ماديا وروحيا بإقامة الاحتفالات المعبرة عن مناسبات معينة"³⁴³.

يحتوي هذا المظهر الثقافي على مجموعة من العادات والتقاليد والقوانين، التي تعزز وحدة المجتمع وتقوي الروابط الإجتماعية، بين أفراد القبيلة الواحدة والقبائل الأخرى بالساقية الحمراء، كما تستوجب ظاهرة الزواج مجموعة من الضوابط والممارسات المستمدة من ثقافة البيضان، التي تكسبها ذلك التميز والفخر بالمنطقة، حيث تتداخل الروح الجماعية والوعي المشترك مع عادات وتقاليد الزواج، والذي يتضمن سمات ذات أبعاد أنثروبولوجية.

"يمكن للباحث أن يستدل على كيفية نشأت وتطور السمات الثقافية، وبالتالي يمكن الوصول في النهاية إلى نظرية تتوفر فيها عناصر الصدق والبرهان لتفسير تغير المجتمعات الإنسانية وتطور النظم الإجتماعية أو السمات الثقافية"³⁴⁴، التي تتطوي على دلالات لها

³⁴² عبد السلام الترماني، الزواج عند العرب، في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة)، مرجع سابق، ص: 15.

³⁴³ عاطف عطية، المجتمع الدين والتقاليد، بحث في أشكالية العالقة بين الثقافة والدين والسياسية، جروس بريس، طرابلس لبنان 1993، ص: 28.

³⁴⁴ حسين فهم، قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، ص: 125.

عمق سوسيوانثروبولوجي، تظهر من خلال مجموعة من الممارسات في الزواج، والتي يمتزج فيها البعد الديني والثقافة الحسانية، وظهور عادات دخيلة في حفل الزواج.

أصبح الزواج من هذا المنطلق ذاك المجال الخصب، الذي يجذب مجموعة من الباحثين في العلوم الإنسانية لمعرفة أنماط القيم والمعتقدات التي تحكم الزواج في الثقافة البيضانية، وشكلت الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية التي تعتمد على تحليل المعطيات، وتعطي الدلالات المعاني الرمزية وطرق تجسدها، ودورها في إعادة إنتاج العلاقات القرابة، منهج يمكن التركيز عليه في تحليل الزواج و الظواهر المرتبطة به في مجتمع الساقية الحمراء.

تكتسب الدلالات الثقافية للزواج أبعاد متعددة في المجتمع، سنحاول تتبعها من خلال الآثار السوسيولوجية في تشكل القبيلة وأنماط السلوك القبلي في ظاهرة الزواج، وتبدأ هذه العلاقة "بعد موافقة العائلتين على الدخول في مصاهرة بينهما. يقوم أهل الخطيب بزيارة أهل الفتاة بطلبون يدها من والدها بشكل رسمي رفقة بعض أفراد القبيلة حاملين معهم ما يسمى "الواجب" أي أن الخاطب "وجبهم"³⁴⁵، ثم تسلم الهدايا لعائلة العروسة، وتتسم هذا الهدايا بطابع إجتماعي يدل على جود وكرم وسخاء العريس وعائلته.

لابد من الإشارة هنا إلى أن العريس يمثل القبيلة ولا يمثل شخصه بمفرده، فعندما تحصل المصاهرة عند قبائل الساقية الحمراء، فهذا دليل على تمدد القبيلة من خلال علاقة المصاهرة، وتأسيس على لرابطة قرابة بين القبيلتين أو العائلتان، "فالمصلحة العامة للقبيلة تقتضي الدخول في مصاهرات تحالفية، أولاً لزيادة القوة العددية (الفردية)، وتنمية القطيع

³⁴⁵ عبد الحكيم بوغدا، ظاهرة "التبراع" في الشعر النسائي الحساني دراسة في النسق السوسيويثقافي والجمالي، منشورات: المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرار. مطبعة انفوجبرانت، فاس، 2017، ص:114.

وخاصة الإبل)، وثانياً لاستمرار لحمة القبيلة وعصبيتها³⁴⁶، و تبين العديد من الأمثلة ثقل علاقة القرابة بين القبائل وعلى سبيل المثال "سول قبل ما تذبح"، بمعنى البحث عن إنتماء الشخص القبلي وإنتمائه العائلي.

تدعو في المقابل، إلى الزواج الداخلي بالمنطقة مجموعة من الأمثال الحسانية مثل: "إلي تعرف أخير من ألي ما تعرف"، "منت عم الراجل سروالو"، "ولد عمي بنعايلو ولا براني بحمايلو"، تسعى القبيلة دائماً إلى تقوية البيت الداخلي من خلال الزواج الداخلي، فهو "يمثل موقفاً واعياً للحفاظ على البنية القرابية خاصة في قطاعاتها الداخلية الأضيقة، كما أنه يلعب دوراً فاعلاً في إعادة النسخ المجتمعية وإحكام النسيج القبلي"³⁴⁷ وهنا يتبين أن القبيلة تبحث دائماً عن إستمرار "العرق النقي" الذي ينتمي من جهة الأعمام والأخوال لقبيلة واحدة، فعلى سبيل المثال إذا كان الإنتماء من جهة الأخوال لقبيلة أخرى، يصبح الولد في ترتيب آخر عند أفراد قبيلته.

ب) المرأة "زريعة التراب"

إن إختار عنوان المرأة "زريعة التراب"، راجع إلى مكانة المرأة ومنزلتها في منطقة الساقية الحمراء، فعندما تخرج المرأة إلى بيت زوجها فإنها تؤسس لعلاقة قرابية متينة. وتسعى إلى بناء علاقة إجتماعية مبنية على المحب والود، ولهذا فالمرأة بالمنطقة تعتبر سفيرة لأهلها ولقبيلتها. فكلما كانت سمعتها داخل بيتها وفي محيطها جيدة، إزدادت شدة العلاقات الإجتماعية بين العائلتين والقبيلتين. وتكتسب المرأة مكانتها من معالمتها الخاصة لوالدي الزوج، وهذا يجعل الوالدين راضين عنها.

³⁴⁶ أناس بن الشيخ، طقس الزواج ومكانة المرأة في المجتمع البيضاوي، مجلة: انتروبولوجيا، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الإجتماعية والإنسانية، العدد الثالث مارس 2016 الجزائر، ص: 93.

³⁴⁷ يحيى بن البراء، الفقه والمجتمع والسلطة أو النظر الإجتماعي السياسي للفقه الموريتاني من شمول أهل القبلة إلى أسرة أبناء القبيلة، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، الطبعة الأولى 1993، نواكشوط، ص: 118.

يعتبر رضى والدي الزوج مقياساً لعلو شأن المرأة داخل العائلة، وهذا يؤثر على العلاقة الإجتماعية التي تجمع العائلتين، والتي تصبح علاقة متينة تجمع بينهما، والدعم المتبادل بين الأخول والأعمام، والتكامل الأسري الذي يتطلب التوافق على حب والدي الأبْن لزوجته، ويسهم هذا الأمر تعميق العلاقات الأسرية، وتصبح هذه العلاقات ذات قيمة، كما تحقق التضامن الإجتماعي بين العائلتين.

تظهر قوة المرأة من خلال تأثيرها على تسير شؤون العائلة الداخلية والخارجية، فهي المسؤولة عن تسير الشؤون الداخلية للبيت، من خلال تربية الأبناء على ثقافة المجتمع، مما يؤدي إلى التماسك والإنسجام داخل قبيلته ومحيطه الخارجي، ويعتبر هذا الدور دليل على نجاح الزوجة في تشكيل أسرة ناجحة، تكسب الزوجة إحترام أمام عائلة الزوج وقبيلته، وتصبح لها مسؤوليات تتجاوز البيت إلى الشؤون الخارجية للعائلة.

ت) قيمة الكرم في الثقافة الحسانية

يعتبر الكرم من الخصال الحميدة لدى مجتمع الساقية الحمراء، وهو من العادات المنبثقة عن الثقافة الصحراوية التي تعتمد على الترحال والإستقرار، ومن العوائد بالمنطقة أن إكرام الضيف يبدأ بتحضير اللوازم الشاي المتمثل في "الطبلّة" في اللسان الحسانية، ويستمر الترحيب بالضيف حتى يتم ذبح رأس من الغنم على شرفه، وذلك حتي يخرج الضيف مسروراً "قلان ذبح راس من لغنم وين جيت" ويقوم بتردها أينما رحل وإرتحل.

يرتبط كرم الضيافة في الثقافة المنطقة بمجموعة من الخصال، كالبشاشة والترحيب وحسن الخلق والقدرة على السخاء من أجل إكرام الضيف. وهذا يجعل الكرم في الساقية الحمراء نمط سلوك يجب على أفراد القبيلة تحسينه، في المقابل فإن البخل من القيم المدمومة والمحتقرة في الثقافة الحسانية، والتي تؤكد بصاجبها إلى تجنب أفراد القبيلة معاشرته، وتوصيفه بأقبح الأوصاف في جماعته.

تتجلى قيمة الكرم من خلال القيمة التي يمتلكها في السلوك الإجتماعي للمنطقة، ودوره في الرقي الإجتماعي للأفراد والقبائل، فهذه الصفة توارثتها أجيال بعد أجيال، وتلخص مجموعة من القيم الإجتماعية التي يتصف بها القرد والقبيلة، فلا يمكن للفرد في الساقية الحمراء الحصول على مكانة مرموقة في المجتمع دون خصلة الكرم، فهي من مكونات المروءة، ومصدر اعتزاز له ولعائلته، ويحتل الكرم مكانة خاصة في النسق القبلي للمنطقة. نجد أغلب القبائل بها عائلات معروفة بكرمها، ويظهر ذلك من خلال تنظيمها لمناسبات كثيرة. إما على شرف قبيلتها أو على شرف ضيوفها، ويلاحظ العديد من الضيوف من القبيلة وخارجها، وهذا يدل على مستوى تأثيرها ونفوذها، بالإضافة إلى تنوع الوجبات الغذائية في هذه المناسبات، حيث تأتي هذه الوفود بهدايا هي في الغالب عبارة عن نوق تسمى الحسانية "ترزيفت"، ويصل مستوى كرم هذه العائلات، أن تجد الضيوف في المنزل كل يوم، وحتى الإجتماعات التي تقوم بها القبيلة في الغالب تكون بمنزل هذه العائلات.

1) الحسانية ودورها في الثقافة القبلية

أ) اللهجة الحسانية:

يتميز اللسان الحسانية بقدرته على تصور تمثلات أهل الساقية الحمراء، من حيث العلاقات الإجتماعية والقضايا الثقافية، وإلى إحدى مكونات الثقافة الحسانية، والتي تشكل الهوية اللغوية لمجال البيضان والساقية الحمراء. وأصبحت مادة دسمة للبحث الأكاديمي، بفعل دسترتها (دستور 2011)، وهذا الإعتراف بمكانة الحسانية، وقربها إلى اللغة العربية، وإعتبارها جزء من الثقافة الحسانية التي يجب المحافظة عليها.

هذا البعد الدستوري لهذا المكون الثقافي دليل على أبعاده الانتروبولوجية والسوسيولوجية في العصبية القبلية، فالإنسان بالساقية الحمراء في المقام الأول يحدد جهة إنتمائه المجالي عن طريق اللسان الحساني، فإذا كنت لا تعرف الحسانية، فإنه يحاول تبسيط مفرداتها

لتسهيل التواصل، وفي حالة معرفتك بها، فإن أول سؤال يتبادر إليه "أي الناس أنت". وهذا يعني أي القبائل أنت تنتمي، وهذا دليل على أن الحسانية هي أول مكون للإنتماء للثقافة الحسانية، ولمجال الساقية الحمراء كجزء لا يتجزأ من مجال الصحراء.

تتميز الحسانية بقدرتها على توحيد المكونات القبلية بالساقية الحمراء، بفعل ما تمارسه من تأثير وجداني واجتماعي وثقافي على المجتمع، فكلما كان المرسل "مستعرب" أي يتقن الحسانية، زاد تأثيره زاد تأثيره على الأفراد، وهي نقطة قوة لإختراق القبيلة وتأثير في نقاشاتها، وهو عنصر تقارب بين الأفراد التي تنتمي إلى المنطقة، وتمثل الجانب المشع في الثقافة الحسانية، الذي تتفق جميع المكونات القبلية عليه، وتجند من أجل الدفاع والمحافظة عليه.

إن الإنتماء إلى المجال والقبيلة بالساقية الحمراء، لا يكتمل دون إتقان الحسانية، فالفرد الذي لا يحسن الحسانية تنقص درجته داخل قبيلته والقبائل الأخرى، الحسانية عند القبيلة مكون أساسي للهوية الثقافية للأفراد، فرغم إنتقال الفرد إلى أماكن داخل المغرب وخارجه، فالمحافظة على التكلم الحسانية ضروري للأفراد، وفي حالة ظهور بعض الألفاظ الخارجة عن الحسانية، فإن العائلة تحاول تصحيح هذه المفردات عن طريق "تشكار لكلام"، أي الضحك على كلامه وإنتقاد هذا الإبتعاد عن الحسانية.

ب) المثل الحساني

تعتبر الأمثال الحسانية مرآة الثقافة الشفوية بمجتمع الساقية الحمراء، فهي ترسم مستوى العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، وتمثلاتهم لبعض الظواهر الاجتماعية، وهي مظهر من مظاهر الوعي الجمعي بأهمية ومكانة بعض السلوكيات بالمجتمع، وهي تتضمن القواعد التي يجب القيام بها في حالة مصادفة هذه الظواهر الاجتماعية، ولا تقتصر الأمثال الحسانية على ضبط السلوك الفردي، بل تصور سلوكات الناس من خلال عقلياتهم وأخلاقهم وأفعالهم.

تتميز الأمثال الحسانية بحضورها في التواصل اليومي بين أفراد المجتمع، وهي تسهل الفهم وتعابيرها "تمتاز بإيجاز لفظها وجميل عباراتها، وكثير من الأمثال يتسم بروعة التشبيه ودقة التعبير. فأمثال كل أمة تمثل عقليتها، والأمثال التي بين أيدينا تصور النضج الفكري عند البيضان"³⁴⁸، والذي تستفيد منه الأجيال الحالية، فهذه الأمثال مازالت تحتوي على القدرة على إقناع المتلقي، بفعل تكرارها في المجتمع بمختلف المظاهر، رغم التطور الاجتماعي والسياسي والإقتصادي.

وسنحاول سرد مجموعة من الأمثال التي تحت على القيم الأخلاقية، قيم القبيلة، وقيم الثقافة الصحراوية:

- **القلة ذلة: الحرص على الأهمية العددية للقبيلة.**
- **كل أيد تمسح عن أجها: الاعتماد على النفس وعدم النظر إلى ما عند الآخر.**
- **موكل بيد ماه أيد: تعني أن الإنسان الذي يتحدث كثيراً، وألامر ليس بيده.**
- **خيل ما ترد خيل ما هي أحرار: يجب الرد على المعتدي كيفما كان الحال.**
- **الخوف الا من مولانا: الخوف فقط من الله، وعدم الإكتراث بالبشر.**
- **كلها يقطع سومة راسو: كل إنسان هو المسؤول عن نفسه والصفات التي يعطها الناس له.**
- **الشي افلعظم الرجالة ما ينشفق اعليهم: يضرب على الذي يعتمد على الرجال لا يخاف من شيء.**

³⁴⁸ Boulliha el adiba الأمثال الحسانية في مجتمع البيضان بتاريخ 2019/01/02 على الساعة 46/20
Toratagadir.blogspot.com./2012/05/blog-post_297.html ?m=1

- **الرجالة في غمادها: قوة الرجال لا يمكن قهرها.**
- **يدير صديقنا في طريقنا ويدير راينا في ابركنا: احسن ما يصادف**
الإنسان في الحياة صديق أمين، رجل حكيم وبصير يمتلك الرؤية.
- **يمشي لحمار مع لحوار يعلمو الشهيگ ولا النهيگ: يضرب لرفيق**
السوء، ومرافقته التي تعلم السلوكات الرديلة.
- **إلي أنسى أصلو شاف أجلو: الإنسان الذي ينسى ثقافته وهويته**
وانتمائه، سيجد نفسه في النهاية كالميت.
- **خوك خوك لا يغرك صاحبك: لابد من التمسك بالعلاقة مع**
الأخ(العائلة) مهما حصل، وعدم الإنجرار في علاقة الصديق الذي هو في
الأخير غريب.
- **الخال كالوالد والرب شاهد: قيمة الأخوال في المجتمع الصحراء يساوي**
قيمة الأب.
- **لخلا ولا عمارة سو: العيش في مكان لا أحد ولا شيء فيه، افضل من**
العيش مع إنسان لا أخلاق له.
- **حظروني نكسم الكم: الانسان الذي يتدخل في ما لا يعنيه.**
- **أنا مير وأنت مير وشكون للي يسوگ لحمير: يتبين أن القبيلة أو**
جماعة لابد لها من قائد، وفي حالة عدم التوافق على قائد يصبحون كالحمير.
- **ايلا شفت الناس عور أكصر افعينيك: بضرب لضرورة التحلي**
بالمجاملة والدبلوماسية واخلاق المداعب.
- **العين ما تعلى على الحاجب: إحترام مكانة الأشخاص، وعدم التهكم**
في شيوخ وكبار القبيلة.

- الطير الا من فرغو: يعطى هذا المثل لدلالة على أصل الشخص، فلا يمكن لأي شخص أن يستبدل عشيرته.

ث) الشعر الحساني والثقافة القبلية

يعتمد المجتمع بالساقية الحمراء على الشعر الحساني، للتعبير عن ثقافة الإنسان من خلال تسجيل الوقائع التاريخية التي تتحدث عن حوادث وقعت في زمن معين، وأصبح الشعر الحساني الوسيلة الوحيدة للتواصل، الذي يتم من خلاله نقل أفكار وأراء الناس، ويمكن أن تجد أبيات شعرية قيلت في مناسبة في بلاد الشنقيط متداولة في الساقية الحمراء.

يستند الشعر الحساني إلى الحسانية الغنية بمقاماتها، التي تتسع لشاعر من أجل ترتيب أبيات شعرية في قوالب مرتبة ومحكمة، وشكل مجال البيضان الذي يتضمن مجموعة من التقاليد والعادات والقيم تختلف من منطقة إلى أخرى، ولا يكتفي بتدوين نمط العيش بالساقية الحمراء، بل يعكس مواقف وتوجهات الإنسان بالمنطقة، ونظرته إلى أمور القبيلة والمجال بشكل عام.

شكل الشعر الحساني نافذة يطل منها الإنسان للتعبير عن إحساسه إزاء العديد من المواضيع، كالأرض والحب والقبيلة والإسلام ونمط العيش، ليكون منبعاً فكرياً وفنياً راقياً يهدف إلى تغيير الواقع للأفضل، فلا تكاد مناسبة في الساقية الحمراء حضرته إلا كان الشعار (الشعراء) متواجدين بها (الصورة 05 في الملحق)، ويلاحظ إهتمام جميع الحضرين بما يقول الشعراء، وفي كل بيت شعري يتم التصفيق والضحك وتبادل الإعجاب بالأبيات.

ما يثير الانتباه هو ما يعطيه المضيف لضييفه من إحترام وتقدير، من خلال الترحيب بالضيوف من العادات والشيم التي إعتاد أهل الساقية الحمراء قديماً وحديثاً القيام بها، حيث يرحيب بالضيوف بالكلام والقول الحسن، وهذه بعض الأبيات الترحيبية المعروفة في الساقية الحمراء:

يا مرحبا ترحيبة الصبح للشمس،

حزّة عناق مع طلعة النور،

في لحظة كل المعاني غدّة همس،

إن أكثر المواضيع تميزاً في الشعر الحساني، موضوع الفخر، لما فيه من إضهار لمواصفات القبيلة والإنسان كالشجاعة والكرم وحسن الخلق، وهذا ما أستتجنه من تدخلات كل الشعراء في الحفل الذي أقامته قبيلة تجكانت في العيون على شرف ضيوفها من شتى قبائل الساقية الحمراء. وهنا حصلنا على قصيدة للشاعر محمد بوسحاب جغاف عن القبيلة وأمجادها:

تجكانت مجد أملي	***	شان العلم على كل أصناف
والاكاع العلم أملي	***	جكاني ما فيها خلاف
تجكانت حلة لامجاد	***	والتاريخ اللي ماه أرداد
فعل و قول وذاك المراد	***	ما تعطي عن مجد أبلكتاف
مانلا واللي كايل جاد	***	ولمسموع واللي زاد نشاف

تبين الأبيات الدور العلمي لقبيلة تجكانت، وتأثيرها في مجال الصحراء والثقافة البيضانية بشكل خاص، فالقبيلة من القبائل الممتدة في الصحراء، حيث حاول الشاعر إثارة تاريخ تجكانت، من خلال مواصفاتها المعروفة عند قبائل الساقية الحمراء، كالكرم والعلم والدفاع عن مكارم الأخلاق والشرف والمروءة. وهذا الإهتمام بمواصفات القبيلة أمام الحاضرين، يوضح إهتمام قبائل المنطقة بشيم القبيلة، وتاريخها المجيد في الصحراء بشكل عام.

يتميز الشعر الحساني بمخاطبته الضمير الجمعي للقبيلة، وإثارة الروح لمسار القبيلة وتاريخ شخصياتها حيث تقول الفنانة ميمها على القائد صالح ولد بيروك:

رد الشعار الجات لك *** بلغ ما بلاق

وان يا صالح حيث لك *** انوگف داساق

ويتضح من خلال هذه الأبيات شخصية صالح بيروك في الصحراء، وإرتباط مساره الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بقبيلة أولاد موسى وعلي، ولا يمكن الفصل بين تأجيج النعرات القبلية بدون حضور الشعر الحساني، الذي يرتبط بوصف القبيلة وفق قالب فني متميز، والمتأمل في الشعر الحساني الحديث يلاحظ أنه يحاول النهوض بثقافة القبيلة وقيمها الكثيرة. إن الشعر الحساني يبرز نبض المجتمع ونبض الثقافة الحسانية بمنطقة الساقية الحمراء، وهذا يؤكد إرتباط الإزدهار الثقافي بالمنطقة مع تطور هذا اللون الأدبي، فلولا المناسبات والحفلات التي يجتمع فيها أفراد القبيلة، والزيارات المختلفة طيلة السنة بين القبائل لاختفى هذا اللون الفني.

تعتبر الساقية الحمراء محجا لمجموعة من الشعراء من مختلف مناطق الصحراء، وذلك راجع إلى تواجد عدد كبير من القبائل التي تعتبر الشعر الحساني من تراثها الشفوي. وقد لاحظت من خلال مجموعة من الحفلات مكانة الشاعر عند القبيلة، والحفاوة التي يستقبل بها من طرف شيوخ القبائل بالمنطقة، فالشاعر له دور مهم في تلميع صورة القبيلة أمام القبائل، وفي التراث الشعبي للصحراء، فالشاعر هو ضيف كبير يجب إكرامه والسهر على راحته، وفي حالة عدم معاملته معاملة حسنة، فيمكن أن يهجم بقصيدة يدمم فيها مضيفه أو القبيلة التي استضافته، وتكون وصمة عار على القبيلة في المنطقة والصحراء.

خلاصة:

يغلب على الثقافة الحسانية الطابع القبلي، بتجليات سوسيولوجية وأنثروبولوجية عديدة. تستمد قوتها من التنشئة الاجتماعية واللغة، حيث تعتبر الحسانية وسيلة للتواصل بالمنطقة، ولا يمكن لأي إنسان يعيش في منطقة الساقية الحمراء إلا الكلام بها أو محاولة تعلمها، ونجد مجموعة من السكان القادمين من الشمال أصبحوا يتقنونها.

أما أهل المنطقة والمنتمين لقبائلها، فالحسانية رمز الانتماء إلى المجال، ومن العيب عند العائلات التواصل مع أبنائها بلهجة أخرى، وتسهم المرأة بشكل كبير في تعليم بالمنطقة، وتصبح الحسانية نمط عيش وتواصل وتقارب بين الأفراد، مهما بلغ مستواهم وعمرهم، فكلما تكلمت بشكل فصيح بالحسانية كلما زادت علاقاتك الاجتماعية بالساقية الحمراء.

الفصل الثالث: البعد الديني وتأثيره على ثقافة القبيلة بالساقية

تمهيد:

يحتل الدين الإسلامي مكانة متميزة بالساقية الحمراء، فهو يشكل صمام أمان لجميع القبائل، من حيث قدرته على التأثير على المجتمع، فهو مصدر أساسي لنسق القيم والسلوك لدى أفراد القبيلة. كم يشكل هذا العنصر الوحيد الذي تتفق حوله القبائل، ويستطيع الدين إصلاح ما أفسده طيش بعض زعماء القبائل في تسيير الأمور، مما يجعله عنصر هام في الصراعات القبلية، من خلال إثارة قيم التسامح والرحمة والتعاون بين القبائل.

تقتضي دراسة البعد الديني وعلاقته بالقبيلة، منا معرفة الجوانب المحيطة بهذا الحقل والفاعلين فيه، حيث أن الساقية الحمراء لا يمكننا إخراجها عن التفاعلات والتطورات التي حصلت بهذا الحقل، من هنا يجب التفكير في الدوافع الموضوعية والذاتية التي تتحكم في نمط التفكير الديني بالمنطقة، دون إغفال الخصوصية الدينية بالساقية الحمراء كمجال إستراتيجي بالصحراء.

المبحث الأول: تجدر الزاوية في ثقافة القبيلة

1) الزوايا وشيوخها بالساقية الحمراء

تختلف الزاوية بالصحراء عن الزاوية بالشمال بإعتبارها مكان الكرم، لما تقدمه من خدمات ووظائف للناس، "فهي عبارة عن مكان معد للعبادة، وإيواء المحتاجين وإطعامهم"³⁴⁹، وأعظم زاوية في فاس أسسها المرابطين، وإلى أصبحت الزوايا محطة إهتمام الباحثين، بإعتبارها "مؤسسة تواصل بيم الأفراد والجماعات، فهي المتنفس الثقافي والأمني والديني للأفراد والجماعات صعودا، وهي تعريف الساسة المخزنية نزولا. وتلعب الزاوية هذا الدور نظرا لطبيعتها المزدوجة، ثقافة عالمة فقهية سنية مرنة وثقافة شعبية رمزية طقسية صوفية عجائبية تؤثر في العقل المستعد للانقياد وفي الوجدان"³⁵⁰.

احتلت الزاوية مكانة بين مختلف مكونات مجتمع الساقية الحمراء، فمنذ إحداث أول زاوية بالساقية الحمراء من طرف الشيخ ماء العنين، أصبحت هذه المؤسسة الدينية موقعا مهما بالمنطقة بفعل الأدوار التي كانت تقوم بها، بإعتبارها "محطة للعابر والمقيم، فالأول يتخذها مسكنا مؤقتا أو مبيتا ثم يتابع مسيرته، والثاني لطلب العلم والذكر"³⁵¹ وهي مدرسة لتعليم حفظ القرآن وأصول الدين.

ينعكس الجانب الثقافي والإقتصادي والإجتماعي والمجالي على الزاوية بالمنطقة، فسوء الأوضاع المناخية وقساوتها يؤثر في الزاوية والأدوار التي تقوم بها، ففي منطقة يسود بها

³⁴⁹ محمد حجي، الزاوية الولائية ودورها العلمي والديني والسياسي، مطبعة: النجاح الجديدة، الطبعة الثانية 1988، ص: 81.

³⁵⁰ بن محمد قسطنطي، في النقد السوسيولوجي: التجريب الميداني وصياغة المفاهيم، مجلة: فكر ونقد، ملف اللغة العربية، العدد 24، سنة 1999، ص: 46.

³⁵¹ محمد بن عبد السلام بن عبد الله، المزايا فيما أحدث من البدع بأمر الزوايا -الزاوية الناصرية-، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2003، ص: 31.

حياة البدو، ونمط عيش مخالف تماماً لعيش الحضر، كان لابد لهذه التجربة في الصحراء القاحلة من صعوبات وعراقيل، تسببت في ظهور هذه المؤسسة الدينية بالصحراء إلا في القرن التاسع عشر.

إن تجربة الزاوية بالساقية الحمراء، إعتمدت على رجال تجنبوا الخوض في صراعات قبلية، فوجد الذين أسسوا الزوايا يتصفون بأخلاق عالية ورمزية دينية وروحية ووجدانية ونفسية واجتماعية لد القبائل بالمنطقة، وحتى الخطاب الذي يستعملونه إستأثر بمكانة لدى كل فئات القبيلة، وهذا ماتبين لنا من خلال إحترام سيرة هؤلاء الأولياء، ودورهم في جمع شمل القبائل وتحكيم لغة العقل عن لغة الحرب والصراع.

تمكن شيوخ الزوايا من الحصول على سمعة طيبة بين أبناء المنطقة، عن طريق القيام بمجموعة من الأفعال التي ترفع من شأن الأفراد في مجتمع الساقية الحمراء، فأغلب الشيوخ ينتقلون من مكان إلى آخر، ومن فريگ إلى آخر. وهذه الميزة الاجتماعية تحضى بتأثير خاص على نفوس شيوخ وأفراد القبيلة، حيث تكتمل هذه الزيارات بدعوة من الشيخ لأفراد القبيلة، وبالدعوة إلى الأمن والصلح والخير العميم.

لا تهدف الزيارات التي يقوم بها الشيوخ لقبيلتهم والقبائل الأخرى فقط الدعاء، بل إلى التأثير في نفوس القبيلة من خلال مجموعة من الممارسات السلوكية التي تتبع من الجانب الديني. والتي لا يمكنها مقارنتها مع الأفراد ولو علا شأنهم في القبيلة، فهو يتحلى بصفات تجذب الناس إليه وتجعله قدوة لهم، فهو حامل ل"القيم الإجتماعية هي الشيء المعنوي الإنساني الذي تضعه الجماعات موضع الاعتبار ويلقي موافقة العامة وتكون هذه القيمة ايجابية وقد تكون سلبية"³⁵².

³⁵² عبد الحميد محمود سعد، دراسات في علم الإجتماع الثقافي، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة 1988، ص: 103.

إن مظاهر واتجاهات الأفراد وسلوكياتهم اللفظية والفعلية، هي من إنتاج حياة الرجل، ومن خلال تحدد العادات والتقاليد ونمط السلوك الفرد داخل القبيلة، وهذه القيم البدوية يحاول كل أفراد القبيلة اكتسابها بها، لكن مدى اكتساب هذه السلوكيات الإجتماعية يختلف من شخص إلى آخر، وهي تتعلق بقدرة الشخص على الالتزام بها.

توجد كذلك قيم مثالية في مجتمع الساقية الحمراء والتي "يتطلع الناس إلى تمثلها في سلوكهم ولكنهم يشعرون بصعوبة تحقيقها بشكل دائم وبصورة كاملة"³⁵³، وهذا ما يحاول شيوخ هذه الزوايا تمثله في سلوكهم اليومي، فقد حكى لنا الشيخ محمد ابراهيم محمد الأمين القيم على زواية ماء العينين وأحد أبنائه قصة لأحدى زيارته لأحد قادة قبيلة أيتوسى شياهو، وقد أقام عنده الليلة كلها وفي الصباح، أهدها قطيع من الغنم وفرس بسرجه، لكن الشيخ ماء العينين قام بتوزيع الهدية على عائلة القايد.

وهنا لا يمكن حصر سلوك الشيخ في أخذ الهدية، بل في أن الشيخ ماء العينين يعيد الهدية التي أصبحت في ملكيته، ولكن بطريقته، وهذا السلوك يطغى عليه مجموعة من التمثلات والعبارات التي تشكل نمط سلوك الشيخ في الساقية الحمراء، وتحدد علاقة الشيخ بالقبيلة وزعماء القبائل، التي تتطلب من الشيخ إبراز قيمها المثلى التي تستمد من الدين الإسلامي الذي لا يرد الهدية ويدعو إلى إكرام الضيف، ولكن الشيخ يبقى دائما هو ملهم هذه القيم ومنبعها وذلك راجع بالأساس إلى طابع الديني الذي يميزها.

إن الوظيفة الأساس التي يقوم بها الشيوخ في الساقية الحمراء، هي إبراز الدور الديني في حفاظ الأفراد على قيم البداوة. فعند محاولة فهم السلوك اليومي لشيوخ الزوايا، نستنتج أن

³⁵³ ماجد زكي الجلاّد، تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة، الأردن، الطبعة الأولى 2005، ص: 50.

الدور الوحيد للشيخ هو إشعاع الدور الديني في الثقافة الحسانية، حيث يعتبر الشيخ الهدية الوحيدة التي يقدمها إلى جماعة القبيلة هي القرآن والسيرة النبوية، وهذه الهدية لا تقدر بثمن.

يتبين هنا القيمة المعنوية للدين الإسلامي على نفوس قبائل الساقية الحمراء، فمهما بلغ كرم زعماء القبيلة وجودهم على أفراد قبيلته والقبائل الأخرى، لا يمكنهم وصول كرم شيوخ الزوايا الذي لا يقدر بثمن، وطبيعة السلوك تختلف عن سلوك البدو، ويتميز بالتوافق والتجانس مع الثقافة الحسانية، التي تعتبر قيم الأخلاق من متطلبات استمرارها وتماسكها، وقد تجسدت في شيوخ الزوايا بالمنطقة.

لا يستمد الشيوخ قوتهم من الدين فقط، بل من إنتمائهم السلالي والقبلي والمجالي، كذلك فكل شيوخ الزوايا ينتمون إلى ثقافة البيضان، وهذا ما يجعل آثار سلوكهم ظاهرة على المجتمع، فالشيوخ أمثال سيد أحمد الركيبي وسيد أحمد لعروسي والشيخ ماء العنين والشيخ إعرز ويهدى، ينتسبون إلى المجال إما عن طريق الثقافة أو المصاهرة، ومن هذا المنطلق فإن شيوخ الزوايا لهم إتصال مباشر بقبائل الصحراء، وفق مفهوم "الدين لكل الناس"³⁵⁴ ومجال الساقية الحمراء لقبائلها.

يسجل على شيوخ الزوايا قدرتهم على التأثير على السلوك البدوي لأهل للمنطقة، وتغير السياق التواصلية بها من خلال الإعتماد المجتمع الحساني على الخطاب الديني، وهذا التحول في الخطاب لم يؤثر في الخطاب القبلي فقط، بل حاول التكيف معه من خلال مجموعة من الظواهر التي تتطابق فيها قيم القبيلة مع قيم الدين الإسلامي، وقد حاول الشيوخ التأثير في قبائل الساقية الحمراء، عن طريق التماسك والتضامن بين القبائل واحترام الجيرة والتاريخ والثقافة المشتركين. والتي يتضامن فيها المجتمع القبلي بكامله.

³⁵⁴ Hegal ، *Leçons sur la philosophie de religion*، Tome 1، op، cit، P :60.

تتجسد العلاقة بين القبيلة والشيخ من خلال انتمائه إليها، فكل الشيوخ الذين أسسوا زوايا بالمنطقة، تربطهم علاقة بالمؤسس بأفراد القبيلة، وهنا يتبين قوة العلاقة بين الشيخ والقبيلة أولاً وقبائل الساقية الحمراء ثانياً، فإنتماء الشيخ القبلي يجعله يستأثر بالشأن السياسي والديني والإجتماعي والأقتصادي لقبيلته، ويصبح الفاعلين داخل القبيلة وخارجها، وهذه الشرعية يستمدّها من قدرته في تسيير الشأن الداخلي لأفراد قبيلته إنطلاقاً من معرفته الدينية.

أما فيما يخص علاقته مع القبائل الأخرى، فالشيخ يستمد شرعيته من توافق القبائل على علو شأن الشيخ في الساقية الحمراء، ومساهمته في عقد مصالحات بين القبائل المتخاصمة، من خلال كتابة موثيق وعهود توثق لتاريخ المصالحة، والشروط التي اثبتت عليها هذه المصالحة، وقدرة الشيخ على التواصل من زعماء القبائل.

(2) البعد القبلي لبركة الشيوخ الزوايا

تأتي شهرة الشيخ متى توفر على الشروط التي تجعل منه شيخ، وأهم شرط هو ما يتسم به من سلوك، التي يتحدث عنها الناس ويتناقلونها من جيل إلى آخر. ويتجلى هذا السلوك في العديد من المظاهر كإطعام الضيوف ولو بالقليل من الطعام، ومعالجة المرضى، وعند زيارة خيمة أو فريگ فإنه سيعم عليه الخير والأمان.

إن تجليات البركة في تاريخ هؤلاء الشيوخ بالساقية الحمراء كثيرة، وتصبح اليوم مادة أنثروبولوجية وسوسيولوجية، للبحث في تمثيلات المجتمع لهؤلاء الشيوخ ولتظاهراتهم في الحياة اليومية للإنسان بالمنطقة. حيث تستمد القبائل التي ينتمون إليها قوتهم، وقد سرد أحد أفراد قبيلة أولاد باسبع في مقابلة أجريتها معه حكاية، تعود إلى الصراع الذي نشب بين قبيلة الركيبات وأولاد أبو سباع، حيث كان معروف على هذه القبيلة قوتها وجبروتها في الحرب،

أنهم جاءوا إلى قبر الشيخ سيد أحمد الركيبي وأخرجوه من قبره، وقالوا له أنظر ماذا فعلنا بأولادك؟ ما أنت فاعل لتتقذهم؟

وبعد هذا الفعل قامت الركيبيات بتجيش جيش كبير، انتصر على أولاد باسبع وطردهم إلى أنحاء المغرب والبلدان المجاورة، وهذا الحادث يحمل جوانب خفية، أن الإعتداء على الشيوخ في السر والعلن مصيره الهلاك، وهنا نستحضر البعد السوسيولوجي والانثروبولوجي للعلاقة بين الأفراد بالساقية الحمراء عائلات شيوخ الزوايا، فالأفراد الذين ينتمون إلى الشيخ ماء العينين، ينادون بالشريف كناية إلى النسب الشريف، وإحترام هؤلاء الأفراد أمر واجب.

تستدعي بركة هؤلاء الشيوخ مجموعة من الممارسات في مجتمع الساقية الحمراء، فلا يمكن التحدث على عائلات الشيوخ بسوء مخافة بركة جدهم، وتعتبر ميزة البركة محور اهتمام القبائل الأخرى، ودعوتها لها للحضور في أغلب الاحتفالات التي لها طابع ديني.

(3) الزوايا التاريخية بالساقية الحمراء

(أ) زاوية الشيخ ماء العينين

تعتبر زاوية الشيخ ماء العينين من أهم الزوايا بالساقية الحمراء، حيث بدأ الإستغلال في تشييدها سنة 1895، فأغلب الزوايا يشرع في بنائها "قرب الأودية والعيون والآبار ومنابع الماء، كما يعتقد أن العديد من مصادر الماء هذه، إنها ظهرت بفضل كرامة الأولياء"³⁵⁵، وهذا ما أكدته محمد الأمين حيث كان أول ما شغل الشيخ ماء العينين، ولم يجيد خير من قصبة على واد سلوان أصبحت فيما بعد زاوية بإسمه يوجد بها الماء الوفير.

³⁵⁵ عياد بلا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في علم الاجتماع تحت عنوان: نظام القرابة ونسق الثقافة بالصحراء قبيلة أيتوسي - نموذجاً، من مرجع سابق، ص: 340.

و"لا فرق عنده بين ولده والمحسوب عليه ولا يمضي عليه يوم إلا قد بعث تأنيه بالميرة أو قدمت إليه أخرى تحملها ومتى بلغ الإنسان قريبا منه يسمع دوي مريديه يذكرون الله وينشدون الأدعية ورأيت في تلك الأيام التي أقمت عند لا تفوته صلاة الجماعة في أول الوقت مع كبر سنه وضعف جسمه وبعد صلاة العصر يسردون له الحديث وهو يسمع ثم يشرح لهم بعض المواضيع منه"³⁵⁶، وتتلمذ على يد الشيخ العديد من الطلبة منهم:

- حبيب الله بن الشيخ محمد الحسني
- الحسين بن محمد العروسي التكني الزرقى
- الحسين بن علي أهل برك الله
- سيدي محمد بن مبارك بن البصير الرقيبي وغيرهم.

ب) زاوية سيد أحمد الركيبي

تم بناء زاوية سيد أحمد الركيبي على بعد 120 كلم من السمارة قرب واد الحبشي، وقد تتلمذ فيها العديد من التلاميذ، وقد حققت إشعاع ديني في القرن السابع عشر من خلال نشر تعاليم الدين بالصحراء المغربية، وأصبحت ملتقى لطلبة العلم من كل مناطق الصحراء، "فقد قضى في الخلوة عشر سنوات، وعند خروجه تقاطرت عليه وفود القبائل وسكان المنطقة الذين عاشت بينهم أخباره وولاته وزهده وشرفه. قصد زيارته والتبرك منه والانتفاع بدعواته والتقرب منه. واشتغل الشيخ بيده في الفلاحة، وهي عادة أهل الزهد والتصوف والصالح، سبقه إليه جده المولى عبد السلام بن مشيش"³⁵⁷ مما جعلها تحضى بمكانة خاصة من طرف قبائل الصحراء، التي يزورونها محملين بالذبائح ومختلف الهدايا.

³⁵⁶ أحمد الأمين شنقيطي، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، مرجع سابق، ص: 360.

³⁵⁷ محمد أحمد باهي، الليث سيد أحمد الركيبي، مطبعة: البوكيلي، القنيطرة، الطبعة الأولى 1998، ص: 40-41.

ت) زاوية الشيخ سيد أحمد لعروصي

الظاهرة، والكرمات الباهرة، أبو العباس أحمد بن عمر العروسي ثم الغمري³⁵⁸ تقع زاوية سيد أحمد لعروصي على بعد 30 كلم من اسمارة، بوادي الساقية الحمراء وهي بجماعة تحمل أسمه، حيث يسكنها عدد مهم من أفراد قبيلته. وكان الشيخ قد عاصر العديد من الشيوخ بالمنطقة، "ويروى أن سيد أحمد لعروصي قدم من صحراء تونس بعد وفاة والد الشيخ العروسي، قدم رفقة الشيخ سيد أحمد بوغنبور وفي الطريق القى عليهم القبض وادخلا السجن، ولكن الله أعانها وأعتقهما، فقد جاء طائر ضخم وحملها من السجن وطار بهما إلى الساقية الحمراء. الأرض التي اختارها لهما الله، وهناك التقيا بسيدي أحمد الركيبي³⁵⁹.

ث) زاوية الشيخ سيد أحمد موسى

تتوسط زاوية الشيخ أحمد موسى مدينتي العيون والسمارة، حيث تبعد عن العيون بحوالي 175 كلم وعن مدينة اسمارة بحوالي 65 كلم، وهي تقع على ضفاف وادي الساقية الحمراء، وتعتبر "فرصة سنوية لاجتماع كل أبناء سيد أحمد موسى، حيث يحجون إلى مقر الزاوية قادمين من مدن العيون، السمارة، الداخلة، طانطان، كلميم. والمناطق المجاورة للزاوية، كمنطقة زاوية يسد أحمد موسى، نظرا لكونها مقر سكنى لبعض أبناء سيد أحمد موسى. ويجتمع الجميع خلال الموسم ويبنون الخيام وينحرون النوق، ويحيون ثلاث ليلي من الذكر الحكيم، ويتدارسون الاحادسث والسنة النبوية"³⁶⁰.

³⁵⁸ أنظر: رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت للشيخ يوسف بن عابد بن محمد الحسني الفاسي المغربي، حقق نصها وقدم لها علق عليها إبراهيم السامرائي وعبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1993، ص: 64.

³⁵⁹ محمد أحمد باهي، الليث سيد أحمد الركيبي، مرجع سابق، ص: 52-53.

³⁶⁰ أنظر الموقع بتاريخ 2019/01/08 علي الساعة: 20.25 <http://www.sahara-culture.com/Default.aspx?tabid=235>

(خ) الزوايا المتبقية

- زاوية أولاد تيدرارين
- زاوية أحمد بن يداس
- زاوية قبيلة الشرفاء فيلالة
- زاوية الشيخ محمد لغصف
- زاوية حسنا بن الشيخ مربيه ربو
- زاوية أيتوسى
- الزاوية القادرية الشاذلية
- الزاوية التجانية
- الزاوية القادرية البوتشيشية
- زاوية أهل الليلى
- زاوية توبالت
- زاوية لبهي سعيد

4) الابعاد السوسولوجية والأنثروبولوجيا للزوايا بالساقية الحمراء

يتضح من خلال تتبع تطور الزوايا بالساقية الحمراء، "ياسرين، القبائل كاملة تقريباً بزواياتها" حسب القيم على زاوية الشرفاء فيلالة، وهذا يجمع عليه أغلب المشاركين "لكن ما يهم هنا، هو كيف تعمل «الزاوية» على إضفاء الشرعية على «القبيلة» وبالتالي إدماجها في «المجتمع العام»³⁶¹.

تتميز الأنظمة التقليدية بالمنطقة بقدرتها على التكيف مع نمط الحياة بالمدينة، فإذا كانت الزاوية تحاول تنظيم علاقتها بين الدولة والقبيلة، وهي في علاقة مفتوحة ومتفاعلة فيما

³⁶¹ محمد ضريف، مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى 1992، ص:79.

بينها حسب الباحث محمد جاح³⁶² فإن الزاوية بالساقية الحمراء تؤكد العلاقة بين القبيلة و"التراب" من خلال توظيف الإشعاع الديني للزاوية تجاه المخزن والقبائل الأخرى للمحافظة على إرتباط القبيلة بالمجال.

فمن خلال زيارتنا لأغلب الزوايا المذكورة أعلاه فإن برامجها تكاد تكون سنوية، وحتى الزوايا القديمة مثل زاوية الشيخ ماء العنين فهي مقفلة منذ سنة 1997، وفواتير الكهرباء بالكاد تؤدي عنها من طرف قيمها ومن جيبه الخاص، وهذا يبين تراجع تأثير الزوايا بالمنطقة، فالزاوية" التي ليس لها مال، ولا توفر الطعام وجبات الغذاء والعشاء، والعلم لمريدها ليست بزاوية" حسب محمد الأمين ماء العنين، هذا الإحباط وجدته اليوم التالي من الدخول عليه، حيث كان يريد لقاء المدير الجهوي للأوقاف والشؤون الدينية من أجل إعطائه ملف الزاوية وقد أرسله إلى جهات أخرى.

إن هذا الاعتراف من طرف الجهات الرسمية، يتضمن إعتراف رسمي لقوة القبيلة في المنطقة، وهذا ما تحاول أغلب القبائل بالصحراء القيام به، بهدف تصحيح توازنات القوى بين القبائل عند المخزن، و"كذلك أداة لتوفير الشروط المادية اللازمة لوجود القبيلة"³⁶³، فالقبيلة تستمد عمقها التاريخي والثقافي والديني من إنتماء الزاوية لها، حيث يتجسد ذلك عند ملاحظة توحيد أفراد القبيلة في الزاوية لإنجاح الأنشطة المنظمة بها (الصورة 06: الموسم الديني بزاوية أيتوسى العيون).

حضرت مجموعة من اللقاءات التي تنظم في منازل أفراد قبيلة من أجل تنظيم نشاط معين يهم الزاوية، وقد تبين أن الأمور التي تهم الزاوية يجتمع عليها كل عناصر القبيلة، ويعتبرون الزاوية بعيدة عن المصالح الشخصية، وتلك الاعتبارات الدينية فإنها تحمل اسم

³⁶² محمد جاح، الزاوية بين القبيلة والدولة في التاريخ الاجتماعي والسياسي للزاوية الخمليشية بالريف، الجزء الثاني، الطبعة الأولى 2015.

³⁶³ محمد ضريف، مؤسسة الزوايا بالمغرب، مرجع سابق، ص: 82.

ايتوسى فقط، حيث يتسم الصراع حول كيفية تقديم هذا النشاط، بصورة متميزة تعكس الإرث الثقافي والديني للقبيلة، وتظهر القبيلة كمكون قبلي لا يمكن الاستغناء عنه تجاه المخزن. يعطي استثمار البعد الديني للزوايا في اتجاه المخزن والقبيلة الأخرى، تفسيرات عديدة توضح أوجه الإستغلال للمؤسسة الزاوية، لبعث رسائل سياسية ثقافية واجتماعية ودينية، فالقبيلة تحاول التذكير بأنها فاعل في المجال، ولا يمكن الاستغناء عنها في كل سياسة مستقبلية، وهنا يتبين تأثير العمق الإيديولوجي للقبيلة في الزاوية التي تحمل اسمها.

المبحث الثاني: الأبعاد الثقافية والروحية للأضرحة والأولياء في الثقافة القبلية

1) التمثلات الثقافية للأضرحة والأولياء بالساقية الحمراء

تشكل الساقية الحمراء إمتداداً لظاهرة الأولياء والصلحاء بالمغرب، ولا تخلو منطقة من وجود ضريح أو مقام يعطي لهذه المكان من الصحراء الهدوء والسكينة، واتسم حضورها داخل نسيج المجتمع بأهمية بالغة، وذلك لعمقها التاريخي والديني والسياسي والثقافي في المنطقة، ويستمد الضريح شرعيته من الولي، الذي كان يتصف بالورع والصلاح والتزامه الديني وزهده، وتتوارث عنه كرامات وقصص لحياته الخاصة، تظهر كراماته وقدراته الخارقة في إشاعة الخير وإسعاد الناس.

مازال في المتخيل الشعبي لدى مجتمع الصحراء، قدرة الأولياء في مساعدة الناس في قضاء حوائجهم الدنيوية مثل الزواج وإنجاب الأطفال، والتبرك بهم وطلب الشفاء من الأمراض وبالأخص العقلية منها، حيث "إن إرث الأفكار الدينية يتضمن تحقيق الرغبات العتيقة،³⁶⁴ التي لا يمكن لأي إنسان عادي تحقيقها إلا إذا كان يرتبط بنسب شريف والتحلي بالصدق والأمانة في سلوكه اليومي، "وبسبب مضمونه (الصدق) ذاك يتشكل هذا الشرط قمة المراتب والمقامات التي يترفع عليها الوارد الجديد.³⁶⁵

يحضى السلوك الذي يتصف به الولي بمجموعة من التمثلات الاجتماعية، والتي تعتبره خارق للعادة تفوق قدرة البشر وتصواتهم، ورغم أنهم أموات فإن هذه الكرامات مازالت تلتصق بهم، حتى من يعتبر أن زيارة الولي الدفين بهذا الضريح بمثابة حج إلى الديار

³⁶⁴ نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، مطبعة: أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2011، ص: 24.

³⁶⁵ نفس المرجع، ص: 175.

المقدسة، حيث يرجع إليه الناس فيعطيه في السراء والضراء، ويصبح الضريح مكان تتفاعل فيه القيم الدينية والموروث الثقافي البيضاني، فغالباً ماتجد "سكان الصحراء علاقة متميزة مع موتاهم من الأولياء، بقدر ما بقدرسونهم ويتذكرونهم بقدر ما تلقى قبرهم تعاملًا خاصاً غالباً ما تتواجد الأضرحة بمنطقة الصحراء والزوايا قرب الأودية والعيون والابار ومنابع الماء."³⁶⁶

تتسم العلاقة بين الأولياء وأفراد القبيلة على أنها مصدر تكريس زعامة القبيلة في فترة تاريخية معينة، حيث تصبح السيرة الذاتية لهذا الوالي وسيلة لتجديد الصلة مع القبيلة، وهذا الأصل الديني والثقافي يستوعب كل أفراد القبيلة، ويتجلى تقرب أفراد القبيلة من الولي من خلال الزيارة التي تتطلب على الأقل الميت عند الضريح لليلة كاملة، يتم خلالها القيام بمجموعة من الطقوس التي تهدف إلى تحقيق الحاجة من الزيارة.

يتمظهر هذا السلوك بقبول الزيارة من خلال "الحلم"، الذي يمكن أن يكون في ليلة المبيت أو الليل التي قد تصل إلى سبعة ليالي متواصلة، حيث يشكل الحلم نذير قبول الزيارة، ومؤشر تحقيق الحاجة من زيارة الولي، وهذا الحلم يمكن أن يأتي على شكل هيئة إنسان يحمل فيها الخير أو الشر، ويمكن أن يأتي على شكل توصية يجب القيام بها، وهناك حالات لا يأتيه الحلم مما يضطرهم إلى سؤال الأطفال عن أحلامهم في تلك الليلة.

إن التطرق إلى الضريح دون استحضر هذه الطقوس والمقدسات، التي تتطلب العودة إلى مدلولاتها التاريخية الاجتماعية، لفهم مكانزمات استمرار القبيلة في السر والعلن، وظاهرة زيارة الأولياء هي وسيلة من القبيلة لتجديد تسيد لعصبية القبلية، التي تستدعي إستحضار الجانب الروحي والعائدي في التاريخي الشفهي للولي، وتسلسل في النسيج الاجتماعي لأفراد القبيلة من أجل إستقطاب التضامن القبلي الذي كان يحققه الولي في تاريخي الديني، فمن

³⁶⁶ عياد بلا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في علم الاجتماع تحت عنوان: نظام القرابة ونسق الثقافة بالصحراء قبيلة أيتوسى نموذجاً، من مرجع سابق، ص: 340.

داخل القبيلة تتوحد عناصر، تتميز بإختلافها طوال الوقت، وبلحظات تجدها في تناسق وتناغم، وهنا نستحضر قولة الباحثة رحمة بورقية "إن كل مؤسسة (القبيلة) تحتاج إلى طقوس للمحافظة على تكرار نفسها"³⁶⁷.

(أ) المواسم بالساقية الحمراء

يعد الإحتفال بالمواسم الدينية ظاهرة إجتماعية تختلط بها ما هو ديني بما هو تجاري. لكن في الساقية الحمراء، يتميز الإحتفال بهذه المواسم بطابعه الديني القبلي، حيث تجتمع كل فئات القبيلة من مختلف الأعمار، في هذا اليوم اعيد للاحتفال لموسم القبيلة أو الفخذ الذي يحمل اسمه الموسم، وتبدأ المناسبة قبل ذلك اليوم بجمع المال، حيث يصبح واجب على كل أفراد القبيلة تأديت مبلغ مالي معين حسب قدراته، وهناك من يفرض عليهم مبلغ مالي معين مثل الموظفين، أما رجال الأعمال والمنتخبون فيعطون أكبر المساهمات.

يتميز تنظيم هذه المواسم الدينية بصفة الإلزامية، من حيث المهمة المنوطة لكل عنصر في القبيلة، ولا يمكن التراجع عنها تحت أي ظروف، بل تصبح هذه المهمة تشريف وتكليف من الجماعة المنظمة للموسم، وخلق روح من التنافس بين مختلف مكونات القبيلة من أجل إنجاح هذا الموسم، الذي يعتبر بمثابة الموروث الثقافي والهوية التاريخية للقبيلة، ويحرص المنظمون على استدعاء جميع المكونات القبلية الأخرى بالساقية الحمراء، للحضور في هذه المناسبة التي تبرز قيم وعادات القبيلة وتاريخها في الصحراء والمنطقة.

يلاحظ البعد القبلي للموسم بالرغم أنه موسم ديني، وتتأكد أكثر من خلال الحضور المكثف للقبيلة للحفل الرسمي الذي يقام على هامش الموسم الديني، والدور الفاعل للشخصية والهوية القبلية من بداية الحفل إلى نهايته، حيث يتم توظيف الجانب الديني لتأثر

³⁶⁷ رحمة بورقية، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، مرجع سابق، ص: 169.

على الحاضرين، وتكوين تمثلات إجتماعية تسهم في ترسيخ تؤدي أدوار إجتماعية وسياسية وثقافية للقبيلة، وتستعمل القبيلة الروح الدينية مع أبنائها لخدمتها وخدمة أيديولوجيتها.

يتم استقبال الحضور بصف كبير من أعيان وأفراد القبيلة (الصورة 07 من الملحق)، حتى يدخل الضيف إلى خيمة الإستقبال، دلالة على القوة العددية للقبيلة وتلاحم أفرادها بمختلف فئاتهم، وما يلفت إنتباهك في هذا الصف الكبير، هو تقدم كبار السن في مقدمة الصف وشيوخها ومنتخبها وأعيانها، ثم في الأخير شباب القبيلة وصغرها الذين تتراوح أعمارهم ما بين ثلاث سنوات إلى إثني عشر سنة، وهؤلاء يكونون في الغالب مع آبائهم، مع ملاحظة غياب للمرأة في هذه المواسم الدينية.

هذا الترتيب في الصف هو ترتيب قبلي بامتياز، فلا يمكن تقديم الشباب على الشيوخ في مناسبات تقوم بها القبيلة سواءً داخليا أو خارجيا، فالإنضباط إلى هذه القواعد من طرف أفراد القبيلة هو إنضباط لنمط تشكل القبيلة، وفق أعراف وتقاليده متفق عليها في المجتمع، ومن هنا تنطلق التنشئة الإجتماعية للأجيال القادمة، حيث نلاحظ أن جميع فئات القبيلة تكون متساهلة مع صغار السن، وتربيتهم على عادات القبيلة وقيمها.

يتطلب الجانب الديني عند قبائل الساقية الحمراء إحترام خاص، من الناحية الدينية والثقافية، وهذا ما يلاحظ في تجنب حضور النساء لهذه الفعاليات الدينية، والتي تتضمن مجموعة من الأنشطة التي لا يمكن للمرأة حضورها، مثل زيارة ضريح الولي والدعاء له ثم إستقبال الحضور، ويشكل هذا الأمر إساءة للقبيلة لأنه ضد الثقافة الحسانية التي تستوجب إستقبال الضيوف من طرف الرجال، لكن يمكنها الحضور في أنشطة مواكبة للموسم (الصورة 08 من الملحق).

هذه أهم المواسم الدينية التي تقام بمنطقة الساقية الحمراء:

- الموسم الديني لزاوية أحمد بن يداس بلدة الوكادية
جماعة أخفنيير (قبيلة أولاد تيدرارين).
- الموسم الديني لأهل الزريبة بلمسيد نواحي بوجدور
(قبيلة أولاد تيدرارين).
- موسم قبيلة أزركين بالقصبة نواحي الدورة شمال
العيون.
- موسم عبد الرحمان التهالي (قبيلة الركيبات) بمنطقة
وين مذكور نواحي طرفاية.
- موسم زاوية أيتوسى بالعيون.
- الموسم الديني لأهل ابراهيم وداوود للولي الصالح داوود
محمد بن قاسم بن الشيخ سيد أحمد الركيب (قبيلة الركيبات) بجماعة
الحكونية شرق العيون.
- موسم قبيلة ايت لحسن بأرجام الحسين جنوب بوجدور.

يجمع في هذه المواسم على نيتهم القيام بمواسم خاصة بالقبيلة إسوة بالقبائل الأخرى، هذا التنافس بين قبائل المنطقة على تنظيم المواسم، يدل على الدور الفعال لهذه الفعاليات من أجل التعريف بالتاريخ الثقافي والديني للقبيلة، والتغطية الإعلامية المواكبة لهذه المناسبة، تسهم في معرفة مجال القبيلة والعمق التاريخي لها بمنطقة معينة من الساقية الحمراء (الصورة 09 من الملحق)، لكن يبقى العائق المادي ضد هذه الاحتفاليات، وبالأخص التي يتميز عدد خيمها (العائلة) بالقلة مقابل العدد الكبير للقبائل الأخرى.

في المقابل فإن بعض القبائل لم تستطيع مواكبة تنظيم هذا الموسم كل سنة، ونذكر على سبيل المثال قبيلة إزركين، حيث توقف موسمهم في القصبة منذ حوالي ثلاث سنوات. ويرجع سبب هذا التوقف حسب أحد المشاركين من إزركين إلى ضعف الموارد المادية،

والأنشطة التي تنظم بهذا الموسم، حيث لاحظت جماعة القبيلة إشراف في القيام بمأذبة دون القيام بأنشطة أخرى، وهذا وجه الاختلاف بين أفراد الجماعة، وقد أكد لي عودة الموسم إلى الوجود بشكل آخر، يعطي للقبيلة عمقها في الساقية الحمراء والثقافة الحسانية، من خلال القيام بندوقات تذكر بتاريخ القبيلة ورجالها في المنطقة والدور الكبير الذي كانت تقوم به القصة.

يلاحظ أيضا قبائل تنظيم لأول مرة موسم ديني مثل قبيلة أيت لحسن (الصورة 10 بالملحق)، وهذا دليل على أهمية المواسم في الساقية الحمراء، وهذا لا يقف عند الدور التاريخي للقبيلة في المنطقة، بل يصل إلى إرسال رسائل للقبائل الأخرى والقبائل التي تقطن في هذه المنطقة بالتحديد (بوجدور والنواحي)، أن قبيلة أيت لحسن لن تتنازل عن أي شبر من إمتدادها الجغرافي.

يحدد صراع القبائل اليوم في منطقة الساقية الحمراء، منطق العلاقة مع هذه المنطقة، ويشد الصراع في حالة وجود ضريح للولي لقبيلة معينة، حيث يصبح علامة على إنتماء القبيلة إلى المجال، هذا ما يجعل جماعة القبيلة تجتمع للقيام بزيارات موسمية للولي، ولا تتوقف الزيارة على أبناء القبيلة الذين يتواجدون بالمنطقة، بل يمتد ليصل إلى كل الأفراد القبيلة الذين ينتمون إلى نواحي المغرب وخارجه.

ب) البعد الرمزي والتربوي للزي الصحراوي

يعتبر الزي الصحراوي بالساقية الحمراء من علامات الإنتماء إلى الثقافة الحسانية، ودليل على إنتماء الإنسان إلى المنطقة. ويظهر قيمة اللباس التقليدي في المناسبات الدينية والمناسبات الأخرى كازواج، "فضلا عن وظيفته الرئيسة المتمثلة في الوقاية من تقلبات

المناخ العنيفة (الحر والقر)، للباس ووظائف عديدة منها الاجتماعي والطبقي والطائفي والإثني والجمالي وغيرها³⁶⁸.

عرف الزي الصحراوي تطوراً حسب نمط الحياة الإنسان، وإذا كان الإنسان بالساقية الحمراء "التشمير"³⁶⁹ و"الثام النيلة"³⁷⁰ و"مسواك أتيل"³⁷¹، لكن اليوم مع التغير الديمغرافي والحضاري في نمط عيش المجتمع، أصبح الرجال "يرتدون الدراعة وهي عباءة خاصة مفتوحة بين الجانبين بلا أكمام"³⁷²، وهذا الزي الذي أصبح اليوم يساير التحولات المودة من حيث الشكل والثوب والدقة في التصميم.

"إن دراسة اللباس من زاوية الأنثروبولوجية كفيلا تكشف الكثير من الحقائق حول تاريخية نشأة العقائد والأفكار وأنماط التدين وأشكال التطور الاجتماعي فضلا عن التثاقف والتبادل"³⁷³، ولعل اللباس الرجالي كان حاضراً في الأبحاث الأكاديمية التي تناولت ثقافة المنطقة، من خلال أبعادها الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، والتغيرات التي طرأت عليها في مرحلة الترحال إلى مرحلة الاستقرار، فبالإضافة إلى دورها في تكيف الإنسان بالصحراء، وقدرته على تحمل حرارة وتقلبات المناخ بالصحراء.

يمكن القول أن هناك جموداً في التحليل الإيديولوجي الثقافي للباس الصحراوي، فنجد أغلب القبائل بالساقية الحمراء، يعتبرون الزي التقليدي دليل على الانتماء إلى الثقافة

³⁶⁸ يوسف بن موسى، لثام التوراق: دراسة أنثروبولوجية وسوسيولوجية، مجلة: الثقافة الشعبية، العدد 41 ربيع 2018، البحرين، ص: 114.

³⁶⁹ التشمير: ثوب رقيق وطويل، له فتحة كبيرة لرأس وجيب كبير في الغالب يكون لونه أزرق فاتح.

³⁷⁰ اللثام النيلة: وهو قماش طويل يوضع يلتف به الرأس والوجه والعنق، وبه مادة هي عبارة عن صباغة يميل لونه إلى الأزرق الداكن، تحافظ على بشرة الوجه من المناخ الصحراوي.

³⁷¹ مسواك أتيل: عبارة عن سواك من شجرة معروفة في الصحراء.

³⁷² رضا عبد الحكيم اسماعيل رضوان، التراث الثقافي والمواريث الشعبية الموريتانية "التحديات اللغوية والعرقية ومعصلة قيم البادية في مواجهة الحداثة"، مجلة: الثقافة الشعبية، العدد 38 صيف 2017، البحرين، ص: 84.

³⁷³ يوسف بن موسى، لثام التوراق: دراسة أنثروبولوجية وسوسيولوجية، مرجع سابق، ص: 115.

الحسانية، ولبس هذا الزي يجب أن لا يقتصر على المناسبات، بل في العادة لبدسه في جميع الأوقات، وهذا الفعل من طرف البعض يثير إنتباه الآخرين ويقولون عنه "الله يعطي الصحة لفلان ديما لابس دراعة"، وتصبح الدراعة علامة على الشموخ والمكانة الإجتماعية داخل المجتمع، وهي الضامن على تميزهم عن الشعوب الأخرى، وهذا يحفظ لهم اختلافهم، ويحافظ على الخصوصية الإجتماعية والإثنية.

تصبح الدراعة واللتام والسواك رمز للثقافة الأصلية للبيضان، وهذا ما يجسده تنشئة الصغار على لبس الدراعة في المناسبات، وتشجيعهم على الإهتمام بالزي الصحراوي والمحافظة عليه، وبالتالي تصبح الدراعة كاللتام عند قبائل التوارق، "حيث التوارقي يلبس اللتام في عمر معين، ويقام له احتفال هو بمثابة طقس عبور"³⁷⁴ وذلك لإرتباط اللتام الحرب والقتال، لهذا فإن لباسه يكون إشارة على قدرة الفرد على الركوب الخيل وحمل السلاح، والدراعة ترتبط بقيم النبل والشهامة، واهذا تجد أغلب شيوخ القبائل ووجهائها يلبسون الدراعة، ويعتبرونها مؤشراً على الدور الإجتماعي المتميز داخل القبيلة، ويحدد موقع الفرد من الناحية التراتبية والطبقية في القبيلة.

ت) المعتقد وتأثيره القبلي

يتميز نمط تفكير الإنسان الصحراوي بإدخال الموروث الشعبي في صلب حياته اليومية، حيث يعتبره ذلك التراث الثقافي الذي يميزه عن باقي الشعوب، وهذا التراث لا يختزل في المكان والزمان، بل يمتد عبر الزمن ليشكل إنتاج انساني صحراوي عريق، ورغم التحولات التي الثقافة الحسانية، فإنه حاول الحفاظ على هذا الموروث الثقافي البدوي.

³⁷⁴ رضا عبد الحكيم اسماعيل رضوان، التراث الثقافي والمواريث الشعبية الموريتانية "التحديات اللغوية والعرقية ومعصلة قيم البادية في مواجهة الحداثة، ص: 119.

يشكل المعتقد أهم مكونات الثقافة الحسانية، "باعتبارها القوى المحركة لكل الأفعال الاجتماعية التي يأتيتها الفرد منفردا بنفسه أو مجتمعا مع الناس على خلاف هذه الأنماط تظل حبيسة الصدور مختبئة بين الأعين"³⁷⁵ "ولا يقتصر مفهوم المعتقدات الشعبية على النواحي الروحية، بل يتوسع ليشمل كل ما يرتبط بالحياة الإنسانية، ويتخذها الشخص طرقا للعلاج أو حل مشكلته التي يواجهها كالتداوب بالقرآن، الأدعية، التبرك بالأولياء، اللجوء إلى السحرة والإستعانة بالمعالجين الشعبيين"³⁷⁶.

تختلط المعتقدات بالجانب الديني، حيث تتم أغلب المناسبات عند أهل الساقية الحمراء متزامنة مع مناسبات دينية. فعملية ختانه "تصادف في بعض الأحيان الاحتفال بأجد الأعياد الدينية ويلبس الطفل لهذه المناسبة ملابس تقليدية، كما تحرص الأم على تجميل نفسها بالكحل والحناء والملابس الجديدة، ويتم مناداة على الشخص الذي يقوم بعملية الختان، ويتم ختان الطفل بعد أن يفصح عن رغباته في إمتلاك أي شيء وتلبى كآخر طلبات، بعد ذلك تقوم الأم بإطلاق ثلاث زغاريد عند سماعها الطفل وبكائه طيلة المدة التي يتمثل فيها الطفل للشفاء"³⁷⁷.

لا يتوقف المعتقد الشعبي عند المناسبات الاحتفالية كالزواج، بل يصل إلى إحتفالات دينية كعيد الأضحى، الذي يجتمع مجتمع المنطقة على تحريم أكل لحم العيد في يوم العيد، وهناك مثل حساني مشهور يقول "نهار عيد الصحراويين نهار جوعهم"، حيث يكتفون بأكل "أفشاي" أي الكبد، الرئة، القلب، الكلي، الطحال والأمعاء. حيث يعتبر أكل اللحم نذير شؤم

³⁷⁵ محمد الصافي، شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي بالجنوب المغرب، مجلة: الثقافة الشعبية، العدد 41 ربيع 2018، البحرين، ص: 123.

³⁷⁶ عياد بلا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في علم الاجتماع تحت عنوان: نظام القرابة ونسق الثقافة بالصحراء قبيلة أيتوسي - نموذجاً، من مرجع سابق: 333.

³⁷⁷ محمد الصافي، شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي بالجنوب المغرب، مرجع سابق، ص: 124.

على العائلة والقبيلة وقد يؤدي إلى تفككها وتخاصم أفرادها، وهناك من الأفراد من لا يأكل عضوا معينا في الأعضاء الداخلية للماشية كالقلب، وذلك عربون ولرد الجميل على إنقاذ قبيلته من العدو في زمن معين، حيث يقول بأن بفضل القلب الذي بقي تحت الرماد ولم تأكله القبيلة، وناموا عنه حتى وقت متأخر من الليل أصبح ينفجر، مما جعل القبيلة تستيقظ لما عرفت مصدر الصوت، فكان بالصدفة منبها على هجوم عدو على القبيلة.

تكاد كل الطقوس تكون كل سنة أو مرة في العمر إلا طقوس وعادات تناول الشاي، الذي يعاد كل يوم مرتين على الأقل، حيث يلاحظ أن أهل الساقية الحمراء يحاولون التكيف مع المدينة والماضي القريب عبر مجموعة من السلوكات، تعكس ثقافة الصحراء والجذور القبيلة، من خلال حيث يتم تشييد "نطفية" تحت المنزل مباشرة، يتم جمع فيها ماء الأمطار يطلق عليه بالحسانية "الغدير"، وهذا الماء صالح للشاي وفي بعض الأحيان للشرب.

يستمد الشاي أصوله في الثقافة الحسانية من «جيمات أتاى الثلاث»³⁷⁸ وهي الجماعة، إذ من الأفضل أن يتم تناول الشاي مع الجماعة ومهما كثر عددهم كان ذلك أفضل، و«الجر» كناية عن استحسان إطالة المدة الزمنية لتحضير الشاي وهو شرط يتيح للجماعة فرصة تناول أمورها بروية وتأن، والجمرة، إذ من الأفضل إعداد على الفحم. كما يعتبر الشاي من الأولويات التي يجب أن تقد للضيف³⁷⁹.

يعتبر الشخص الذي يحضر الشاي سيد الجماعة، والأفراد الذين يناولون الشاي بمثابة مراقب على أفعال القيم على «الطبلية»، (الصورة 12 من الملحق) والتي تتكون من كؤوس صغيرة من الزجاج، و«الربيعية» بها مجموعة من «الزناييل» مفرد «زنبيل» أي صناديق من

³⁷⁸ إبراهيم الحيسن، ثقافة الصحراء: الحياة وطقوس العبور عند مجتمع البيضان، دار ابي رفرق، بدعم من وكالة الجنوب للإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بالأقاليم الجنوبية، 2011 الرباط، ص: 73.

³⁷⁹ محمد الصافي، شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي بالجنوب المغرب، مرجع سابق، ص: 129-130.

الأواني توضع فيها «الورغة» أي الشاي والسكر، ثم «المجمر» الذي يوضع فيه الجمر و«المعرج» وهو على شكا إبريق كبير يوضع به الماء، ويفضل عدم غلي الماء في حالة الشاي من صنف "الشعرة"، الذي يستعمل كثيراً في الساقية الحمراء، عكس منطقة واد نون الذين يتناولون الشاي بصنف "المركب".

تتميز جماعة الشاي بتجديد التماسك العائلي والقبلي والاجتماعي، من خلال هذه الفترة التي ليست بالقصيرة، حيث يحرم على أي فرد من ترك جماعة الشاي، فهذا الفعل قد يسبب لصاحبه الضرر والشر، «أتاي ما يعاغب» أي لا يمكنك ترك الشاي وهو لم ينتهي، وفي حالة القصوى بأخذ الفرد قطعة من السكر، إحتراماً لجماعة أتاي لمكونات الطبلية، ففي هذه الجلسات التي تلمها كؤوس الشاي، تعبر عند مجتمع المنطقة، مكان بتجدد اللقاء مع الأخوة وأبناء العمومة، ويتجدد الانتماء بالهوية القبلية الصحراوية.

المبحث الثالث: البعد الديني والقبلي وعلاقته بالجانب السياسي

1) الأعيان والجانب القبلي والديني

لا تقتصر التحولات الاجتماعية على بنية القبيلة، طريقة البناء الداخلي لها أو درجة التعصب لها، كل هذه التحولات سببها الرئيسي هو البناء السياسي والعرفي للقبيلة. فإذا عرفنا أن القبيلة تعتمد في سلوكها السياسي على شخصين رئيسين هما المقدم والشيخ، ويعتمدان على:

"-الرأسمال الرمزي: الأسطورة التي هي بمثابة أيديولوجيا اجتماعية تسهر على إنتاج الظاهرة، والتي يظهر على ضوءها الشيخ والمقدم كصمام للأمان والحارس اليقظ لأعراف وقوانين القبيلة أو الاتحادية والحريص على لحمتها، حيث يشترط فيه بالأساس البركة أي يكون مباركا سواءا بالإرث أو بالنسب أو ببركة أحد الأولياء.

-الرأسمال المادي: لابد أن يرقى لما يصطلح عليه بأهل "الخير" وأن يكون "كريم" الضيافة، "شجاعاً"...³⁸⁰.

لكن مع الحياة المدينة في الساقية الحمراء، حيث تغير أنماط الرأسمال في المدينة وأصبح معقد، ولا يعترف بالرأسمال التقليدي في النظام السياسي للقبيلة التقليدية، حيث أصبح للأعيان الدينين "أي ذوي الوظائف الدينية باعتبارهم الفاعلين الرئيسيين في الحياة الاجتماعية والسياسية بالمدينة من خلال وظائف كالقضاء والإمامة والإفتاء"³⁸¹، أو وظائف أخرى.

يتطلب من الأعيان الصفة وهي التي تمكنهم من الاعتراف لهم بالتأثير السياسي والديني بالمنطقة، وهنا يجب على الفرد حمل بطاقات هوية تجمل ذلك الرأسمال (الصورة

³⁸⁰ أطروحة جامعية لنيل الدكتوراه الوطنية تحت عنوان "دور تحالفات أيت أوسى في ضبط المجال ما بين القرن 19 والقرن 20" من انجاز الحافظ بنمان، مرجع سابق، ص: 198-199.

³⁸¹ محمد القادري، مجتمع الصحراء: سيرة وتحويلات قراءة في كتابات رحال بوبريك، مرجع سابق: 46.

13 من الملحق)، وتعد هذه الوثائق شهادات كن طرف السلطات العليا أو المحلية، وهذا

جاء للوثائق حسب ترتيبها في الصورة من البمين إلى الشمال:

- بطاقة التطوع في المسيرة الخضراء المظفرة.
- بطاقة مقاوم لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.
- شهادة من صاحب الجلالة محمد السادس بوسام الإستحقاق من الدرجة الأولى.

- بطاقة العضوية من رابطة علماء المغرب.
- شهادة الإحصاء من بعثة الأمم المتحدة المنورسو.
- رسالة من صاحب الجلالة محمد السادس، في ذكرى وفاة الملك الحسن الثاني.

- بطاقة الأعيان من عمالة السمارة.
 - شهادة عضوية المجلس العلمي المحلي بالسمارة.
- تعد هذه الشواهد في الساقية الحمراء نموذج عن الإعتراف المركزي والمحلي بصفة أحد أعيان المنطقة، وهنا يتبين ثقل الوثائق التي يمتلكها الشيخ محمد الأمين، فهي مقدمة من أكبر هرم في البلاد، حيث يعتبر نموذج للأعيان الذين يتوفرون على الرأسمال الرمزي، فهو ابن أحد شيوخ الصحراء وعلمائها، وهو من بين شيوخ المنطقة المعروف عليه الحكمة والبصير والتواصل مع جميع قبائل المنطقة.

هذا البعد الرمزي للشيخ لا يجعله بذلك التأثير على المكون القبلي بالمنطقة، وذلك راجع إلى التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عرفت الساقية الحمراء، فالبعد الرمزي أصبح عامل مساعد في التأثير على مستوى العلاقات الاجتماعية، حيث يبقى ذلك الإحترام والمودة بفعل ثقل التاريخ العائلي للشيخ، وهذا ما إستنتجناه من خلال لقائنا معه، وهناك عامل آخر يتمثل في المناصب التي يشغلها الشيخ وهي مناصب دينية بعيدة عن

السلطة، ولهذا فإن الشيخ يستمد قوته من الجانب الرمزي الذي ليس له الأهمية في الوقت الراهن.

إن التحول الذي عرفه ميزان القوى في الرأسمال من ماهو رمزي إلى ما هو مادي وسلطوي، أي التوفر على ثروة كبيرة وتقلد المناصب السياسية في الدولة، جعل العديد من المكونات القبلية تركز على هذا الجانب، و نلاحظ ذلك في المشهد السياسي على مستوى الجهوي الإداري، حيث تجد قبيلة أكثر تمثيلية في المنطقة، وقد إختارنا المجلس الجهوي بالساقية الحمراء وتمثيلية القبائل والذي يتكون من 39 عضواً:

-الركيبات: 19 عضواً

-ازركين: 04 أعضاء

-أولاد تيدرارين: 04 أعضاء

-ايت لحسن: عضوين

-توبالت: عضوين

-فيكات: عضو واحد

-سكارنة: عضو واحد

-بوعيطه: عضو واحد

-مجاط : عضو واحد

-لعروسين: عضو واحد

-قبائل الشمال: عضو واحد

الباقى عضوتين هما مباركة بابا والغالية بومهدي لم نتمكن من معرفة انتمائهم القبلي.

يكتسب العمق الثقافي القبلي أوجه عديدة ومنها الوجه السياسي، فرغم الإمتداد والتاريخي والإجتماعي والإقتصادي والثقافي لكل قبيلة في الساقية الحمراء، فإن التمثيلية السياسية يكون هدف لكل قبيلة، حسب قدراتها الذاتية وقدرة أبنائها على خلق تحالفات مع

القبائل الأخرى، وتشكل الكثرة العددية عامل رئيسي للقبيلة في توحيدها على أحد أبنائها أو التحالف مع قبائل أخرى، لها نفس المرجعين التاريخية والمجالية.

نشير إلى أن قبيلة ازركين أقرب إليها قبائل مثل توبالت ولفيكات، وذلك راجع إلى علاقات تاريخية تجمع بينهما مثل المجال والتاريخ والمصير المشترك، وهي أيضاً قريبة إلى قبائل مثل: أيت لحسن ويكوت وأيتوسى وغيرهما، من التحالف أو إتحاد تكنة التاريخي، وفي بعض الأحيان قبيلة لعروسين وأولاد تيدرارين التي تجمعهم علاقات تاريخية مع هذا الإتحاد، فالقبائل لا يمكنها أن تخرج عن هذه التحالفات التي تستند على مشروعية تاريخية ومجالية وقرابية.

تعتمد قبيلة الركييات على قدراتها الذاتية، فهي قبيلة تتكون من كثافة بشرية كبيرة، وتتسم بالإنسجام بين مكوناتها وعناصرها، وفي حالة خروج أحد أفرادها من الفرع الذي ينتمي إليه فإنه لا يخرج عن القبيلة، بل ينتقل إلى فرع من داخلها لمساندته، ويبقى عار على الفرد الخروج عن فخذ أو فرعه، لكن العار الذي لا يمكن أن تغفره القبيلة هو خروج الفرد إلى قبيلة أخرى يساندها ضد قبيلته، وحتى أمام القبائل الأخرى تكون وصمة عار عليه طيلة الحياة.

يستند البعد السياسي من طرف الفاعلين السياسيين، إلى قدرة على استيعاب اللعبة القبلية، من خلال معرفة موازن قوتها وضعفها، وهنا نشير إلى دور الرأسمال المادي، الذي أصبح يفرض على القبيلة التحالف مع قبائل أخرى، دون مراجعة البعد الإثنتي والثقافي والتاريخ، وذلك بهدف الحصول على التمثيلية السياسية، التي أصبحت اليوم مكسب سياسي بالساقية الحمراء، على الرغم أن ذلك الفرد الذي يحمل الطيف القبلي لا يقدم مساندة للقبيلة لا من بعيد ولا قريب.

إن العلاقة بين القبيلة والسياسية لا تنحصر عند التمثيلية فقط، ولكن القبيلة في استراتيجيتها تعتبر العلاقة بين المنتخب والقبيلة هي علاقة مصلحة، حيث تعتمد القبيلة في

ممارستها مع الفرد على البعد المجالي والثقافي للقبيلة، وإنتمائها للمنطقة فحضور الطيف القبلي في المشهد السياسي بالمنطقة هو مكسب للأديولوجية القبلية، وهذا بحقق الدينامية والحركية لعناصر ومكونات القبيلة.

إن خلق هذه الدينامية في هياكل القبيلة، يشكل نقطة قوة لتجديد مفهوم القبيلة داخل البنيات القبلية، وتشكل المنافسة بين أفراد القبيلة مؤشر على تنامي الروح العصبية بين أفرادها، وهنا يتبين قدرة السياسة في تأجيج الصراع داخل القبيلة، حيث تجد القبيلة في تمثيليتها تدعو إلى الممارسة السياسية، وذلك بهدف بعث روح ونفس بين الهياكل المكونة للقبيلة، وفي بعض الأحيان نجد صراع يصل إلى العنف بين أبناء العمومة، تستنتج إلى تفكك هذه القبيلة ولكن العكس، وهذا ما نلاحظه بين أهل الجماني وأهل الرشيد.

يشكل هذا الصراع نقطة تحول للقبيلة، فكلما اشتد الصراع بين عناصرها كلما تحقق للقبيلة نتائج إيجابية على مستوى المشهد السياسي، فالصراع يعني التفرقة أمام القبائل الأخرى وهذا يجعل القبائل المنافسة، لا تمارس الكثير من الضغط من أجل تحقيق نتائج كبيرة لأنها تشعر بقوتها أمام التفكك منافستها، لكن العكس فالقبيلة المفككة تعرف نقطة ضعفها التي ستصبح نقطة قوة فيما بعد، عبر الضغط من أجل تحالفات مع قبائل أخرى، وبالإضافة إلى التنوع الذي ستقدمه للقبائل المنطقة، فرعض فيئة من القبيلة المفككة سيختلف عن العرض الفئة المنافسة من نفس القبيلة.

تعتبر السياسة المرآة الحقيقية للقبيلة، فإذا كانت العصبية القبلية تعيش فيما قبل على الصراع من أجل المراعى والمجال، لكن مع الدولة المدنية فإن القبيلة، حاولت التكيف من نظم تسيرها، وطريقة تجديد بنيات القبيلة حتى تتمكن من التكيف من مفهوم الدولة الحديثة، فالسياسة أصبحت المقياس لدرجة عصبية القبيلة، وقدرتها على المحافظة على مجالها عن طريق الحضور الفاعل في المشهد السياسي بالمنطقة، وهكذا فإن السياسة بالنسبة للقبيلة ذلك الفضاء، الذي يبين قدرة القبيلة على تأكيد وجودها وإنتمائها للقبيلة وللمنطقة.

(أ) الأعيان وحضورهم القبلي

يشكل الأعيان جزء لا يتجزأ من النظام العام للقبيلة، فقد أصبح قيمة دورهم تزداد مع مرحلة الإستقرار (حياة المدينة)، فهم يتوسطون بين المخزن والقبيلة، لكنهم أقرب إلى المخزن من قبيلتهم، حيث ويختلفون في الوظائف والمعايير عكسك جماعة القبيلة التي تتألق من "جمع من الأشخاص المتفاعلين بصورة تعاونية لديهم معايير مشتركة وأدوار متشابكة"³⁸²، وما يجمع الأعيان هو تقلدهم لمناصب في المخزن وإنتمائهم للقبيلة.

ينقسم الأعيان في مجتمع الساقية الحمراء إلى ثلاث فئات وهم:

- **أعيان المخزن:** هم الذين يتقلدون مناصب مهمة في الإدارة، سواءاً تم الحصول عليها عن طريق الكفاءة أو عن طريق المخزن الذي نصب العديد من الشيوخ في عهد الإستعمار الأسباني قياد ويشوات وعمال، أو الذين جاءوا من مخيمات تندوف.
- **الأعيان المنتخبون:** هم الأعيان الذين دخلوا في المغامرة الانتخابية، وحصلوا على صفة العضوية إما في الجماعات القروية أو البلدية أو على المستوى الجهوي أو في البرلمان.
- **الأعيان بالصفة:** وهنا نتحدث عن أولئك الذين ورثة الصفة من خلال الإنتماء العائلي، حافظوا عليها بحضورهم الدائم مع القبيلة.

رغم أن الأعيان ينتمون إلى القبيلة ويسهرون على مصالحها، فإن العلاقة تختلف بين الفئات الثلاثة، وذلك إلى إختلاف المصالح ودرجة التقرب إلى المخزن، ومن داخل هذه الفئات تجد صراع بهدف التقرب من القبيلة ومن جهة أخرى التقرب إلى المخزن، ففئة أعيان المخزن الذين لهم حصولوا على المناصب بفعل شواهدهم العليا، فهم لا يتدخلون في شؤون

³⁸² فاطمة الزهراء شوية، السلطة العرفية في المجتمعات التقليدية دراسة أنثروبولوجية "جماعة الصلح" بمنطقة الجلفة نموذجاً، مجلة: الثقافة الشعبية، العدد 38 صيف 2017، البحرين، ص: 102.

القبيلة إلا من بعيد وذلك لمعرفة بالضرر على وظائفهم الناجم عن الدخول بشكل مباشر في شؤون القبيلة، أيضا أنهم لا ينتظرون الحصول على أي مصلحة من التورط في هذه المشاكل، ويختلف ذلك مع الشيوخ في فترة الإستعار والذين تلقوا مناصب في الجمهورية المزعومة، حيث تعتبر هذه الفئة قريبة من القبيلة، وذلك راجع إلى التشيئة الإجتماعية التقليدية التي عاشوا فيها، والتي تعتبر القبيلة كيان ضامن لسلامتها وإمتدادها وقوتها.

أما الفئة الثانية وهي القريبة من المخزن والقريبة من القبيلة، وتتميز بتمسكها بالقبيلة وجماعاتها، وتحاول الحفاظ على وجودها في القبيلة وفق إستراتيجية تتبناها، من خلال احتواء عدد كبير من أفراد القبيلة تخدم أجندتها الداخلية والخارجية، وهي قريبة من محيط القبيلة والعناصر المؤثرة فيها، وهي تحاول استطلاع أخبار القبيلة وشؤونها وهي غائبة، بواسطة افرادها المندسين في بنيات القبيلة، وتجدها تارة مع القبيلة وتارة ضد القبيلة، حسب الظروف السياسية والإجتماعية الإقتصادية للمنطقة والتي تكفل لها مصالحها.

لقد استطاعت هذه الفئة المحافظة على وجودها، رغم أن جميع أفراد القبيلة تعرف أنها تتبع مصالحها فقط، لكن توفرها على قدرة تحليل الواقع، ووضع خريطة مصالحها وفق منطق التأثير الداخلي والخارجي، وأنها تستعمل قربها من المخزن الذي يبني إستراتيجيات تتبني على هذه الفئة، وهذا يشكل عامل مساعد في فهم الظروف الخارجية، أما الواقع الداخلي للقبيلة فهي تتوصل به بشكل دائم، إما عن طريق جماعة القبيلة أو الأفراد المقربين منها.

تتميز الفئة الثالثة بحبها إلى القبيلة، ومحاولة ابعاد القبيلة عن الصراعات الداخلية والخارجية، وهي دائما تحاول الحفاظ على تماسك القبيلة، وتدعم كما ما يمكن رفع شأن القبيلة في الساقية الحمراء وأمام القبائلها، وتعتمد على "القيم الأخلاقية في القدرة على

تجسيدها في الواقع من خلال السلوك الذي يمارسه الأفراد³⁸³ الذين ينتمون إليها، لهذا تجدهم يحاولون على تلك الصفة التي تركها لهم آبائهم، ويعتبرونه إلتزام اخلاقي وديني أمام الله والقبيلة، وفي الغالب تجد هذه الفئة تستمد شرعيتها من البعد الديني للعائلة، وهذا يجعلها تحس بثقل المسؤولية عليها، وفي الغالب تحاول أن تبعد نفسها عن المشاكل التي قد تسيء إلى سمعتها وتاريخها.

يبقى المال هو المحدد في قدرة الفئة الثلاثة على التأثير في النظام العام للقبيلة، والإستعداد للإنفاق المال في سبيل القبيلة والمشاكل التي تواجهها، حيث يتم مساعدة أفراد القبيلة على قضاء حوائجهم في الإدارة، وتلتجأ الفئة الثانية إلى مساعدة القبيلة مادياً ومعنوياً، وذلك من أجل مساندتها في الاستحقاقات الانتخابية.

وتجدر الإشارة أنه يمكن في كثير من الأحيان، أن تجد أحد أفراد إحدى الفئات ينتمي إلى الفئات كلها، وهنا نتحدث على الفئة الثالثة التي يمكنها الإنتماء إلى الفئات الثلاثة وبالأخص الفئة الثانية، حيث في الغالب ترث الفئة الثالثة ثروة حيوانية كبيرة، تجعلها تلعب دور العائلة الكبيرة التي تجتمع حولها القبيلة، وهي التي تحل نزاعاتها وبلتجأ إليها كل أفراد القبيلة في حالة طلب المساعدة، فهي تلقى الاحترام من القبيلة، وجماعة القبيلة تجتمع في منزلها.

ب) المخزن والبعد القبلي

يتسم حضور رجال المخزن اعتبارات سياسية واجتماعية يلتزم المخزن القيام بها تجاه قبائل المنطقة، ويحاول الوقوف على قدم المساواة بين كل قبائل المنطقة، حيث يوظف أجهزته على هذا الأساس، ويمكن التحيز إلى إحدى القبائل وذلك نتيجة عمقها المجالي

³⁸³ فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1984، ص: 88.

والديني والديمقراطي بالمنطقة، فالمخزن يربط علاقته بالقبيلة عبر وسطاء، وقد تطرقنا إليهم في المحور السابق.

يتعامل المخزن مع القبيلة ككيان مجتمعي، يتميز بقدرته على الضبط الاجتماعي لجميع مكوناته، لهذا فإن المخزن يحاول توطيد العلاقة مع القبيلة، كأن تبقى علاقة تقوم على الإحترام المتبادل، ولهذا فإن رجال المخزن تجدهم يحضرون أنشطة القبيلة التي لها بعد ديني، ولهذا فإن ضرورة حضور المخزن إلى هذه المناسبات تقتدي مجموعة من الاعتبارات من أهمها:

- **شرعية المناسبة:** وهنا نتحدث على الحضور في مناسبات الخاصة بالزوايا المعروفة في المنطقة (الصورة 14 من الملحق)، ويحضر هذه المناسبة الدينية أكبر مسؤول في الإقليم أو الجهة، وهذا دليل على مساندة المخزن لهذا النوع من الإحتفالات.

- **الشرعية الترابية:** تسمد الشرعية الترابية من إمتداد القبيلة في المنطقة، وإعتبارها من الفاعلين الرئيسيين في الساقية الحمراء، هذا يجعل المخزن يعطي إهتمام خاص بهذه القبيلة، وقد حضرت في مناسبات قامت بها بعض القبائل في المنطقة، لكن لم يتم الترخيص لهذه المناسبة وعلى سبيل المثال قبيلة تكانت، التي قامت بتنظيم مناسبتين إحتفاليتين في كل سنة، لم يتم الترخيص لهما في القاعات العمومية، اضطر المنظمين تنظيم هذه المناسبات في قاعات خصوصية (الصورة 15 من الملحق).

يستعمل المخزن إستراتيجية في العموم، تتميز بالحذر مخافة من الانفلاتات الأمنية، ولهذا فإن المخزن يكون على علم بالصراعات القبلية الحالية والقديمة، ومن خلالها يتم بناء الخريطة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهو دائما يحاول إشراك الفاعلين القبليين في المبادرات التي تقوم بها الدولة، أو يقوم بتجريب هذه المبادرة وفق استراتيجيات معينة تهدف إلى مشاهدة رد فعل المجتمع القبلي وبالأخص إذا كانت هذه المبادرة متعلقة بالشأن القبلي.

(2) قناة العيون الجهوية وتغطية المناسبات القبلية:

تعتبر قناة العيون من القنوات الجهوية التي قام المغرب بتأسيسها، وذلك بهدف صون الذاكرة والحفاظ على الموروث الثقافي الصحراوي بالصحراء المغربية، وتم إطلاقها في 6 نونبر 2004 بالعيون، وفي هذه الفترة إلى اليوم قدمت مجموعة من البرامج الثقافية والدينية والاجتماعية والإقتصادية والسياسية والرياضية المتنوعة، وأصبحت المنبر الصحراوي الوحيد بالمنطقة الذي يهتم بالأنشطة الثقافية والدينية التي تقوم بها القبائل بالساقية الحمراء.

حيث قمت بلقاء في مكتب رئيس تحرير الأخبار بقناة العيون، وهنا لابد من الإشارة إلى أن قسم التحرير هو المكلف بتغطية الإحتفالات التي تقوم بها القبائل بالصحراء، وقد تشمل هذه التغطية ربورطاجات مفصلة ونشرات إخبارية، وهذا يدخل في صلب إهتمامات القناة التي تهتم بتغطية جميع الأنشطة التي تنظم في الأقاليم الجنوبية، حيث يتم من خلالها التعريف بالثقافة المحلية للمنطقة، وتتمين هذا الموروث الذي يمكن أن يكون ماديا ولا ماديا في الجهات الثلاثة.

تتميز هذه الأنشطة بالساقية الحمراء هو التغطية الإعلامية الكبيرة، لهذه المناسبات إنطلاقا من استعمال وسائل التواصل الإجتماعي وصولا إلى القنوات الجهوية والوطنية والدولية، وهذا دليل على تركيز المنظمين على الإعلام، كوسيلة لدعاية بطريقة أو أخرى للقبيلة، وتمير خطاب الدور الكبير للقبيلة في المنطقة، من خلال الأبعاد التاريخية والثقافية والمجالية.

تكتسب القبيلة الوعي من خلال بنياتها التنظيمية، جعلها تعين أفرادا معينين من القبيلة من أجل القيام بالحوارات الخاصة، ويتميز الأفراد المكلفين بهذه المهمة بالقدرة على التواصل وفق فلسفة القبيلة، وتوجهاتها وإيديولوجيتها في المنطقة، مع التركيز على تأثيرها

فيها، وهنا لابد من التذكير أن اللجنة المنظمة لهذه المناسبات، تؤسس لجان تكون أهمها لجنة الإعلام، والتي تتكلف بإرسال الدعوة إلى جميع المنابر الإعلامية وأولها قناة العيون.

يشير رئيس قسم التحرير إلى المراسلات التي تقوم بها هذه اللجنة للقناة، عبر البريد الإلكتروني أو يتكلف شخص لتتنقل إلى القناة لتسليم الدعوة، حيث يتم أيضا التذكير بالموعد بحوالي أسبوع أو أكثر حتي تأتي القناة لتغطية هذه المناسبة، وتتعامل القناة بقدر من الحياد تجاه قبائل المنطقة، حتى لا تجد نفسها في مرمى انتقادات القبائل، هذا الاهتمام بالجانب الإعلامي في المنطقة يستند على الثقل الذي تتميز به الساقية الحمراء عند القبائل، حيث تشهد المنطقة تحول سياسيا واجتماعيا واقتصاديا في جميع المجالات.

يبقى العامل المهم في محاولة إستمالة القبيلة للإعلام بشكل عام، ويمكن للقبيلة تنظيم نشاط بسيط، تقوم بتشهير به على أنه نشاط متميز، وهذا يعبر على إنخراط القبيلة في التنشيط الثقافي في المنطقة، فالملاحظ أن القبائل الساقية الحمراء أصبحت تتنافس على القيام بتظاهرات مختلفة، وفي غياب موسم ديني معين للقبيلة تقوم هذه القبيلة بالاحتفال بمناسبة، تعتبره نمطا تقليديا تتميز به هذه القبيلة على مرور التاريخ.

تشكل المواسم الدينية لقبائل الصحراء نموجا، يميز القبيلة بين قبائل الساقية الحمراء، حيث تعتبره فرصة جيدة للدعاية لها وولعاداتها وتقاليدها التي تميزها عن القائل الأخرى، ويطلع عليه البعد الديني الذي لا يستطيع أن ينتقده أحد، فالتنوع القبلي الذي تعرف به منطقة الساقية الحمراء جعل القبائل في صراع بهدف تملك الأصل الثقافي للثقافة الحسانية، حيث تحاول القبيلة مواكبة أنشطة تابعة للموسم الديني تؤكد عمقها الثقافي البدوي.

خلاصة الفصل:

إن الثقافة الحسانية متنوعة بتنوع مصادرها التي مازالت تزكي هذا التنوع وتؤثر فيه، ويتميز هذا التنوع بقدرته على الإنسجام والتكيف مع حياة المدينة، وديناميتها وتعقد نمط الحياة داخل المجال الحضري، ويتمثل قدرة هذا الموروث الاجتماعي والثقافي في التأثير على شخصية الأفراد في المجتمع من خلال التشبث بالعادات وتقاليده المنطقة، والدفاع عنها بإعتبارها لها جذور دينية ترتبط بالدين الإسلامي بشكل مباشر.

خلاصة القسم:

تتميز ثقافة الساقية الحمراء بالتنوع والغنى، وهذا دليل على التنوع الثقافي للمجتمع البيضان، من خلال العادات والتقاليد والقيم الدينية والاجتماعية والسياسية والقبلية التي لا يمكن حصرها في بحث ودراسة واحدة، وهذا التنوع سببه الإمتداد الترابي للمنطقة، فهي تشكل "قطرت عبور إلى أوروبا من خلال جزر الكناري، وإلى إفريقيا جنوب الصحراء الأمر الذي جعلها ذات أهمية بالغة على الصعيد الإقليمي والدولي"³⁸⁴.

يجمع الباحثين على أهمية الرواية الشفوية في جمع التاريخ القبلي والمجالي للمنطقة، حيث يعرف تاريخ الساقية الحمراء بأنه تاريخ مروي جيل عن جيل، وهذه خصوصية ثقافة البيضان بشكل عام، ويرجع ضعف الوثائق المتعلقة بالثرات الحساني إلى الظروف التي يعيشها البدو في الساقية الحمراء، فإنتشار الأمية والصعوبات الناحية التي تتعلق بالصحراء، حيث يكون الفرد شغله الشاغل الحصول على أبسط مقومات العيش من ماء ومأكّل له ولماشيته.

جعلنا نلتقي مع العديد من المشاركين، والذين تختلف إنتماءاتهم القبلية، حتى لا نتحيز في عرضنا لما توصلنا إليه من خلال البحث، فقد توصلنا إلى وجود بعض القبائل منا نعتقد أنها توجد فقط بالبلدان المجاورة، وهذا دليل على أن الساقية الحمراء جزء مهم من مجال البيضان، ولو لم تكن حروب بين قبائل الصحراء في الماضي والإستعمار الإسباني والفرنسي، لوجدنا العديد من القبائل في المنطقة.

³⁸⁴ محمد الترّسالي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع في موضوع: دينامية التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الصحراوي من البداوة إلى التمدن دراسة سوسولوجية لمنطقة الساقية الحمراء، مرجع سابق، ص: 126.

عرفت الساقية الحمراء تحولات إجتماعية منذ خروج الإستعمار الإسباني، وعودتها إلى وطنها الأم، حيث عرفت طفرة في شتى المجالات وبالأخص بعد 1991، حيث عرفت نمو سكاني وحضري غير مسبوق، هذا التحول أثر على نمط الحياة بالساقية الحمراء، وتحول من نمط عيش بسيط إلى نمط عيش معقد، تنامت فيه مشاكل المدينة وحياة الإستقرار.

لكن مع هذه التحولات الإجتماعية، فإن ثقافة القبيلة مازالت صامدة على مستويات مختلفة في المجتمع، من خلال العلاقة المتجددة مع مجال الساقية الحمراء، حيث يلاحظ قدرة القبيلة على جمع جميع مكوناتها لدفاع عن ثراتها الرمزي والمادي بالمنطقة، وتستعمل في هذا الصدد مجموعة من التدابير التي يمكن أن تكون حمائية أو تصعيدية، وتعتبر أي تهديد لمقومات القبيلة تهديد مباشر لها ولوجودها.

ومن هذا المنطلق فإن القبيلة تستغل مجموعة من الموارد الذاتية أو الخارجية من أجل صون حقها في مجال الساقية الحمراء، ولحماية هذا الحق فإن عصبية القبيلة هو القادر على الدفاع على ممتلكاتها في المنطقة، والصهر على تنوير الرأي العام بإمتدادها التاريخي والثقافي داخل المنطقة، التي أصبحت محطة إهتمام لكل قبائل الصحراء.

تستند القبيلة في إعطاء الشرعية لوجودها، إلى القيام بمجموعة من التظاهرات الثقافية والدينية والإجتماعية بهدف تسويق صورتها في وسائل الإعلام. كمكون قبلي يتمتع بدور مهم في المنطقة، ولا يمكن القيام بأي مبادرة في المنطقة دون الإستشارة معه، وتتجسد قوته في قوة تلاحم وإنسجام أفرادها، تعتمد القبيلة على بنياتها الداخلية وتماسك جميع مكوناتها.

تقوم القبيلة بمبادرات من أجل تجديد الوفاء والإخلاص للقبيلة، عبر الدعوة لإجتماعات لتدارس المستجدات في المنطقة، وتجتمع غي المناسبات كالزواج، حيث يصبح المجال مناسب للإحتفال وبناء علاقات قائمة على الدم، حيث يتم التعارف بين أبناء القبيلة الواحدة،

وهنا يشكل الشيوخ كبار السن صلت الوصل بين كل الفئات، من خلال التوصية بالتضامن والتكافل بين أبناء القبيلة.

تلعب المناسبات الدينية دروا مهماً في تعزيز العصبية القبلية، حيث تستغل القبيلة الزيارات للأضرحة والزوايا من أجل الحفاظ على تماسكها وترابطها، حيث يتفاعل البعد الديني مع البعد القبلي والبعد المجالي، هذا الترابط بين هذه الأبعاد يجعل الفرد داخل القبيلة، يستمد إنتمائه إلى القبيلة بالزاوية من خلال المجال الذي يحتضن الزاوية، فالمكان الذي توجد به الزاوية بمثابة مجال إنتمائه الذي يتمتع بجانب من القدسية لن به الزاوية أو الضريح.

إذا كانت القبيلة تريد أن تثبت للقبائل الأخرى امتدادها الثقافي والمجالي فبدرجة معينة. لأن الهدف من هذه الأنشطة هو التقرب من المخزن، والتودد إليه من خلال مجموعة من المبادرات التي يدعى إليها، وتتميز هذه الأنشطة بكبر حجمها، وهذا يبين للمخزن حجم القبيلة على المستوى البشري والتنظيمي، وقدرتها على جمع جميع عناصرها تحت راية القبيلة.

خاتمة عامة:

تعتبر الثقافة الحسانية من أهم ما يميز مجتمع الساقية الحمراء، وتستمد قوتها من تنوعها وشساعة المجال الذي تنتمي إليه، تحتاح الثقافة إلى وسائل تحميها وتغذيها، وتجعلها تصمد أمام التطورات التي أثرت في العديد من الثقافات، ومع التحديات التي يعرفها القرن الواحد والعشرون، التي أدت إلى أن تذوب ثقافة في أخرى عكس ما نادى به ليفي ستراوس، الذي يدعو إلى حوار بين الثقافات مع إحترام كل منها الأخرى.

يمكن إجمال قوة الثقافة الحسانية في قوة القبيلة، فالبناء الثقافي عند الانسان هو عبارة عن شبكة من الأنساق والبنىات المختلفة والمتباينة والمتجانسة في بعض الأحيان، مما يسمح بتشكيل الأيديولوجية الفكرية والعقدية والروحية للمجتمع، لكن داخل هذه الأنساق الثقافية نلمس تأثير كل نسق على تكوين نمط التفكير لدى الشعوب. وطريقة الاشتغال وتمظهراته المتعددة داخل البناء الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني إلى غير ذلك من الأنساق.

يتسم الشعور بالإنتماء إلى ثقافة معينة، بالتفاوت بين أفراد المجتمع حسب طبيعة الثقافة التي ينتمي إليها، فكلما تميزت هذه الثقافة بالتعددية والاختلاف وقدرتها على استيعاب الثقافات الأخرى، ستجد نفسها تتطور وتتكيف مع العالم الرقمي الذي أصبح قرية واحدة، ونذكر في هذا الصدد الثقافتين الأمازيغية والحسانية حيث نجد تماثلا وتجانسا بين الثقافتين، من خلال مجموعة من القبائل في الساقية الحمراء، كآيت باعمران وهي مجموعة من القبائل، توجد بها قبائل أمازيغية حسانية في الوقت نفسه، يتكلم العديد منهم بالأمازيغية، لكن العادات والتقاليد فيها ما هو أمازيغي وفيها ما هو حساني.

الثقافة الحسانية والأمازيغية تمثل نمط سلوك وعيش مختلف ومتباين، لكن هذا التماهي والتمايز داخل منطقة الساقية الحمراء وكذا بمناطق أخرى من المغرب، نتيجة عمق الثقافتين وتجانسهما في المجتمع في مراحل تاريخية معينة، فمسألة الاحترام الثقافي وارد ولكن يتطلب ظروف وشروط معينة، من أهمها التكافؤ والتوازن بين الثقافتين، فلا يمكن أن يحصل هذا التوازن، إن لم يكن هناك إرث ثقافي في مختلف الميادين وفي مجال جغرافي كبير.

تشكل ثقافة البيضان الهوية الثقافية لمنطقة الساقية الحمراء، حيث تعتبر القبيلة والقبلية أحد البنيات الرئيسة في تشكيلها، تثير ثقافة البيضان مجموعة من ردود الفعل لدى الباحثين في السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، فدراسة الظاهرة القبلية لا يتوقف في البحث الاجتماعي، وذلك لحيويته وأهميته في قضايا كالهوية والانتماء الثقافي والعائدي، وتعارضها مع الحداثة وقيمها، هذا جعل بعض الباحثين لا يعتبرون القبيلة مكونا ثقافيا لا يمكن تجاوزه، فالقبيلة أصبحت تتكيف مع واقع الحداثة والتطور التكنولوجي، في المقابل لا نواكب في أبحاثنا هذا التطور، ولا نحاول تفكيك البنيات والأنساق التي تتحكم فيه.

عرفت الساقية الحمراء تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية، كانت من نتائجها تشكل العديد من الهياكل والنظم الاجتماعية في النسيج المجتمعي، هذا ما جعل القبيلة تنحصر في العديد من الأنساق بالمجتمع، لكنها في المقابل أصبحت تتعايش مع هذه النظم الجديدة وتحاول التحايل عليها، عن طريق العديد من البنى الاجتماعية المساندة لها، وتستمد القبيلة قوتها من عمقها التاريخي التي تشكل نقطة تميزها.

لا يجعلنا الزمان ولا المكان نتحدث عن تأثر القبيلة بالتغيرات الاجتماعية المحيطة بها، فمنطقة الساقية الحمراء كانت تعيش إلى حدود القرن الواحد والعشرين، ظواهر ثقافية مستمدة من القبيلة والعصبية، كالجماعة والفريگ وزواج الأقارب والدية والرعي الترحالي

والغناء والشعر واللغة ولمسيد إلى غير ذلك، وهذه الظواهر منها ما تقلص حجمها ومنها ما زال يتفاعل مع المجتمع ويزرع ايدولوجيته القبلية فيه.

تعتبر الساقية الحمراء نموذجاً لتفاعل الجانب الثقافي مع العصبية القبلية، فالقبيلة هنا تختلف على سبيل المثال بواد نوان، الذي عرف مجموعة من التغيرات التاريخية، باعتباره مركز تجاري تنطلق منه القوافل التجارية إلى باقي إفريقيا، لهذا تعتبر مكان تجمع العديد من الثقافات، عكس الساقية الحمراء التي كانت مكان لمرور هذه القوافل، وعليها احترام مناطق القبائل وفي بعض الأحيان إعطاء المال لتسمح لها بالمرور من مناطق نفوذها.

تتخذ القبيلة مجموعة من الأنماط والأشكال قد تكون رسمية وفي الغالب غير رسمية، حيث ينحصر دور القبيلة في التوجيه وصيانة مكتسبات الموروث الثقافي للقبيلة، فإذا كانت الجماعة اليوم ليست لها السلطة التنفيذية والتفديرية في القبيلة، فإن اجتماعها في أحد المنازل الكبيرة في القبيلة، يشكل مكسبا لها، لأنها تعد من العوامل المؤثرة في حشد أفراد القبيلة وتذكرهم بالهوية والانتماء القبلي لهم.

لا يمكن حصر القبيلة في الموروث الثقافي والاجتماعي لمجتمع الساقية الحمراء، بل يمكنها فرض ايدولوجيتها على الأفراد والمؤسسات الاجتماعية، وتشكل المناسبات إحدى التظاهرات التي تعرض القبيلة فيها قوتها وعمقها في الثقافة الحسانية، من خلال العادات والتقاليد التي تتوزع بين المعتقدات والقيم المادية والرمزية، حيث تعرض القبيلة تراثها الذي يشكل عمق عصبيتها وتضامنها وتماسكها في المنطقة.

تسعى القبيلة من خلال استعراض موروثها الشعبي إلى تأصيل هويتها أمام قبائل المنطقة، وإيصال فكرة مفادها "ثقافة القبيلة هي ثقافة حسانية"، وذلك راجع إلى صراع بين القبائل على الاستفراد بالثقافة الحسانية، التي تشكل قوة القبيلة وضامنا لها، إذ تستمد

شرعيتها من إرثها الثقافي، ولهذا تجدها في مناسبات عديدة تدافع عن كل ما ينتمي إلى الثقافة الحسانية سواء من بعيد أو قريب، فالعلاقة بين الثقافة العصبية القبلية هي علاقة مصلحة، يشعر الواحد بأن اختفاء الآخر هو اختفاء له بالضرورة.

على كل حال؛ تبقى العلاقة بين قبائل الساقية الحمراء مطبوعة بالاحترام المتبادل بفعل تقاسم المجال، "وهذا ما جعل هذه القبائل تعتمد في تدبير أمورها الخاصة على ما أسماه بعض الباحثين بالعصبية المصالحية"³⁸⁵، وتظهر من خلال تبادل الزيارات في المناسبات بين القبائل، حيث تلتزم القبيلة التي زارت قبيلة أخرى في مناسبة ما بتقديم "ترزيفت"، فيصبح واجبا على القبيلة أن تزورها وتقدم لها إما نفس "ترزيفت" أو أكثر منها، وهذا يسمى عند قبائل الساقية الحمراء "كبرت بها القبيلة لفلانية"، يعني أنها أعطتها مكانة كبيرة ومحترمة.

لقد تغيرت مراكز اهتمام القبيلة وكيفت بنيتها على هذا الأساس من خلال مجموعة من الأمور. بل مازالت تعمل على بناء نظام خاص بها، يحترم المنطق الاجتماعي بالمنطقة والمجال المحيط بها، وذلك من خلال جدلية التعارض والتماثل، هذا الصراع بين هذه القيم تجعل مكونات القبيلة تدخل في صراع في ما بينها، من أجل الحفاظ على مصالحها وفرض قيمها.

هذا الصراع بين مكونات القبيلة، في حد ذاته يخدم مصالح القبيلة ويقوي عصبيتها، وهذا ما نتبعنا أثره من خلال مجموعة من التجمعات بين الأفخاذ والعروش داخل القبيلة، حيث لاحظنا الصراع والعنف في بعض الأحيان بين أفراد القبيلة، من أجل تحقيق مصالح فردية أو عشائرية من داخل القبيلة، مما يؤدي لتفككها، ولكن هذا الصراع في حد ذاته

³⁸⁵ أحمد البوزيدي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة تحت عنوان، *درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني، دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية (1894-1934)*، الجزء II، تحت إشراف: لحسن أغزادي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرارز بفاس، الموسم الدراسي: 2003/2004. ص: 470.

مغذي للعصبية القبلية، ويخدم ايدولوجيتها المتمثلة في الصراع بين مكوناتها، يحقق لها التميز داخل المنطقة ويحصن التماسك بين عشائرها المختلفة.

من خلال الميدان؛ وجدت أن الصراع يغذيه الموروث الثقافي للقبيلة، فكلما كان الإرث الثقافي للقبيلة كبيراً كلما اشتد الصراع من داخلها، وهذا ينتج عنه العصبية القبلية، فالموروث الثقافي يشكل المناسبة الوحيدة لاجتماع القبيلة، هذا ما يجعلها في تواصل دائم مع مختلف أفرادها سواء بالداخل أو الخارج، هنا تتم التعبئة على مستوى البنيات الداخلية والأنساق المختلفة للقبيلة وتجديد الولاء والانتماء لها.

نسجل أيضاً؛ أن الصراع الخارجي يشتد من أجل النفوذ الترابي بالمنطقة، والدفاع عن النفوذ يشكل شكلاً من أشكال الدفاع عن القبيلة، ويحقق التضامن والتماسك بين أفرادها، فالقبيلة تتوحد من أجل زيارة أحد الأولياء والتواجد بمنطقة معينة من الساقية الحمراء، وهذا يصبغ الشرعية على الامتداد المجالي للقبيلة، وهناك معطى آخر هو الأهمية التي أعطتها الدولة للمنطقة إما على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي.

تتوخى القبيلة من كل هذا؛ المحافظة على وجودها ليس أمام القبائل الأخرى، بل أمام المخزن الذي تعتبره الفاعل الأقوى بالمنطقة، إذ تحاول دائماً أن لا تدخل معه في صراع قد يكلفها نفوذها ومكتسباتها بالساقية الحمراء، وهي دائماً تتوحد إليه بمختلف الأشكال والألوان، من خلال استدعائه في كل المناسبات التي تقيمها القبيلة، وتعتبر حضوره نقطة قوة لها في المنطقة وأمام القبائل الأخرى، وحضوره يشكل تأكيداً رسمياً على الاهتمام الذي تتلقاه القبيلة من المخزن في المبادرات والاستراتيجيات التي يريد إطلاقها.

العلاقة بين المخزن والقبيلة هي علاقة يشوبها نوع من الحذر، حيث القبيلة عبر مكوناتها القريبة من المخزن تحاول استمالته إليها، وفي المقابل فإن المخزن يحاول تجريد

القبيلة من سلطتها على الأفراد والمنطقة، إن استراتيجية المخزن تتأسس على حفظ الأمن، مما تحقيق التعايش بين الدولة والقبيلة؛ مما يجعل استهداف النظم المكونة للقبيلة أمراً سهلاً.

يبقى الجانب الديني حاضراً بشكل واضح، على مستوى العلاقات الداخلية والخارجية للقبيلة، فالعلاقات القرابية بين أفرادها يطبعها الجانب الديني وهذا سر قوتها، ويمتد ذلك إلى الأعراف والتقاليد السائدة بالمجتمع، فمنطق احترام الصغير للكبير لا تتوقف عند هذا الحد في الثقافة الحسانية، بل يلتزم الصغير بتنفيذ تعليمات الكبير، ففي المنطق القبلي يفرض على الأفراد الالتزام بقيم القبيلة بغض النظر عن مستواهم الثقافي والاجتماعي.

في المقابل؛ يحترم المخزن الامتداد الديني للقبيلة، ويعتبر المحافظة عليه واجبا أخلاقيا وثقافيا، لكن هناك من يعتبر منطق الموروث الديني في الساقية الحمراء هو منطق الشرعية الترابية، وهو بمثابة علامة واضحة على علاقة القبيلة بالتراب، وهذا يشكل نوعاً من الملكية لهذه الأرض ويلزم أفراد القبيلة التضامن من أجل الحفاظ عليها.

شعبة علم الاجتماع
وحدة التكوين والبحث في الدكتوراه
مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية



جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهرار - فاس

نموذج المقابلة

بحث لنيل شهادة الدكتوراه تحت عنوان "الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمجتمع الصحراء بمنطقة الساقية الحمراء"، من إنجاز الطالب الباحث: حمادي شربار.

اسم المشارك:

المستوى التعليمي:

السن:

القبيلة:

المهنة:

الانتماء إلى مجال الساقية الحمراء:

✓ هل ولدت في الساقية الحمراء؟

✓ إذا كان الجواب "بلا" فأين ولدت؟

- ✓ متى أتيت إلى الساقية الحمراء؟
- ✓ هل أتيت فرداً أم مع جماعة؟
- ✓ ماهي صلت القرابة مع هذه الجماعة؟
- ✓ هل تعيش في البادية أو المدينة؟
- ✓ الأسباب التي جعلتك تنتقل للعيش في هذه المنطقة؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم" فهل كان أهلك يعيشون هنا؟
- ✓ إذا كان "بلا" فمتى جاء أهلك هنا؟
- ✓ ما أسباب العيش هنا؟
- ✓ هل يمكنك الانتقال للعيش في منطقة أخرى؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم" فلماذا؟
- ✓ إذا كان الجواب "بلا" فما هي أسباب اختيارك الساقية الحمراء؟

الانتماء القبلي:

- ✓ هل تعتبر قبيلتك من أهل منطقة الساقية الحمراء؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم" فهل عندها مجال خاص بها في الساقية الحمراء؟
- ✓ في أي حيز ترابي تسكن قبيلتك؟
- ✓ هذا المجال هو خاص بالقبيلة أم هناك قبيلة أخرى تستغله؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم" فما هي طبيعة العلاقة بينكما؟
- ✓ هل أغلب أفراد قبيلتك بدو أم يشتغلون في مجالات أخرى؟

- ✓ إذا كان أغلبهم بدو، فلماذا يفضلون العمل في الرعي بدل المجالات الأخرى؟
- ✓ إذا كانت مجالات أخرى اذكروها وأسباب اختيارهم لها؟
- ✓ هل تفضل أن تسكن قرب أفراد من قبيلتك؟ إذا كان الجواب "بنعم" فلماذا؟ وإذا كان الجواب "بلا" فلماذا؟
- ✓ هل يحضر أفراد قبيلتك مناسبات الزواج أو العقيقة؟
- ✓ هل تكون ملزماً بإحضار "ترزيفة" أي هدية في هذه المناسبات؟
- ✓ وهل تختلف هذه الهدية من مناسبة لأخرى أو حسب قرابة الفرد للآخر؟ ولماذا؟
- ✓ خلال المأدبة هل يستحوذ موضوع أمور القبيلة على أغلب النقاش، أم هناك مواضيع أخرى، وماهي؟
- ✓ في حالة زواج فرد ما خارج القبيلة ما هو رد فعل أفراد القبيلة؟
- ✓ هل الزواج من داخل القبيلة يوحد القبيلة؟
- ✓ في حالة زواج ابن من قبيلة أخرى ما هو رد فعل عائلة الابن؟
- ✓ في حالة زواج الابنة من خارج القبيلة ما هو رد فعل العائلة؟
- ✓ هل تفضل السكن قرب أفراد قبيلتك أو قرب أفراد قبيلة أخرى؟
- ✓ إذا كنت تفضل السكن قرب أفراد قبيلتك لماذا؟
- ✓ إذا كنت تفضل السكن قرب قبائل أخرى لماذا؟
- ✓ هل تفضل الرعي في المجالات الأخرى؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم" لماذا؟
- ✓ إذا اخترت أحد المجالات الأخرى فلماذا؟
- ✓ ماهي العلاقة التي تجمعك مع بني عمومك؟

- ✓ ماهي أغلب الخلافات التي تقع فيما بينكم؟
- ✓ هل هناك صراع بين قبيلتك وقبيلة أخرى؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم" فما هي هذه القبيلة ولماذا؟
- ✓ في نقاشكم داخل القبيلة هل تحدثون عن أمجاد القبيلة؟ اذكرها؟
- ✓ في مناسبات أخرى هل القبيلة تحتفي بضيوفها من القبائل الأخرى؟
- ✓ ما الذي تحاول أن تظهره القبيلة للقبائل الأخرى؟
- ✓ هل يمكنك العيش في مجتمع دون قبيلة؟

الجماعة في القبيلة:

- ✓ هل توجد في قبيلتك جماعة؟
- ✓ إذا كان الجواب "بلا" ماهي الأسباب في عدم وجود جماعة للقبيلة؟
- ✓ وإذا كان الجواب "بنعم" مما تتألف الجماعة؟
- ✓ ماهي الوظائف التي تعنى بها الجماعة؟
- ✓ في حالة وقوع مشاكل بين أفراد القبيلة ماذا تفعل الجماعة؟
- ✓ هل هناك قائد للجماعة؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم" ماهي اختصاصاته؟
- ✓ وهل هناك معايير لاختياره؟
- ✓ في حالة وقوع مشاكل بين أفراد القبيلة وقبيلة أخرى ماذا تفعل الجماعة؟

الجماعة؟

- ✓ هل لدى القبيلة "صندوق"³⁸⁶ خاص بها؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم" ماهي الأهداف المتوخاة منه؟

³⁸⁶ عبارة عن مبلغ مالي يساهم به افراد القبيلة لتسيير شؤونها.

- ✓ تحدث عن كيفية المساهمة فيه؟
- ✓ في حالة عدم مساهمة أحد من أفراد القبيلة، هل تتدخل القبيلة في حل مشاكله؟
- ✓ هل مساهمة "الصندوق" في حل المشاكل تختلف من مشكل لآخر؟
- ✓ هل "الصندوق" يساهم في خلق موارد دخل للأفراد القبيلة؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم" كيف ذلك؟
- ✓ هل هناك موعد لمناقشة تمويلات "الصندوق" ومساهمات أفراد القبيلة؟

المواسم الخاصة بالقبيلة:

- ✓ هل تحتفل القبيلة بموسم أو ولي أو زاوية أو ضريح أو معلمة تاريخية خاصة بها؟
- ✓ إذا كان الجواب "بنعم"، ما اسمه؟
- ✓ ماهي مميزات هذا الولي وصفاته؟
- ✓ هل يعتبر قدوة لأفراد القبيلة؟
- ✓ كم من مرة في السنة؟ ولكم من الأيام يمتد الموسم؟ وفي أي مكان من

الساقية الحمراء؟

- ✓ هل هناك تاريخ محدد لهذه المناسبة؟
- ✓ لماذا تم اختيار هذه الأيام بالضبط؟
- ✓ كيف يتم جمع المال لهذه المناسبة؟
- ✓ كيف يتم اختيار المجموعة المكلفة بتسيير هذه المناسبة؟
- ✓ هل يتم إخبار أفراد القبيلة وتعبئتهم قبل المواسم؟

- ✓ كيف تتم التعبئة؟
- ✓ ماهو دور الشباب في هذه التعبئة؟
- ✓ هل تتم دعوة القبائل الأخرى؟
- ✓ وهل الدعوة تكون لجميع قبائل الصحراء أم لقبائل بعينها؟ ولماذا؟
- ✓ ماهي المهمات التي تتكلف بها النساء والرجال والأطفال في الموسم؟
- ✓ هل هناك تقليد خاص بالقبيلة يتم إظهاره في الموسم؟
- ✓ هل يتم استحضار أمجاد القبيلة في هذا الموسم؟
- ✓ كيف يتم استقبال قبائل الصحراء في الموسم؟
- ✓ كيف يتم استقبال "النحائر"³⁸⁷؟
- ✓ هل هناك قبائل دائمة الحضور لهذا الموسم؟ لماذا؟
- ✓ هل هناك قبائل زارت الموسم لمرة واحدة أو مرتين وبعدها لم تعد تحضر له؟ لماذا؟

³⁸⁷"هدية" عبارة عن رأس من الابل او رؤوس من الابل

شعبة علم الاجتماع
وحدة التكوين والبحث في الدكتوراه
مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية



جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
ظهر المهرارز - فاس

نموذج المقابلة البورية

بحث لنيل شهادة الدكتوراه تحت عنوان "الثقافة وأثرها على العصبية القبلية بمجتمع الصحراء بمنطقة الساقية الحمراء"، من إنجاز الطالب الباحث: حمادي شربار.

- ✓ ما هي القبائل التي استوطنت الساقية الحمراء؟
- ✓ هل مازال هناك دور للقبيلة في هذه المرحلة؟
- ✓ هل مازال هناك دور للجماعة؟
- ✓ ما العلاقة التي تجمع بين القبائل؟
- ✓ كيف تنظرون إلى الاحتفالات التي تقوم بها القبائل لمواسمها أو إحياء ذكرى أوليائها؟

ببليوغرافيا الأطروحة

الكتب بالعربية:

١

- (1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية، طبعة 2009.
- (2) ابراهيم الحسين، ثقافة الصحراء: الحياة وطقوس العبور عند مجتمع البيضان، دار ابي رقرق، بدعم من وكالة الجنوب للإنعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بالأقاليم الجنوبية ، 2011 الرباط.
- (3) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر. بيروت. الطبعة: 6.
- (4) ابو الحسن اليوسي، الرسالة الكبرى، ورد في: رسائل ابي حسن بن مسعود اليوسي، جمع وتحقيق، فاطمة خليل القبلي، جزان، دار الثقافة. البيضاء 1981.
- (5) رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت للشيخ يوسف بن عابد بن محمد الحسني الفاسي المغربي، حقق نصها وقدم لها علق عليها: إبراهيم السامرائي وعبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1993.
- (6) احسان محمد الحسن، الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي. مطبعة الطليعة، الطبعة الثالثة.
- (7) أحمد الأمين شنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، تقديم فؤاد سيد، الطبعة 2، مكتبة الرشاد بفاس، مكتبة السلام بالدار البيضاء و مؤسسة الخانجي بالقاهرة.
- (8) احمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي (مطلع القرن 17 مطلع القرن 20) دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، الطبعة 1994، أفاق متوسطة.
- (9) احمد شرك، سوسيولوجية التراكم الثقافي، منشورات: المركز الوطني للإبداع المسرحي والسينمائي، طبعة ماي 2004.

(10) أحمد عيدون، أزوان الموسيقى الحسانية رحلة في عمق المغرب الصحراوي، سلسلة تاريخ ومجتمعات المغرب الصحراوي، دار النشر: DTG Socoété Nouvelle وكالة الجنوب.

(11) أناس بن الشيخ، طقس الزواج ومكانة المرأة في المجتمع البيضاني، مجلة: انتروبولوجيا، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد الثالث مارس 2016 الجزائر.

(12) أحمد القصير، منهجية علم الاجتماع بين الماركسية والوظيفي والبنوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة 2012.

(13) أحمد العثماني، ألواح جزولة و التشريع الاسلامي، الرباط، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، طبعة 2004.

(14) امحمد مهدان "السوسيولوجيا القروية بالمغرب مقاربات وقضايا" كلية الآداب و العلوم الإنسانية ابن زهر اكادير، مطبعة بدر سوس خدمات، اكادير، الطبعة الأولى 2015.

(15) امحمد مهدان، السوسيولوجيا القروية بالمغرب مقاربات وقضايا، منشورات: كلية الآداب والعلوم الإنسانية اكادير. مطبعة: بدر سوس خدمات اكادير، طبعة 2015.

(16) إميل دوركايم، في تقسيم العمل الإجتماعي، ترجمة: حافظ الجمالي، مجموعة الروائع الإنسانية، الأنيسكو (السلسلة العربية)، الطبعة الثانية، 1986

ب

(17) بشر حيدار، تاريخ الصحراء الغربية وقبائلها العربية، طبعة 2016.

(18) بن محمد محمّد، المجتمع البيضاني في القرن 19 (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)، منشورات معهد الدراسات الافريقية، سلسلة بحوث ودراسات (8)، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 2001.

(19) بيير بونت، إمارة أدرار الموريتانية: الحريم التنافس الحماية في المجتمع قبلي صحراوي، ترجمة: بوعليية بن الغراب، دار النشر حصور، الطبعة 2012/2، نواكشوط.

(20) بيير بونت، روايات أصول المجتمعات البيضانية مساهمة في دراسة ماضي غرب الصحراء، ترجمة وتحقيق: محمد بن بوعلييه بن الغراب، دار النشر: جسور، انواكشوط 2015.

ج

(21) جورج بلاندييه، الانتريولوجيا السياسية، منشورات مركز الإنماء القومي، الطبعة الأولى، بيروت 1986، ترجمة: جورج أبي صالح.

ح

(22) الحسن الوازاني، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي و محمد الأخطر، 1983، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(23) حسن حافظي علوي، دراسات صحراوية الماء والابل والتجارة، تصدير: محمد الناصري، الطبعة الأولى 2014، دار أبي رقرق.

(24) حسين عبد الحميد رشوان، المدينة- دراسة في علم الاجتماع الحضري، المكتب الجامعي الحديث، مصر، الطبعة 5، 1989.

(25) حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر. بحث استطلاعي، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، الطبعة العاشرة، أبريل 2008.

(26) حماء أحمد ولد سالم، تاريخ بلاد شنقيطيموريتانيا، من العصور القديمة الى حرب شربيه الكبرى، دار الكتاب العلمية، بيروت 2010.

(27) حماء الله ولد سالم، تاريخ موريتانيا (العناصر الأساسية)، مطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2007.

(28) حمد الامين الشنقيطي المالكي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الاولى 1331هـ.

(29) حمداتي شبيها ماء الغنين، القبائل الصحراء المغربية أصولها جهادها - ثقافتنا، الطبعة الملكية، 1998/1419، الرباط.

خ

(30) خوليو كاروباروخا، النظام الاجتماعي التقليدي، ترجمة: خديجة الراحي، ضمن الصحراء الاطلنتية، تنسيق رجال بوبريك، وكالة الجنوب وجامعة ابن زهر، الطبعة 1، 2007.

د

- (31) ديسكون، عرب الصحراء، المطبعة العلمية، دمشق، الطبعة الثانية 1998.
- (32) ديفيد انغليز - جون هيوستون، مدخل الى سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة: لما النصير منشورات: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى مارس 2013.

ر

- (33) رأفت حسن عاد الوهاب، منى عايش حسين السلامين، بيولوجية البيئة الصحراوية، دار النشر: ذات السلاسل، الكويت 2015.
- (34) رجال بوبريك، دراسات صحراوية المجتمع والسلطة والدين. الطبعة الأولى، 2005، دار أبي رقرق.
- (35) رجال بوبريك، زمن القبيلة: السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي. الطبعة الأولى، دار أبي رقرق، الرباط، 2005.
- (36) رحمة بورقية، الدولة والسلطة والمجتمع - دراسة في الثابت والمتحول، في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، فبراير 1991.
- (37) روبيرتس (تيمونيز) - هاييتي (أيمي)، من الحداثة إلى العولمة: رؤى ووجهات نظر في قضية التطور والتغير الاجتماعي، الجزء الأول. ترجمة: سمير الشيكلي، منشورات عالم المعرفة، الطبعة الأولى، 2004.

ز

- (38) زكرياء بن محمد القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق: فاروق سعدان، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1973.

س

- (39) سامي ذبيان وآخرون، قاموس المصطلحات السياسية الاقتصادية والاجتماعية، الطبعة الأولى رياض الريس للكتب والنشر، (القبيلة) لندن 1990.
- (40) السوسي محمد المختار، المعسول، الأجزاء: 4، 19، 24، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960.

ش

- (41) الشيخ سيد محمد الخليفة بن الشيخ سيد المختار الكنتي الوافي وعبد الله بن سيد محمود الحاجي، الرسالة الغلاوية رسالة في نسب ادلاج الشرفين، تحقيق: حماد الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الافريقية، 2003.

- (42) الشيخ موسى كمرا، تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى تحقيق: الدكتور حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية بيروت، 2009.

ص

- (43) صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي- التأيل النظري ج1، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى 2005.
- (44) صلاح مصطفى فوال، علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية علاقات ومجالات وميادين، عالم الكتب، القاهرة 1982.

ط

- (45) الطاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية سنة 1986.
- (46) الطالب بوياء لعتيك ماء العينين، شذرات من الأدب الحساني، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، الرباط، 1999.

ع

- (47) عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق امن الطريق في المغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقال للنشر، الرباط، 2009.
- (48) عبد الحكيم بوغدا، ظاهرة "التبراع" في الشعر النسائي الحساني دراسة في النسق السوسيوي-ثقافي والجمالي، منشورات: المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرار. مطبعة انفو-برانت، فاس، 2017.
- (49) عاطف عطية، المجتمع الدين والتقاليد، بحث في أشكالية العالقة بين الثقافة والدين والسياسية، جروس بريس، طرابلس لبنان 1993.
- (50) عباس الجراري، ثقافة الصحراء، مطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987.
- (51) عبد الحميد المحادين، جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، بيروت، 2001.
- (52) عبد الحميد فائز، الحرب في المجتمعات الرعوية، إليات إنتاج العنف في المجتمع البيضاني قبل الاستعمار، مركز الدراسات الصحراوية، أبي رقرق، 2015.

- (53) عبد الحميد محمود سعد، دراسات في علم الاجتماع الثقافي، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة 1988.
- (54) عبد الرحيم العطري، الرحامنة القبيلة بين المخزن والزواوية، منشورات دفاتر العلوم الإنسانية، الطبعة الرابعة الرباط 2013.
- (55) عبد الغني عامد، سوسيولوجية الثقافة، المفاهيم والإشكاليات، من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 2006.
- (56) عبد الغني منديب، الدين والمجتمع، دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2006.
- (57) عبد الله العروي، مجلد تاريخ المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1984.
- (58) عبد الله حمودي، الشيخ والمريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة يليه مقالة في النقد والتأويل، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الطبعة الرابعة 2010.
- (59) عبد الحميد محمود سعد، دراسات في علم الاجتماع الثقافي، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة 1988.
- (60) عبودة عبد الله العسكري، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، سلسلة منهجية البحث العلمي 1، دار النمر، طبعة 2004، دمشق.
- (61) علي المحمدي، السلطة والمجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الطبعة الأولى 2014.
- (62) عمر بن مضفر بن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، دار العلم للجميع، القاهرة، الطبعة 2، 1939.

ف

- (63) فاديا أبو الخليل، الثقافة والتنشئة الاجتماعية وأثرهما في تكوين شخصية الفرد، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، 2015.
- (64) فانسان مونتاي، تقييدات حول أفني وايت باعمران، ترجمة: هيبتن الحيرش، مركز الدراسات والأبحاث "مشاريع" الطبعة الأولى 2014.
- (65) فانسان مونتاي، تقييدات حول تكنة، ترجمة: هيبتن الحيرش، منشورات مركز الدراسات والأبحاث "مشاريع"، المطبعة الوطنية، 2013.

- (66) **فريدريك بارث - أندريه غينغريتش - روبرت باركن - سيدل سيلفرمان**، الانثروبولوجيا حقل علمي واحد وأربع مدارس، ترجمة: أبو أحمد باقادر - إيمان الوكيائي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017 بيروت.
- (67) **فهد بن غرام الله بن الحسن**، حقوق الإنسان التربوية والتعليمية والثقافية في المواثيق الدولية. معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة 1431 هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- (68) **فوزية دياب**، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1984.

ك

- (69) **كاروبروخا خوليو**، دراسات صحروية، ترجمة: أحمد صابر، تقديم: رجال بوبريك، مركز الدراسات الصحراوية، طبعة 2015.
- (70) **كلود ليفي شتراوس**، العرق والتاريخ، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق 2008.
- (71) **كليفورد غيرتز**، تأويل الثقافات مقالات مختارة، ترجمة: د. محمد بدوي، مراجعة: الأب بولس وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الطبعة الأولى 2009، بيروت.

م

- (72) **ماء العينين الطالب بوياء لعتيك**، شذرات من الأدب الحساني، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، الرباط 1999.
- (73) **ماجد زكي الجلال**، تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة، الأردن، الطبعة الأولى 2005.
- (74) **محمد الظريف**، الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 2003.
- (75) **محمد أحمد باهي**، الليث سيد أحمد الرقابي، مطبعة: البوكيلي، القنيطرة، الطبعة الأولى 1998.
- (76) **محمد المختار ولد أباه**، الشعر والشعراء في موريتانيا، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الثانية 2003.

- (77) محمد الطوزي، «القبيلة»: واقع متعدد الأبعاد، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 15، المجلد الرابع شتاء 2016
- (78) محمد المباركي، بعض المعطيات حول الدولة والمجتمع خلال المغرب القديم، ضمن كتاب، جدلية الدولة والمجتمع بالمغرب، مشترك. دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1992.
- (79) محمد بن عبد السلام بن عبد الله، المزايا فيما أحدث من البدع بأمر الزوايا - الزاوية الناصرية - ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2003.
- (80) محمد بوزنكاط، التأريخ وقضايا الكتابة التاريخية بالصحراء الأطلنتية، مركز الدراسات والأبحاث "مشاريع"، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش 2012.
- (81) محمد جاح، الزاوية بين القبيلة والدولة في التاريخ الاجتماعي والسياسي للزاوية الخمليشية بالريف، الجزء الثاني، الطبعة الأولى 2015.
- (82) محمد حجي، الزاوية الولائية ودورها العلمي والديني والسياسي، مطبعة: النجاح الجديدة، الطبعة الثانية 1988.
- (83) محمد شرقي "التحولات الاجتماعية بالمغرب من التضامن القبلي إلى الفردانية" الطبعة 2009، أفريقيا الشرق.
- (84) محمد دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقة الساقية الحمراء وأود الذهب، مطبعة كوثر، الرباط 2006.
- (85) محمد دحمان، دينامية القبيلة الصحراوية في المغرب بين الترحال والاقامة، دراسة سوسيوأنثروبولوجية حول أولاد بالسباع، طوب بريس، 2012 الرباط.
- (86) محمد دحمان، سيدي ايفني الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الإسبانية (1934-1950)، طبعة 2015، مطابع الرباط نت.
- (87) محمد رمضان، الجميل، معلمة المغرب، مطابع سلا، 1998.
- (88) محمد سالم بن لحبيب بن الحسن بن عبد الحي، جوامع المهمات في اصول الركيات، تحقيق تقديم: مصطفى ناعمي، إشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط، طبعة 1992.
- (89) محمد شرايمي، المدن الصحراوية النشأة والتطور، طوب بريس، الرباط، 2015.
- (90) محمد ضريف، مؤسسة الزوايا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، الطبعة الأولى 1992.

- (91) محمد ضريف، مؤسسة السلطان الشريف في المغرب، محاولة في التركيب، 1988، افريقيا.
- (92) محمد الظريف، جوانب من ثقافة الصحراء، منشورات مؤسسة الشيخ مرييه ربه لإحياء التراث والتنمية، الطبعة الاولى 2016، دار ابي رقرق.
- (93) محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة/ معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة السادسة 1994، بيروت.
- (94) محمد عزت حجازي وآخرون، نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع والمشكلات الاجتماعية الراهنة، سلسلة كتب المستقبل العربي 7، الطبعة 2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- (95) محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز الدراسات الوحدة العربية، 2002 بيروت.
- (96) محمود الداودي، المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الأولى 2010.
- (97) المختار الهراس، القبيلة والسلطة تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب. المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، مطبعة الرسالة.
- (98) مصطفى ناعمي، الصحراء من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية، منشوات عكاض، 1998.
- (99) مصطفى سليم شاكر، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1981.
- (100) معلمة المغرب، العدد 26، الملحق الجزء: 3.
- (101) معلمة المغرب، العدد 27، الملحق الجزء: 4.
- (102) مهدى محمد القصاص، علم الاجتماع العائلي، عامر للطباعة والنشر، المنصورة، 2008.
- (103) ميرال الطحاوي، محرمات قبلية (المقدس و تخيلاته في المجتمع الرعوي روائيا)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى 2008.
- ن
- (104) نجوى عبد الحميد سعد الله، الأسرة والقراية، مطبعة دار النور، القاهرة. 2007.

(105) نور الدين الزاهي، الزاوية والحزب الإسلام والسياسة في المجتمع المغربي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2011.

(106) نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، مطبعة: أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2011.

هـ

(107) الهادي الهروي، القبيلة، الإقطاع والمخزن مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2005.

(108) هنري بيير بيران، مقامي بأسا. محكي حي، ترجمة: هيبنت الحيرش، مراجعة: حمادي هباد، مركز الدراسات والأبحاث مشاريع، مطبعة: المطبعة والوراقة الوطنية، 2017 مراكش.

و

(109) ولد السعد، حماد الله، تاريخ موريتانيا، 2007، منشورات الزمن.

(110) يحي بن البراء، الفقه والمجتمع والسلطة، منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، انواكشوط، 1994.

البحوث والأطاريح:

(1) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة تحت عنوان، درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني، دراسة في الحياة السباسبية والاجتماعية (1894-1934)، الجزء II، من إعداد الطالب: أحمد البوزيدي، تحت إشراف: لحسن أغزادي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز بفس، الموسم الدراسي: 2003/2004.

(2) أطروحة جامعية لنيل الدكتوراه الوطنية تحت عنوان "دور تحالفات أيت أوسي في ضبط المجال ما بين القرن 19 والقرن 20" من إنجاز الحافظ بنمان، في القانون العام، تخصص: علم السياسة، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، عين الشق الدار البيضاء، من إنجاز الحافظ بنمان، تحت إشراف الدكتور محمد الطوزي. موسم: 2013/2013.

(3) رسالة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، تحت عنوان: المقدس والقبيلة الممارسة الاحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري - زيارة الرقاني نموذجاً - من إنجاز الباحث: ثياقة الصديق، تحت إشراف الدكتور حجيح الجنيد. كلية العلوم إجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، موسم: 2013/2014.

(4) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في علم الاجتماع تحت عنوان: نظام القرابة ونسق الثقافة بالصحراء قبيلة أيتوسي - نموذجاً-، من إعداد الطالب: عياد بلا، تحت إشراف الأستاذ: أحمد شراك، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، السنة الجامعية: 2017/2016.

(5) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع في موضوع: دينامية التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الصحراوي من البداوة إلى التمدن دراسة سوسيولوجية لمنطقة الساقية الحمراء، من إعداد الطالب: محمد الترسمالي، تحت إشراف: لحبيب لمعمري، الموسم الدراسي: 2016/2015.

6) **Abdel Wedoud Ould Cheikh**، «Nomadisme، Islam et pouvoir politique dans la société maure précoloniale (XI-XIXe siècles)»، thèse de doctorat de sociologie، Université de Paris V، 1985.

المعاجم والقواميس:

(1) المنجد في اللغة المعاصرة، دار المشرق، بيروت، الطبعة 2، 2001.

المراجع باللغات الأجنبية:

(2) الكتب باللغة الفرنسية:

3) **Anonyme**، «Le voyageurs Français ou la connaissance de l'ancien et du nouveau monde». Mis au jour par M. L'abbé Delaporte، Tome XIV، Paris 1765.

4) **Bennani Jalil** « La Psychanalyse au pays des Saints، les début de la psychanalyse au Maroc » le Fennec، Casablanca 1996.

5) **Michaux-Bellaire** « Quelque tribus de montagne de la région du Habt » A.M.، Vol. 17، 1911.

6) **J. Berque** «Cent Vingt-cinq ans de la sociologie au Nord African» Annales. Economies، sociétés، civilisations.

7) **J. Berque** «lesseksawa, recherches sur les structure sociales du Haut Atlas occidental», Paris, 1954

8) **BOUBRIK Rahel** «ENTRE DIEU ET LA TRIBU Homme de religion et pouvoir politique en Mauritanie » Centre des Etudes Sahariennes et faculté des Lettres et des sciences Humaines– Rabat. Bouregreg, 2011.

9) **Pierre Bonte**«LA SAQIYA AL HAMRA Berceau de la culture ouest-saharienne » Préface : Hassan Alaoui, Mohammed An-Naciri. Publié : AGENCE DE SUD, 2012.

10) **Pierre Bonte** «figures historiques de sainteté dans la société maure», annuaire de l’afrique du nord, 1994.

11) **Bonte. Piierre** (et al.). La quête des origines : anthropologie historique de la société tribale arabe. Paris : Ed. de la Maison des sciences de l’homme. 1991.

12) **Bonte Pierre**«Classe et parenté dans Sociétés segmentaires», Dialectique, N° 21, 1977.

13) **Edmond doutté** , La Khotba burlesque de la textes publiés en l’honneur du XIV Congrès des Orientalistes, Alger, Fontana, 1905.

14) **Caratini ,S.**«Des Modèles aux pratique : ambivalence de la filiation de l’ alliance chez les Regybat de l’ouest-saharien», IN : L’Homme , 1995, tome, 35 n° 133.

15) **Le Capitaine De Furst**«Etude Sur la Tribu des Ait Oussa , Assa le 5 Aout 1939 » centre d’étude et de recherches “ Entreprendre “, Réalisé : hammadi habad, Etablir : Haibatna Elhairech, 2011.

16) **F.DE LA CHAPLLE**, LES TEKNA DU SUD DU MAROCAIN, Prés : Rahal Boubrik, Faculté de lettre, Centre des etudes sahariennes, 2011

17) **F. de la chappelle**, Les Tekna du sud marocain ,Bulletin de comité de l' Afrique Francaise et du comité du Maroc 1934.

18) **Encyclopedia Universalis**. (TRIBU) Morgan systems of consanguinity and affinity of the humain Family 1871. Vol. 6

19) **Laroui A.**Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain : 1830–1912, Centre Culturel Arabe, Casablanca, 1993.

20) **De BEAUVAIS. M , V** , « Genèse de la hiérarchie social et du pouvoir politique bidan » In ; Cahiers d'études africaines. Vol. 37 N° 147, 1997.

21) **Jean– Pierre Charre** les Reguibat l' Goucem. Système Juridique et Social Revue de géographie alpine. Année 1966 . Volume 54. Numéro 2.

22) **Leriche Albert**, Notes sur les classes Sociales et sur quelque tribus de Mauritanie, Bull. Sc, XVII, 1955.

23) **E. Durkheim**, Division du travail social, P.U.F 1967.

24) **Francis de chassey**, « L'étrier, la Houe et le Liivre , sociétés traditionnelles au Sahara et au Sahel occidental »Editions L'Harmattan, 3 Mai 2000.

25) **GODELIER. M.**,Le concept de tribu: crise d'un concept ou crise des fondements empiriques de l' anthropologie, in : Maurice GODELIER, Horizon, trajets marxistes en anthropologie, Paris, 1977.

26) **FAOUZI. M. HOURORO** « SOCIOLOGIE POLITIQUE COLONIALE AI MAROC »P : 73. cas de Michaux Belllaire ; AFRIQUE ORIENT. Dépôt légal n° 775/88.

27) **RAHAL BOUBRIK** De La Tante à la Ville La société sahraouie et la fin nomadisme, Centre des études saharienne, Université Mohammed V, la Croisée des chemins 2017, Casablanca.

- 28) ABDEL WEDOUD OULD CHEIKH « Tribu et Etat Afrique » Centre des Etudes Sahariennes ,2014 .
- 29) **Makilam** « Signes et rituel magique des femmes kabyles. Aix – en – Provence » Edisud , 1999.
- 30) **Marty Paul**« Etudes sur sur L’Islam Maure, Cheikhsidia– Les fadelia– les Ida Ou Ali » , Collection de la Revue du Monde Musulman ,1916.
- 31) **Mustapha Naimi** « L’Ouest Saharien La perception de l’espace dans la pensée politique tribale».KARTHALA, 2013, Paris.
- 32) **MARTY, P.** « Etudes sur l’ Islam et les tribus maures : les Brakna » Ernest Lerroux, Paris, 1921,
- 33) **Michaux Bellaire**,Les confréries religieuses Au Maroc, Archives Marocaines,Vol V XXVII, Librairie Ancienne Honoré, Paris 1927.
- 34) **Henri Iefévre**. Problèmes historico–sociologique de la communauté paysanne. Cahiers internationaux de sociologie , N° 6 , 1949 .
- 35) **A .Hammoudi**,« sainte, pouvoir et société : Tamgrout au XVII – XVII Siècle » ,Annales , mai/aout n° 3/2 .
- 36) **Hegal** , Leçons sur la philosophie de religion, Tome 1, op. cit.
- 37) **E. Gellner**. –Saint of Atlas .LONDRES, Weindenfeld and Nicolloson, 1969.
- 38) R. JAMOUS, Honneur et Braka : Les structure sociales traditionnelles dans le Rif. Ed. de la maison des sciences de l’homme, Paris, 1981 .

39) **Jean célerier**.Communication à la sociologie du haut– Atlas d’après Jacques Berque. Communication. In. Hesperis . Tome XLIII, 1956, 1er et 2ème Trimestre .

40) **Karim Selouone** « Paysage et environnement géologique du sahara atlantique pré-requis de développement durable ». karthala ,2015.

41) **Pascon paul** ,les ruines d’Agoutir de Khnifis province de Tarfaya(Santa Cruz de Mar Pequéna). Institu de sociologie de Rabat, 1963.

42) **John waterbury**,« 3 LE Commandeur des Croyants, la monarchie marocain et son élite ». Puf. Paris.

(2) الكتب باللغة الإنجليزية:

- 1 **Andresk. S. L.** « Method and Substantive theory in Max Weber» in British Journal of Sociology XV. 1.1964.
- 2 **Festinger .L ,and Katz. D.** Research Methods in the Behavinoual Sciences. Staples Press, London , 1954.
- 3 **Cohon. Paul J.** Set Theory and Continuum Hypothesis, New York.1966.
- 4 Morgan systemisconsangnity and effirmity of the humionFamillyWaishinton 1971, La sociétéarchaïns. Trad. Francaise. Paris. Anthops. 1972.
- 5 **Block, A.** « The peasant and the Brigant : social banditry reconsidered», Comparative studies in society and History, vol. sep 1972.

- 6 **Robin Fox**, Kinship and Marriage, An Anthropological, Perspective, Printed in Great Britain by C.Vicholls Et Company, 1974, Introduction.

3 الكتب باللغة الإسبانية:

- 1 **Andres coll**, «villa cianeros » ,libreria general de victrotiano suarez, Madrid 1993.
- 2 **Julio Caro Baroja**,Estudios saharianos ,(Madrid: Consejo Superior de Investigaciones Cientificas, Instituto de Estudios Africanos, 1955.
- 3 **Clemente Mulero Manuel**. Los Territorios espanoles del Sahara y sus grupos Nomadas, el Siglo, las palmas, 1945.
- 4 **Galo diaz D. Galo** « notas sobre geografic humana de los territorios de Ifini y del sahara ». Madrid 1944-45.
- 5 **Lafuente Domenech Angel** « Alog Sobre Rio de Oro », Madride de 1946.
- 6 **Barona Claudio**,hijos de la nube, el Sahara Espanol desde 1958 hasta la debacie, Madride, 2004.
- 7 **Zomer Enrique Arrojos** ,Exploraciones Atlanticas, Afric, Num,,16, Abril 1943.
- 8 **Vazquez Luis Blanco** « Vestigios del pasado colonial espanol en rio de Oro (Sahara Occidental) la linea de Fortines de Villa Cisoneros, HISPANIA NOVA Revista de Historia Contemporanea, N° 10-ANO 2012.
- 9 **Manuel Vidal**, crónîcas el sáhara desde canarîa, Ensayos Sahianos, 2019.

المجلات:

- (1) أحمد أبو زيد، قصة الصحراء، مجلة: عالم الفكر، الكويت، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1984.
- (2) آدم كوبر، الثقافة التفسير الانتروبولوجي، ترجمة: تراجي فتحي، مراجعة: ليلي الموسوي، مجلة: عالم المعرفة، مارس 2008.
- (3) أناس بن الشيخ، طقس الزواج ومكانة المرأة في المجتمع البيضاني، مجلة: انتروبولوجيا، مركز فاعلون للبحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد الثالث مارس 2016 الجزائر.
- (4) اوديت دي بويغودو، النطاق الجغرافي للثقافة الحسانية وجدورها التاريخية، ترجمة: احمد البشير ضماني، مجلة: ثقافة الصحراء، العدد الرابع خريف 2015.
- (5) بن محمد قسطاني، في النقد السوسيولوجي: التجريب الميداني وصياغة المفاهيم، مجلة: فكر ونقد، ملف اللغة العربية، العدد 24، سنة 1999.
- (6) حسين فهميم، قصة الانتروبولوجيا فصول التاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، فبراير 1986.
- (7) حسين مؤنس، الطريق الصوفية واثرها في نشر الاسلام عبر الصحراء الكبرى، مجلة: معهد الدراسات الاسلامية، بمدريد، 1982.
- (8) حسن باري، القبيلة والمجال: من الصراع إلى مقاومة الأجنبي «قبيلة يگوت نموذجاً»، سلسلة كراسة الباحث، الصحراء والمجال، إشراف: محمد شرايمي، مطبعة: الحمامة البيضاء، 2017.
- (9) حورية بكوش، تبسيط مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي دراسة في مفهوم الثقافة وعناصرها، مجلة: رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في أفريقيا، جامعة أحمد دراية، العدد العاشر ديسمبر 2016 الجزائر.
- (10) خضر زكريا، الظواهر القبلية والجهوية في المجتمع العربي المعاصر، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 11، شتاء 2015.
- (11) ديل أكلمان، الانتماء القبلي في وقتنا الراهن التداعيات والتحول، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 19 شتاء 2017.
- (12) رضا عبد الحكيم اسماعيل رضوان، التراث الثقافي والمواريث الشعبية الموريتانية "التحديات اللغوية والعرقية ومعضلة قيم البادية في مواجهة الحداثة"، مجلة: الثقافة الشعبية، العدد 38 صيف 2017، البحرين.

- (13) رجال بوبريك، جيش التحرير وعملية إكفيون، تنسيق: رجال بوبريك، مدخل إلى تاريخ الصحراء الأطلننتية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2010.
- (14) شاكر عبد الحميد، الوعي بالمكان ودلالاته، مجلة: فصول، المجلد الثالث عشر، العدد الرابع، القاهرة، سنة 1995.
- (15) صلاح الدين الركيبي، فئة «لمعلمين» في المجتمع القبلي البيضاني، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 19 شتاء 2017.
- (16) العابدي محمد عبد الله، المكان في معلقة امرئ القيس قراءة مونطيقية، النادي الأدبي الثقافي، مجلة: جذور، العدد 31، أبريل 2010، جدة، المملكة العربية السعودية.
- (17) عبد السلام الترماني، الزواج عند العرب. في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة)، عالم المعرفة، العدد 80 شعبان 1998.
- (18) عبد الله هرهار، زمن القبيلة إشكالية السلطة والعنف في المجتمع الصحراوي، مجلة: عمران، العدد 4 ربيع 2013.
- (19) عبد الحميد حسين احمد السامرائي، "بعض مظاهر التنظيم القبلي في صدر الإسلام" مجلة: سر من رأى، المجلد 5، العدد 14 نيسان 2009، جامعة سامراء - العراق -
- (20) عبداتي الشمسدي، الصحراء في المخططات الاستعمارية خلال القرن 19، مجلة: ثقافة الصحراء، العدد الرابع خريف 2015.
- (21) فاطمة الزهراء شوية، السلطة العرفية في المجتمعات التقليدية دراسة أنثروبولوجية "جماعة الصلح" بمنطقة الجلفة نموذجاً، مجلة: الثقافة الشعبية، العدد 38 صيف 2017، البحرين.
- (22) فضة مصطفى، حول مفهوم القبيلة في علم الاجتماع الاستعماري، مجلة: الثقافة الجديدة، العدد 29 بتاريخ 1 يوليوز 1983.
- (23) فلاح جابر جاسم الغرابي، الدين واليات الاجتماعي، دراسة تحليلية في دور الدين في الضبط والبناء الاجتماعي، مجلة: اوروك، العدد العاشر.
- (24) محمد القادري، مجتمع الصحراء: سيرورة وتحولات قراءة في كتابات رجال بوبريك، مجلة: هيسبريس تمودا، العدد XLVII 2012.
- (25) محمد الصافي، شذرات من عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي بالجنوب المغرب، مجلة: الثقافة الشعبية، العدد 41 ربيع 2018، البحرين.

- (26) **محمد دحمان**، الكتابات التاريخية الإسبانية حول منطقة الساقية الحمراء وواد الذهب قراءة سوسيو-تاريخية، مجلة: المناهل، العدد 89-90، 1 يونيو 2011.
- (27) **محمد دحمان**، القبائل الصحراوية بمنطقة الغرب دراسة سوسيو-تاريخية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ابن طفيل، بالقنيطرة، العدد 9-2009.
- (28) **محمد سبي**، الكتابات الاستعمارية الإسبانية بشأن الصحراء الأطلسية، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 17.
- (29) **محمد مزيان**، المغرب في الأدبيات الكولونيالية الفرنسية ومشروعية الغزو والإلحاق، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 17، صيف 2016.
- (30) **مسعود ضاهر**، منهجية التاريخ الشفوي والاستفادة منها عربيا، مجلة عالم الفكر، الوثيقة، المجلد 38، 3 يناير/مارس 2008.
- (31) **مصطفى أوسرار**، الأضرحة ومزارات الأولياء بالمغرب، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 33، ربيع 2016.
- (32) **معتز سيد عبد الله**، الاتجاهات التعصبية، مجلة: عالم المعرفة، الكويت، مايو 1989.
- (33) **موريس غودوليه**، جماعة، مجتمع، ثقافة. مفاتيح لفهم الهويات المتصارعة، ترجمة: زهرة جابر، مراجعة: سعود المولى، مجلة: عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 12، ربيع 2015.
- (34) **يوسف بن موسى**، لثام التورق: دراسة أنتروبولوجية وسوسيولوجية، مجلة: الثقافة الشعبية، العدد 41 ربيع 2018، البحرين.

المخطوطات والموسوعات:

- (1) **موسوعة الحرف التقليدية بمدينة القاهرة التقليدية**، جمعية أصالة لرعاية الفنون التراثية والمعاصرة، ج 1، القاهرة 2006.
- (2) ديوان قبائل أيتوسى.

التقارير:

- (1) موناوغرافية جهة العيون - بوجدور - الساقية الحمراء 2011، المملكة المغربية،

المنذوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية
بالعيون.

مواقع الانترنت:

- 2) www.m.ahewar.org
- 3) www.almaghribtoday.net
- 4) www.alnssabon.com
- 5) www.hespress.com
- 6) www.alnssabon.com
- 7) [pulpit.alwatanvoice.](http://pulpit.alwatanvoice)
- 8) [Toratagadir.blogspot.com.](http://Toratagadir.blogspot.com)
- 9) www.sahara-culture.com
- 10) www.arabtimes.com
- 11) www.upesonline.info

ببليوغرافيا إضافية:

تقديم:

كان لابد أن أرصد كل الإنجاز العلمي للباحثين المغاربة، في موضوع الثقافة والعصية بالمجتمع الحساني، بمنطقة واد نون، الساقية الحمراء وواد الذهب، في محاولة منا جمع الكتابات التي تناولت الموضوع، وحتى يسهل على الباحثين الآخرين الإطلاع عليها.

لقد اتبعت المنهجية التالية في رصد البيبليوغرافية:

- ترتيب ألف بائي.

- وأن كل باحث له أكثر من كتاب، يون ترتيب أعماله كرونولوجيا، من الأحدث إلى الأقدم.

الكتب بالعربية

(1) إبراهيم الحيسن، الزواج عند مجتمع البيضان: مقارنة سوسيو - ثقافية، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2014.

(2) إبراهيم الحيسن، الأطعمة والأشربة في الصحراء، أنتروبولوجيا الطبخ وآداب المائدة عند البيضان، مطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2014.

- (3) ابراهيم الحيسن، المرأة في الأمثال الحسانية، رَزَقَ لَمَرَ تَحْتَ كَائِمَتِهِ...، مركز الدراسات والأبحاث الحسانية، مطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2013.
- (4) ابراهيم الحيسن، إثنوغرافيا الكلام الشفاهية ومأثورات القول الحساني، مطبعة: Pixel Print TanTan، الطبعة الأولى 2012.
- (5) ابراهيم الحيسن، ثقافة الصحراء: الحياة وطقوس العبور عند مجتمع البيضان، بدعم من وكالة الجنوب للإنعاش والتنمية الإجتماعية والاقتصادية للأقاليم الجنوبية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2011.
- (6) ابراهيم الحيسن، الشفهي والبصري، في الموروث الأدبي والجمالي الحساني، سلسلة أبحاث ، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2010.
- (7) ابراهيم الحيسن، التراث الشعبي الحساني: عناصر والمكونات، مكتبة والوراقة الوطنية، مراكش، 2007.
- (8) ابراهيم الحيسن، الثقافة والهوية في الصحراء: رؤية أنثروبولوجية حول مجتمع البيضان، بدعم من وكالة الجنوب للإنعاش والتنمية الإجتماعية والاقتصادية للأقاليم الجنوبية، مطبعة بنب يسي/حي مولاي رشيد، الداخلة، 2007.
- (9) ابراهيم الحيسن، رقصة الكدرة... الطقوس والجسد، دار المقام تحناوت، مراكش 2007.
- (10) اخليفة اعراب، مميزات النظام الثقافي عند القبائل الصحراوية، بحث في الأصول الاجتماعية والثقافية للمجتمع الصحراوي المعاصر، الجزء الأول، تقديم: محمد شرايمي، مطابع الرباط نت، 2016.
- (11) إدريس نقوري، أولياء وصلحاء الصحراء، منشورات مؤسسة مسجد الحسن الثاني، الدار البيضاء، 2018.

- (12) أسويح محمد، اليزيد السالك، شدرات من أدب البيضان (شعر حساني)، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2017.
- (13) أسويح محمد واليزيد السالك، شدرات من ادب البيضان (شعر حساني)، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- (14) أوديت دي بويغودو، فنون وعادات البيضان، تعريب وتقديم: أحمد البشير الضماني، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2017.
- (15) بشر احمد حيدار، جغرافية الصحراء الغربية، طبع بإسبانيا، Bubok PulishingK، 2012.
- (16) بشر أحمد حيدار، الصليب المقدس في البحر الصغير، مطابع امبريال الأمان، الرباط، 1998.
- (17) بهيجة الشاذلي، الإسلام والدولة في إفريقيا جنوب الصحراء: الفكر السياسي عند فودي خلال القرن 19، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2017.
- (18) حسان الشاكر، دراسات حول صحراء واد نون في التاريخ والمجتمع، تقديم: محمد دحمان، الجزء الأول، مطبعة ووراقة بلال ش.م.م، فاس 2019.
- (19) الحسين باتا، لمحات عن تاريخ قبيلة أولاد بوعشرة، مطبعة ملك، سطات، 2010.
- (20) الحسين حديدي، الحياة الفكرية والروحية بالمجال البيضاني خلال القرنين 18 و 19م، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2016.
- (21) خالد بن الصغير، طرفاية ومحطة مكنزي التجارية برأس جوبي 1876-1895، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2017.
- (22) رجال بويريك، الأقليات الإثنية في زمن الانتقال الديمقراطي، مركز الجزيرة للدراسات ، نونبر 2013.
- (23) رجال بويريك، زمن القبيلة: السلطة وتدبير العنف في مجتمع الصحراوي، أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2012. (الطبعة الثانية 2019)

- (24) رجال بوبريك، مجتمع الصحراء في الكتابات الفرنسية: نموذج فريديريك دولاشابيل، تقديم وتنسيق، المطبعة السريعة، القنيطرة، 2010.
- (25) رجال بوبريك، مدخل إلى تاريخ الصحراء الأطلنتية، تنسيق: رجال بوبريك، أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2010.
- (26) رجال بوبريك، الصحراء الأطلنتية، الإنسان والمجال، تقديم وتنسيق: رجال بوبريك، جامعة ابن زهر ووكالة الإنعاش والتنمية الإقتصادية والإجتماعية في الاقاليم الجنوبية بالمملكة، منشورات وكالة الجنوب، 2007.
- (27) رجال بوبريك، المدينة في مجتمع البداوة مع تخريج تاريخ ولاته، مطبوعات معهد الدرات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2003.
- (28) السالك بوغرين، تقنيات التعبير في الشعر الحساني، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط 2015.
- (29) شغالي حريش، القبيلة والسلطة مقدمة في التاريخ السياسي للصحراء، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط 2016.
- (30) الشيخ ماء العينين، الرحلة الحجازية، تحقيق: ماء العينين مربيه ربه، منشورات مؤسسة مربيه ربه لأحياء التراث، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2010.
- (31) الشيخ ماء العينين، مفيد الراوي على أنى مخاوي، تحقيق: محمد الظريف منشورات الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث، مطبعة المعارف الجديدة، 1999.
- (32) صلاح الدين أركيبي، حرفيون بالوراثة: دراسة توثيقية، للصناعة التقليدية بالصحراء، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2017.
- (33) العالية ماء العينين، التبراع الشعر النسائي الحساني، المفهوم - السياق - الثقافة، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2016.

- (34) عبد العزيز فعراس (تنسيق)، الثقافة الحسانية: الحملات التربوية ومطلب الإدماج في المنظومة التعليمية، مجموعة البحث والدراسات حول ساحل الصحراء، مطبعة: شمس برانت، الرباط، 2018.
- (35) عبد العزيز فعراس، المعجم الحساني (جغرافي، بيئي، تراثي)، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2016.
- (36) عبد المجيد، بوجمعة بوتوميت، حسن رامو (التنسيق)، الواحات رهانات التنمية المستدامة بالمغرب الصحراوي، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2016.
- (37) عزة بيروك، الغناء الحساني بين التنظيم والتلقائية، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- (38) علي المحمدي، أفاق عرفية وثائق حول آيت باعمران (النصف الثاني من القرن التاسع عشر)، سلسلة: وثائق ونصوص رقم 1، أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2017.
- (39) فانسان مونتاي، تقييدات حول تكنة، ترجمة: هيتن الحيرش، مركز الدراسات الأبحاث "مشاريع"، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2012.
- (40) ماء العينين بن العتيق، الرحلة المعينية، تحقيق وتقديم: محمد الظريف، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2004.
- (41) مبارك أوراغ ومحمد بنعة (تنسيق)، التغيرات المناخية في المناطق الجافة وشبه الجافة تحديات الحكامة واستراتيجيات التكيف والتخفيف، مركز الشباب للبحاث والتنمية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، طباعة ونشر سوس، أكادير، 2018.
- (42) محمد البغدادي، الصحراء المغربية بين الماضي والحاضر والحلول المقترحة للنزاع الصحراوي، الطبعة الأولى، الرباط، 2004.
- (43) محمد الصافي، واد نون خلال القرن 19 مساهمة في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من خلال وثائق محلية، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2018.

- (44) **محمد العربي المساري**، إسبانيا الأخرى، مطبعة دار الأمان، الرباط، 2015.
- (45) **محمد الغربي**، الساقية الحمراء ووادي الذهب، الجزء الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت.
- (46) **محمد بوزنكاظ**، الفقيه والمجتمع: مشروعية العالم في التاريخ الاجتماعي والسياسي للصحراء الأطلسية، منشورات مركز الجنوب للدراسات والأبحاث والإفريقية، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2018.
- (47) **محمد بوزنكاظ (منسق)**، الصحراء في العلاقات المغربية الإفريقية، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- (48) **محمد بوزنكاظ**، دراسة في التاريخ الاجتماعي للصحراء الأطلسية ما بين القرنين 17 و 20، منشورات جمعية الباحثين الشباب للدراسات والأبحاث الصحراوية، المكتبة الوطنية، مراكش، 2012.
- (49) **محمد دحمان**، معلمة المغرب، الأجزاء الخاصة بالصحراء: 26-27، مطبعة دارالأمان، الرباط، 2014.
- (50) **محمد دحمان**، دينامية القبيلة الصحراوية في المغرب: دراسة سوسيو - تاريخية لقبيلة أولاد بالسبع، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2012.
- (51) **محمد دحمان**، المجاهد إبراهيم ولد ميثان، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007.
- (52) **محمد سالم بن لحبيب بن عبد الحي**، تقييد في نسب وأيام قبيلة الرقيبات، تحقيق وتقديم محمد دحمان، مطابع الرباط نت، الرباط، 2017.
- (53) **محمد سبي**، إسبانيا والصحراء ما بين سنوات 1934-1975 دراسة تاريخية واجتماعية، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- (54) **محمد شرايمي**، الهصباوي القائد أحمد، معلمة المغرب، الجزء 27، ملحق (م 3)، دار الامان، الرباط، 2014.

- (55) **محمد شرايمي**، أوصفالدو كاباص، معلمة المغرب، الجزء 27، ملحق (م 3)، دار الامان، الرباط، 2014.
- (56) **محمد شرايمي**، آسا، معلمة المغرب، الجزء 26، ملحق (م 3)، دار الامان، الرباط، 2014.
- (57) **محمد شرايمي**، الزاك، معلمة المغرب، الجزء 26، ملحق (م 3)، دار الامان، الرباط، 2014.
- (58) **محمد شرايمي**، أمغار سعيد، معلمة المغرب، الجزء 26، ملحق (م 3)، دار الامان، الرباط، 2014.
- (59) **محمد شرايمي**، آيت باعمران، معلمة المغرب، الجزء 26، ملحق (م 3)، دار الامان، الرباط، 2014.
- (60) **محمد شرايمي**، تنمية المجتمع الحضري الصحراوي، حالة مدينة بوجدور، ضمن ثقافة الصحراء مدارات الهوية والمعنى، منشورات وزارة الثقافة 2013.
- (61) **محمد شرايمي**، تنمية مجتمع الصحراء بين سياسة الدولة وإمكانات المجتمع المحلي، ضمن أبحاث ودراسات حول الصحراء، تنسيق محمد شرايمي، مطبعة طوب بريس، الرباط، 2009.
- (62) **محمد شرايمي**، سيدي إيفني، معلمة المغرب، الجزء 26، ملحق (م 3)، دار الامان، الرباط، 2014.
- (63) **مصطفى ناعمي**، مادة آيت بوهو، ضمن: معلمة المغرب، الجزء السادس والعشرون، الجزء السادس، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1995.
- (64) **مصطفى ناعمي**، مادة إزركين، ضمن: معلمة المغرب، الجزء الأول، غنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989.
- (65) **مصطفى ناعمي**، أهمية علاقات الرحل والمستقرين في التطور التاريخي لمجموع اتحادية تكنة، مجلة البحث العلمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي، العدد 38، السنة الثالثة والعشرون، الرباط، 1988.

- (66) **مصطفى ناعمي**، مادة تايڤالت، ضمن: معلمة المغرب، الجزء الأول، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1984.
- (67) **النعمة باه**، الشعر الحساني المجال النقدي والمرجع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.
- (68) **نور الدين بلحداد**، التسرب الاسباني إلى شواطئ الصحراء المغربية (1860-1934)، سلسلة أطروحات 2، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2008 .
- (69) **هنري بيبير بيران**، مقامي باسا، محكي حَي، ترجمة: هيبتن الحيرش، مراجعة: حمادي هباد، مركز الدراسات الأبحاث "مشاريع" بدعم من المجلس الإقليمي لأسا الزاك، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2017.
- (70) **هيبتن الحيرش - حمادي هباد**، (التنسيق) أسا ديوان الصالحين، مركز الدراسات الصحراوية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- (71) **الوافي نوحى**، الأمازيغ والمجال الصحراوي عبر التاريخ، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2015.

الأطروحات الجامعية:

الأطروحات باللغة العربية:

- **أحمد البيوزيدي**، درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني دراسة في الحياة السياسية والإجتماعية (1894-1935)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة تحت إشراف: لحسن أغراڤي، ظهر المهرز كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، 2004/2003.

- أحمد بوجدود، السياسة التعليمية للحماية الاسبانية الخليفية سابقا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة، تحت إشراف: عبد الله ساعف، جامعة محمد الخامس كلية العلوم القانونية واقتصادية الاجتماعية بالرباط، 1992/1991.
- أحمد تانصافت، التسرب الأجنبي بالجنوب المغربي 1836م-1904م، أطروحة لنيل الدكتوراه، تحت إشراف: خديجة الراجي، بجامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية باكاير، 2019/2018.
- امحمد امهدان، الماء والتنظيم الاجتماعي بواحات تودغى، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة الحسن الثاني كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، 2006/2005.
- أناس بن الشيخ، العائلة وإنتاج أنماط القرابة في مجتمع الصحراء: دراسة سوسيوانثروبولوجية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: لحسن امزيان، وخالد شكرابي، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2019/2018.
- الحبيب مني، التحولات السوسيواقتصادية بجهة وادي الذهب لكويرة، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، تحت إشراف: حسن المجاهد، 2018/2017.
- الطالب بوي لعتيك، الشعر الحساني قراءة عرضية، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، تحت إشراف: عبد القادر حمدي، 2018/2017.
- الحافظ بنمان، دور تحالفات اتحادية ايت أوسى في ضبط المجال ما بين القرن 19 و 20 (دراسة مونوغرافية)، أطروحة لنيل الدكتوراه، تحت إشراف: محمد الطوزي، جامعة الحسن الثاني كلية العلوم القانونية والإقتصادية والاجتماعية، 2017/2016.
- الحسان انوزلا، مساهمة في تاريخ علاقة واد نون بالسلطة المخزنية خلال القرن 19، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الحسن الثاني كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، 2008/2007.

- الحسن شوقي، قبيلة زمران خلال القرن التاسع عشر (1822-1919)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: عبد الواحد أكميز، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2001/2000.
- حفيظ الراضي، الايبيريون في السواحل الجنوبية المغربية ما بين واد نون وواد الذهب خلال القرنين 15 و16م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف:، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، 2019/2018.
- ربيع اوطال، التمثلات الاجتماعية حول الجهوية ودورها في التنمية الحضرية بالمجال الصحراوي، مقارنة سوسيوأنتروبولوجية لمدينة العيون الساقية الحمراء، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: قيس مرزوق الورياشي، جامعة ظهر المهرارز كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، 2017/2016.
- رشيدة بوشتي، العلاقات الأسرية وبنية الأدوار بين التغير والاستمرارية بمدينتي كلميم والعيون. دراسة سوسيوأنتروبولوجية مقارنة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: محمد دحمان، وزهرة طموح، بجامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2019/2018.
- الزهرة فعراس، المجتمع الصحراوي ومسألة تدبير الناء، قبيلة أولاد تدرارين -نموذجاً- أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، 2008/2007.
- سالم وكاري، الماء وملكية الأرض في مجال قبيلة ايت أوسى من القرن السابع عشر إلى النصف الأول من العشرين إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: عبد الكريم مدون، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 2016/2015.

- سعيد التوتاي، التدخل الاستعماري بمنطقتي اد نون والساقية الحمراء 1934-1975 م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: محمد بنهاشم ولحسن أوري، جامعة ظهر المهرارز كلية الآداب العلوم الإنسانية بفاس، 2016/2015.
- سعيد الراعي، قطاع الصيد البحري ودوره في التحولات السوسيو-اقتصادية والتنمية الترابية بالشريط الساحلي الصحراوي المغربي بين طرفاية ولكويرة، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، تحت إشراف: محمد منسوم، 2019/2018.
- سعيد كويس، المعجم الصنهاجي في لسان الصحراء: مساهمة في الجمع والتأصيل، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، تحت إشراف: محمد ايت الفران وعبد الجليل هنوش، 2018/2017.
- سويلام بوغدا، تاريخ مجال أسا 1830-1934م دراسة في البنيات الجغرافية والاجتماعية والسياسية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: عبد السلام التايب، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 2017/2016.
- سيد أحمد الشراي، مونوغرافية قبيلة اولاد دليم، أطروحة لنيل الدكتوراه، كلية العلوم القانونية والإقتصادية والاجتماعية عين الشق، بالدار البيضاء، 2007/2008.
- سيدي لغطف بوكرين، النوازل الفقهية عند علماء الصحراء -جمع وتصنيف ودراسة- لفتاوي الشيوخ الثلاثة ((الشيخ محمد المامي (1282هـ). الشيخ محمد بن محمد سالم المجلسي(1303هـ). الشيخ ماء العينين(1328هـ))، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: حميد لحمر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، 2019/2018.

- شغالي حريش، النخب السياسية في الصحراء. المسارات والخطاب. مساهمة في كتابة التاريخ السياسي، أطروحة لنيل الدكتوراه، تحت إشراف: الإدريسي رشيد العلمي، جامعة القاضي عياض كلية العلوم القانونية والإقتصادية والاجتماعية بمراكش 2014/2013.
- صالح الدين اركيبي، الحرف والحرفيون داخل المجتمع البيضاني: مقارنة سوسيوأنثروبولوجية لفئة "لمعلمين" ومنتوجاتهم بمنطقة الساقية الحمراء نمودجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: عبد النبي اعززي، جامعة محمد الأول، كلية الاداب والعلوم الإنسانية بوجدة، 2015/2014.
- عبد الحميد فايز، تنظيم وإعادة إنتاجه بالغرب الصحراوي ما قبل الاستعمار: دراسة أنثروبولوجية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: رجال بويريك، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2019/2018.
- عبد الرحيم قسباوي، الماء والتحويلات المجالية بالساحل الغرب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: عبد الخالق غازي، والتهامي ديبون، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، 2019/2018.
- عبد اللحق البرغزي، الصيد البحري في مجال الصحراوي: دراسة تاريخية بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: محمد دحمان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، 2019/2018.
- عبد اللطيف امريغ، واد نون خلال القرن التاسع عشر -أسرة آل بيروك نمودجا-، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: بوجمة رويان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، 2019/2018.
- عبد اللطيف مليح، جيو استراتيجية مدينة كلميم بين البعد الجيوسياسي والبناء الترابي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: محمد حزومي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، 2019/2018.

- عبد الله بونعاج، الموارد الترابية ودورها في التنمية المحلية في المجالات الصحراوية منطقة العيون نموذجا، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، تحت إشراف: عبد الرحيم بنعلي، 2019/2018.
- عبد المالك علاء الدين، الوجود الإسباني بآيت باعمران وسيدي إفني 1934-1969، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: عبد الواحد أكميز، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2006/2005.
- عبد الهادي المدن، التجارة بواد نون في القرن التاسع عشر، أطروحة لنيل الدكتوراه، تحت إشراف: امحمد احدى، بجامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية باكاير، 2017/2016.
- عثمان مرزوقي، العمل الاجتماعي في الصحراء المغربية من خلال فقه النوازل، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: عبد القادر بطار، جامعة محمد الاول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، 2019/2018.
- علي العمري، جيش الجنوب ومساهمة الصحراويين سوسيولوجيا حركة اجتماعية ودورها في التغير السياسي في مغرب القرن 20، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: محمد جسوس، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2003/2002.
- عمر ناجية، البنيات الاقتصادية والاجتماعية لقبائل واد نون: حالة آيت لحسن، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2008/2007.
- كوثر لبادوي، الاقتصاد التعاوني في المجتمع المغربي. دراسة سوسيو-أنثروبولوجية لتغير الروابط السوسيو-اقتصادية بجماعة "أسرير"-منطقة وادنون، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: المختار الهراس، بجامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2019/2018.

- **لحسن حافظي علوي، وإحات بلاد المغربين القرن 4هـ /10م إلى القرن 8 هـ /14 م،**
أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: محمد حمام، بجامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2005/2004.
- **محبوبة البفور، البديع في الشعر الحساني؛ مقارنة صوتية،** أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، تحت إشراف: عبد الحميد زاهير، 2018/2017.
- **محمد الدحمي، مقارنة سوسولوجية لمجتمعات البدو - سكان الصحراء نموجا-**، أطروحة لنيل الدكتوراه، بجامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والإقتصادية والإجتماعية، عين الشق، الدار البيضاء، 2007/2006.
- **محمد المرجان، مقارنة سوسولوجية للمعرفة الكولونيالية الإسبانية بشمال المغرب (1860-2002)،** أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2005/2004.
- **محمد بوزنكاظ، زوايا "مجال البيضان" وعلاقتها الفكرية والروحية مع مصر والحجاز خلال القرن 19 والنصف الأول من القرن 20،** أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع، تحت إشراف: أحمد الأزمي، ظهر المهرارز كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، 2011/2010.
- **محمد بوست، المجتمع المدني وديناميات التغير الاجتماعي بالصحراء دراسة سوسولوجية للجمعيات بمدينة كلميم نمودجا،** أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: فاطمة الزهراء طموح، محمد دحمان، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2019/2018.
- **محمد اعمر، دور مدينة العيون القطب في تدبير وتنظيم المجال الجهوي للأقاليم الصحراوية المغربية،** أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، تحت إشراف: محمد منسوم، 2019/2018.

- محمد بونعناع، **التحضر وانعكاساته الاجتماعية بالمدينة الصحراوية : دراسة حالة مدينة كلميم**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: لحسن حافضي علوي، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2019/2018.
- محمد حجاج الطويل، **النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: محمد حجي، بجامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1997/1996.
- محمد دحمان ، **الترحال والإستقرار من خلال دراسة سوسيو- تاريخية لقبيلة أولاد أبي السباع(حالة المغرب وموريتانيا)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: رحمة بورقية، بجامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2004/2003.
- محمد فراح، **حاحا والمخزن والمحيط القبلي 1920 هـ -1873م/1330هـ -1912م**، أطروحة لنيل الدكتوراه، تحت إشراف: خديجة الراجي، بجامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية باكادير، 2019/2018.
- مولاى البوهالى الدحمي، **المقاولة بجهة العيون**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة تحت إشراف: لحبيب المعمري، ظهر المهرارز كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، 2019/2018.
- وفاء اوواه، **مقاربة سوسيولوجية لصيرورة التحولات الاجتماعية وأشكال من البداوة إلى التحضر في المجتمع الصحراوي المغربي "منطقة الساقية وادي الذهب"**، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة القاضي عياض كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، تحت إشراف: محمد الويز، 2018/2017.
- ياسين يسني، **وضع سود البشرية في المجتمع المغربي . مقارنة سوسيولوجية لوصم الجسد الأسود و صوره النمطية في المتخيل الاجتماعي المغربي** ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: رجال بوبريك، وزهرة طموح، بجامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2019/2018.

الأطروحات باللغة الفرنسية:

- Ahmed Joumani, **Espaces villageois et entités tribales du Sud-Ouest marocain : contribution à l'histoire sociale de l'Oued Noun précolonial (le cas du village d'Asrir)**, Thèse 3^{eme} sous la direction de : Daniel Rivet, Paris 1. 2005/2006.
- Mustapha Naïmi, **L'infiltration des rapports marchands dans une formation économique et social**, Le pay Takna du Sud-Ouest Marocain, Thèse 3^{eme} fichier central, Paris X-Nanterre, 1980.

أطروحة باللغة الإنجليزية:

- مليكة الوالي، **Moroccan Culture Representations and Translation**، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، تحت إشراف: فاطمة بوعبدلي، 2018/2017.
- هشام هدي، **ville de Laayoune : approche Le parler Hassani de la Sociolinguistique**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تحت إشراف: حفيظة العمراني وليلى المسعودي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، 2019/2018.

مجلات:

مقالات باللغة العربية:

- (1) المهدي الهامل، تنظيم المجال في الصحراء بين رهاني الضبط والتنمية، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي ألمانيا، برلين، العدد 09، جوان 2019، 254-269.
- (2) المهدي الهامل، نخب التدبير المحلي بين الحزب والقبيلة: حالة بلدية كلميم جنوب المغرب (1977-2015)، مجلة العلوم السياسية والقانون، مركز الديمقراطي العربي ألمانيا، برلين، العدد 08 فبراير 2018، 148-168.
- (3) رحال بوبريك، جيش التحرير بالصحراء وعملية اكيفون، التراث الصحراوي، التاريخ والذاكرة، المجلس الوطني لحقوق الإنسان، ودار النشر ملتقى الطرق، 2014، 115-134.
- (4) رحال بوبريك، العبودية بين القاعدة والإستثناء، الناجم لخصاصي أو "العبد" الذي أصبح قائدا، الرق في تاريخ المغرب، تنسيق: ع.عينوز، ع.بل الفايدة، م الغرايب، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2010، 183-210.

مقالات باللغة الفرنسية:

- 1) Rahal Boubrik, Introduction, **Le Sahara des voyageurs**, Choix des textes et présentation Rahal Boubrik, Afrique Orient, Casablanca, 2016, pp : 5-20.
- 2) Rahal Boubrik, " **Le temps des chameaux**", in Traditions pastorales dans l'ouest saharien, DTGSN, Rabat 2014 (Sous direction R. Boubrik), pp : 23-55.

- 3) Rahal Boubrik, **"La pérennité de la notion de tribu au Sahara"**, Annuaire marocain de la stratégie et des relations internationales, T.1, L'Harmattan, 2012, P : 495-510.
- 4) Rahal Boubrik, **"Relecture d'une monographie tribale"**, in F.De La Chapelle, les Takna du Sud marocain, Publication de la faculté des lettres et des sciences humaine, Rabat, réédition, 2011, pp :7-42.
- 5) Rahal Boubrik, **"L'avènement d'un mahdî saharien (17ème siècle)"** Hespéris- Tamuda, Université Mohammed V, Rabat, Vol, XLIV, 2009, pp :24-44.
- 6) Rahal Boubrik, **"Quand les saints font les villages : Stratégie d'autonomie religieuse et sociale d'un homme de religion"**, Islam et Société au sud du Sahara, Paris, n °14, 2000, pp: 129-149.
- 7) Rahal Boubrik, **" Homme de religion et de résistance au Maghreb : Mâ' al-'Aynayn (1831-1910)"**, Maghreb Review, Londer, V. 24, n° 1-2, 1999, pp : 2-18
- 8) Rahal Boubrik, **"Hommes de Dieu, hommes d'épée : stratification sociale dans la société bidân "** Journal des Africanistes, Paris, Tome 68- fasc. 1-2, 1998, pp : 261-271.
- 9) Mustapha Naïmi, **" Espace tribal et spécificités sahariennes en 1592"**, dans Le Maroc et l'Afriquesubsaharienne aux débuts des temps modernes, Institut des études africaines, Rabat, 1995, pp.119-130.
- 10) Mustapha Naïmi, **"Nul Lamta, tableaux édifiants"**, Hespéris-Thmuda33, 1995, pp.8 3 -1 1 5.
- 11) Mustapha Naïmi, **"Concepts de jihad et de résistance"**, Colloque sur la résistance marocaine, 1904-1935, université Ibn Z ohr, Agadir, 1995,52-60.
- 12) Mustapha Naïmi, **"Le pouvoir m akhzenien et le Sous"**, Reime Maroc-Europe, n ° 6, 1994, pp. 8 5 -9 4.

- 13) Mustapha Naïmi et JAZOUU, A., " **La région : et si le passé répondait de l'avenir ?**", Revue Maroc-Europe, n° 4 ,1 5 -3 2 ; reproduit par Revue marocaine d'administration locale et de développement, Rabat, n° 7-8, avr.-sept. 1994,109-117.
- 14) Mustapha Naïmi, " **L'arbre généalogique de Moulay 'abdas Salam b. M shîsh e t le système de parenté des R gaybat** ", revue A l Baht al 'ttmi (IURS), R ab at, n° 41, 1992, pp. 110 -173.
- 15) Mustapha Naïmi, " **Frontière clim atique et mode de vie préssaharien : W ad Nun , Bani et as Sagya al Hamra au siècle des Murabitun** ", L'Homme et le Dromadaire en Afrique, Actes du séminaire international sur le cham eau, Faculté Ibn Zohr, Agadir, 1991,pp. 139-152.

الكتب باللغة الفرنسية:

- 1) **Ahmed joumani**, MATHYES, conflits et décolonisation au Sahel, L' Harmattan, 2012.
- 2) **Ahmed joumani**, LA QUETION DU POUVOIR EN AFRIQUE DU NORD ET L'OUEST, Voloun1 : Du rapport colonial de développement, L' Harmattan, 2009.
- 3) **Ahmed joumani**, OUAD NOUN, SUD MAROC mythes et réalités, L' Harmattan, 2006.
- 4) **Ahmed joumani**, OUEST SAHARA Fragments, L'Harmattan, RASD, 2002.
- 5) **Ahmed joumani**, OUEST SAHARA Etat des lieux Materiaux de recherche, L'Harmattan, RASD, 2002.

- 6) **Ahmed Joumani**, OUEST SAHARA Histoire et sociétés Maures, L'Harmattan, RASD, 2000.
- 7) **Rahal Boubrik**, Le Sahara. Lieux et espaces d'échange, Centre des études sahaiennes, Rabat, 2019.
- 8) **Rahal Boubrik**, La tente à la ville, La Société Sahraouie et la fin du nomadisme, La Croisée des Chemins, Casablanca, 2017.
- 9) **Rahal Boubrik**, Saints et société en Islam: La confrérie ouest-saharienne Fâdiliyya, CNRS édition, 2013.
- 10) **Rahal Boubrik**, Entre Dieu et la tribu, Homme de religion et pouvoir politique En Mauritanie, Publications de Faculté des lettres et des Sciences Humaines, Rabat, 2011.
- 11) **Mustapha Naïmi**, La Dynamique des alliances Ouest-Sahariennes, Édition de la Maison des sciences de l'homme, Paris, Méditerranée-Sud /5, 2004.
- 12) **Mustapha Naïmi**, Le Sahara à travers le pays Takna, Institut universitaire de la recherche scientifique (IURS), Rabat, édition Okad, 1988.
- 13) **Mustapha Naïmi**, Le Pays Takna, commerce, histoire et structure, revue lamalif, 1987.

- 14) **Mohamed ben Attou**, Tarfaya: une ville de littoral à la recherche d'un développement stratégique, Centre des études sahariennes, Rabat, 2015.
- 15) **Mohamed ben Attou**, Guelmim–Oued Noun: la ville, la tribu et le processus d'urbanisation, Université Ibn Zohr, Faculté des lettres et des sciences humaines, Agadir, 2014.
- 16) **Mohamed ben Attou**, Sidi Ifni Ait Baamrane: de la marginalité à la construction territoriale, Université Ibn Zohr, Faculté des lettres et des sciences humaines, Agadir, 2013.
- 17) **Mohamed ben Attou**, les villes marocaines : espace, économie, société et Urbanisation, Fikr, Rabat, 2007.
- 18) **Mohamed ben Attou**, Répertoire bibliographique du Sud Marocain, Université Ibnou Zohr, Agadir, 2000.
- 19) **Karim Selouane**, Payasages et environnement géologique du Sahara atlantique, Pré-requis au développement durable, KARTHALA, Paris, 2015.

❖ ملحوظة:

لم تثبت الأعمال الواردة في بيبليوغرافيا الأطروحة.

فهرس المحتويات

4.....	<u>مقدمة عامة:</u>
10.....	<u>فصل تمهيدى: تيمة البحث ومنهجيته</u>
10.....	<u>مقدمة منهجية</u>
11.....	<u>موضوع البحث وسياقه</u>
15	<u>الإشكالية</u>
17.....	<u>فرضيات البحث</u>
19.....	<u>منهج البحث و تقنياته</u>
19.....	<u>منهج البحث</u>
21.....	<u>تقنيات البحث</u>
21.....	<u>الملاحظة</u>
24.....	<u>المقابلة</u>
25.....	<u>المجموعة البورية</u>
26.....	<u>عينة البحث</u>
27.....	<u>أهداف البحث</u>
27.....	<u>صعوبات البحث</u>
28.....	<u>القسم الأول: المفاهيم المحددة للمجال الصحراوي: الثقافة والعصبية</u>
26.....	<u>تمهيد:</u>
	الفصل الأول: مكانة مفاهيم القبيلة والعصبية القبلية في الأبحاث والدراسات
29.....	الأنثروبولوجية والسوسيولوجية
29.....	تمهيد
30.....	المبحث الأول: مفاهيم الثقافة والعصبية القبلية في الدراسات الإنسانية
34.....	<u>الثقافة</u>
39.....	<u>العصبية</u>

41.....	<u>القبيلة</u>
43.....	الصحراء
49.....	<u>المبحث الثاني: العصبية القبلية فى الدراسات الانثروبولوجية و السوسيولوجية</u>
49.....	<u>التصور الخلدونى للقبيلة</u>
51.....	<u>التصور الكونيالى للقبيلة</u>
55.....	<u>التصور الانقسامى للقبيلة</u>
55.....	<u>المبحث الثالث: تطور مفهوم العصبية القبلية من خلال الدراسات الانثروبولوجية والسوسيوجية حول الصحراء</u>
55.....	<u>بالنسبة للأجانب</u>
55.....	<u>مساهمة خوليو كاروبروخا (1914-1995)</u>
58.....	<u>مساهمة بيير بونت (1943-2013م)</u>
59.....	بالنسبة للمغاربة
59.....	<u>مساهمة مصطفى ناعيمى</u>
61.....	مساهمة رحال بوبريك
63.....	مساهمة محمد دحمان
64.....	مساهمة محمد شرايمى
65.....	مساهمة ابراهيم الحيسن
69.....	<u>خلاصة:</u>
73.....	<u>الفصل الثانى: آليات الوظيفية لاشتغال مؤسسة القبيلة</u>
70.....	<u>مقدمة:</u>
71.....	<u>المبحث الأول: دور آليات الثقافية فى تحديد نظام القبيلة</u>
74.....	<u>مجال ثقافة الصحراء</u>
72.....	<u>التجـارة</u>

76.....	<u>الحروب بالصحراء</u>
77.....	<u>السياسة الاستعمارية</u>
75.....	<u>النظام الاجتماعي للقبيلة</u>
76.....	<u>العوامل الطبيعية</u>
76.....	<u>قساوة المناخ الصحراوي</u>
80.....	<u>المــــــــــــــــاء</u>
78.....	<u>تكون المدن بالصحراء</u>
81.....	<u>المبحث الثاني: بنية القبيلة بالصحراء و مجال استقرارها</u>
81.....	<u>قبائل تكنة أصولها و فروعها و مجالها</u>
88.....	<u>أيت بعمران</u>
88.....	<u>قبيلة العروسين</u>
91.....	<u>أولاد تدرارين</u>
92.....	<u>أولاد دليم</u>
90.....	<u>قبيلة أولاد بالسباع</u>
91.....	<u>قبيلة فيلالة</u>
92.....	<u>قبيلة لميار</u>
92.....	<u>قبيلة مجاط</u>
92.....	<u>قبيلة توبالت</u>
92.....	<u>قبيلة لفيكات</u>
92.....	<u>أهل الشيخ ماء العينين</u>
95.....	<u>قبيلة الركيات</u>
94.....	<u>أولاد بوعيطه</u>
94.....	<u>قبيلة أولاد جلال</u>
97.....	<u>قبيلة دوبلال</u>

95	<u>قبيلة الشناكلة</u>
96	<u>قبيلة السكارنة</u>
99	<u>المبحث الثالث: طبيعة العلاقة بين الثقافة والقبيلة</u>
97	<u>البداءة كنمط عيش بالمجتمع القبلي</u>
97	<u>تربية الماشية</u>
98	<u>الإنتاج الزراعي (الموسمي)</u>
99	<u>اللغة</u>
99	<u>الحسانية</u>
100	<u>الصنهاجية</u>
103	<u>غزي (المغازي)</u>
105	<u>خاتمة:</u>
106	<u>الفصل الثالث: علاقة القيم الثقافية والدينية ببناء النظام القبلي</u>
104	<u>مقدمة:</u>
105	<u>المبحث الأول: قواعد التنظيم القبلي</u>
107	<u>نظام العرف/الشرع</u>
109	<u>الدية</u>
109	<u>العقوبات</u>
112	<u>أيت الأربعين</u>
112	<u>اجماعة</u>
115	<u>الشيخ/ القائد/ أمغار</u>
117	<u>المبحث الثاني: مؤسسة الزواج واستمرارية القبيلة</u>
117	<u>زواج القبيلة</u>
118	<u>الذبيحة</u>
120	<u>المعالمين/الحراطين والعبيد/إكاون</u>

122	العائلة بالصحراء
124	التراتبية الاجتماعية بين الجنسين
126	ثقافة العائلة بالصحراء
128	المبحث الثالث: الزوايا والأضرحة: أهمية الرموز الدينية في التنظيم الداخلي للقبيلة
128	الفريگ كمؤسسة دينية للقبيلة
	"الطالب" والتأطير الديني
12	للقبيلة
130	الشيوخ والخطاب الديني
132	ثقافة الزوايا والأضرحة/الدار عند القبيلة
133	الزوايا
135	الأضرحة
137	الدار
139	خلاصة الفصل
140	خلاصة القسم
Error! Bookmark ...	القسم الثاني: الثقافة والعصبية القبلية بمنطقة الساقية الحمراء
	not defined.
145	تمهيد:
147	الفصل الأول: الساقية الحمراء: المجال والتاريخ
148	تمهيد:
148	المبحث الأول: الامتداد التاريخي والمجال للساقية الحمراء
148	تاريخ الصحراء تاريخ شفوي
150	ضعف الوثائق التاريخية حول الساقية الحمراء
151	مناطق بأسماء قبائل بالساقية الحمراء
152	تاريخ الساقية الحمراء

154	<u>التقسم الترابي للساقية الحمراء</u>
158	<u>نمط العيش بالساقية الحمراء</u>
161	<u>قبائل البحر</u>
162	<u>المبحث الثاني: المكونات الجغرافية والبشرية للساقية الحمراء</u>
162	<u>المناخ والموارد الطبيعية للساقية الحمراء</u>
163	<u>الصيد البحري</u>
164	<u>الرعي وتربية الماشية</u>
166	<u>أصول الفئات البشرية بمخيمات الوحدة</u>
169	<u>حياة التمدن لدى ساكنة الساقية الحمراء</u>
171	<u>مدن الساقية الحمراء</u>
174	<u>المبحث الثالث: تأثير التحولات الاجتماعية على ثقافة الساقية الحمراء والعلاقات الاجتماعية</u>
174	<u>الساقية الحمراء والتحول المجالية</u>
175	<u>أهمية مجال الساقية الحمراء في الصحراء</u>
176	<u>المرحلة الاسبانية وتأثيرها على العلاقات القبلية</u>
178	<u>قبائل الساقية الحمراء وامتداداتها وظروف استقرارها</u>
181	<u>خلاصة:</u>
182	<u>الفصل الثاني: الثقافة القبلية وتأثيرها على قبائل الساقية الحمراء</u>
182	<u>تمهيد</u>
183	<u>المبحث الأول: العلاقات الاجتماعية بين أفراد القبيلة</u>
183	<u>الإنتماء القبلي والرقى الإجتماعي</u>
187	<u>مساندة القبيلة لأفرادها</u>
194	<u>المبحث الثاني: تأثير الجماعة والشيوخ على ثقافة القبيلة بالساقية الحمراء</u>
195	<u>الرموز القبلية بالساقية الحمراء</u>

197	الشيوخ القبائل وأعيانها
201	رمزية "الصندوق" في القبيلة
202	الجماعة في ثقافة منطقة الساقية الحمراء
202	الجماعة في زمن الإستقرار
205	المبحث الثالث: الثقافة الحسانية والعصبية القبلية
205	المناسبات في الثقافة الحسانية
205	الزواج
207	المرأة "زريعة التراب"
209	قيمة الكرم في الثقافة الحسانية
210	الحسانية ودورها في الثقافة القبلية
210	اللهجة الحسانية
211	المثل الحساني
213	الشعر الحساني والثقافة القبلية
216	خلاصة:
217	الفصل الثالث: البعد الديني وتأثيره على ثقافة القبيلة بالساقية
217	تمهيد:
218	المبحث الأول: تجدر الزاوية في ثقافة القبيلة
218	الزوايا وشيوخها بالساقية الحمراء
222	البعد القبلي لبركة الشيوخ الزوايا
223	الزوايا التاريخية بالساقية الحمراء
223	زاوية الشيخ ماء العينين
224	زاوية سيد أحمد الركيبى
225	زاوية الشيخ سيد أحمد لعروصي
225	زاوية الشيخ سيد أحمد موسى

226	<u>الزوايا المتبقية</u>
226	<u>الأبعاد السوسولوجية والأنثروبولوجية للزوايا بالساقية الحمراء</u>
229	<u>المبحث الثاني: الأبعاد الثقافية والروحية للأضرحة والأولياء في الثقافة القبلية</u>
229	<u>التمثيلات الثقافية للأضرحة والأولياء بالساقية الحمراء</u>
231	<u>المواسم بالساقية الحمراء</u>
234	<u>البعد الرمزي والتربوي للزى الصحراوي</u>
236	<u>المعتقد وتأثيره القبلي</u>
240	<u>المبحث الثالث: البعد الديني والقبلي وعلاقته بالجانب السياسي</u>
240	<u>الأعيان والجانب القبلي والديني</u>
245	<u>الأعيان وحضورهم القبلي</u>
247	<u>المخزن والبعد القبلي</u>
249	<u>قناة العيون الجهوية وتغطية المناسبات القبلية</u>
252	<u>خلاصة الفصل</u>
253	<u>خلاصة القسم</u>
255	<u>خاتمة عامة:</u>
261	<u>نموذج المقابلة</u>
268	<u>نموذج المقابلة البورية</u>
268	<u>ببليوغرافيا الأطروحة</u>
268	<u>الكتب باللغة العربية:</u>
277	<u>البحوث والأطاريح:</u>
278	<u>المعاجم والقواميس</u>
278	<u>المراجع باللغات الأجنبية:</u>
278	<u>الكتب باللغة الفرنسية</u>
282	<u>الكتب باللغة الإنجليزية</u>

282.....	الكتب باللغة الإسبانية
284.....	<u>المجلات:</u>
286.....	<u>المخطوطات والموسوعات:</u>
286.....	<u>التقارير:</u>
286.....	<u>مواقع الانترنت:</u>
287.....	ببليوغرافيا إضافية
287.....	تقديم
288.....	الكتب باللغة العربية
295.....	الأطروحات الجامعية
295.....	الأطروحات باللغة العربية
302.....	الأطروحات باللغة الفرنسية
302.....	أطروحة باللغة الإنجليزية
303.....	مجلات
303.....	مقالات باللغة العربية
305.....	مقالات باللغة الفرنسية
305.....	الكتب باللغة الفرنسية
308.....	<u>الفهرس:</u>
317.....	ملحق الصور

ملحق الصور:



الص

ورة 01: جماعة أيت لحسن لمساندة أحد أفرادها.



الصورة 02: قبيلة توبالت تساند محمد راضي الليلي.



الصورة 03: بعض أعيان الركيات في زيارة لشيخ الركيات ختار الركبي



الصورة 04: تكريم براهيم ولد الرشيد شيخ الركيات



الصورة 05: حفل غداء لقبيلة تـجـكانـت على شرف الحاضرين حيث أُلقيت به قصائد على مسامع القبائل الحاضرة.



الصورة 06: شعيرة النـحـيرة في زواية أيتوسى بمناسبة المولد النبوي بالعيون.



الصورة 07: استقبال القبائل بمناسبة موسم زاوية أحمد بن يداس «قبيلة أولا تيدرارين» (صورة من صفحة اللجنة الإعلامية للموسم على الفيس)



الصورة 08: حفل للأمداح الدينية بمناسبة موسم زاوية أحمد بن يداس «قبيلة أولا تيدرارين» (صورة من صفحة اللجنة الإعلامية للموسم على الفيس)



الصورة 09: نموذج من الملصق الذي يتم تعميمه على وسائل الإعلام من طرف القبائل (صورة من صفحة اللجنة الإعلامية للموسم على الفيس)



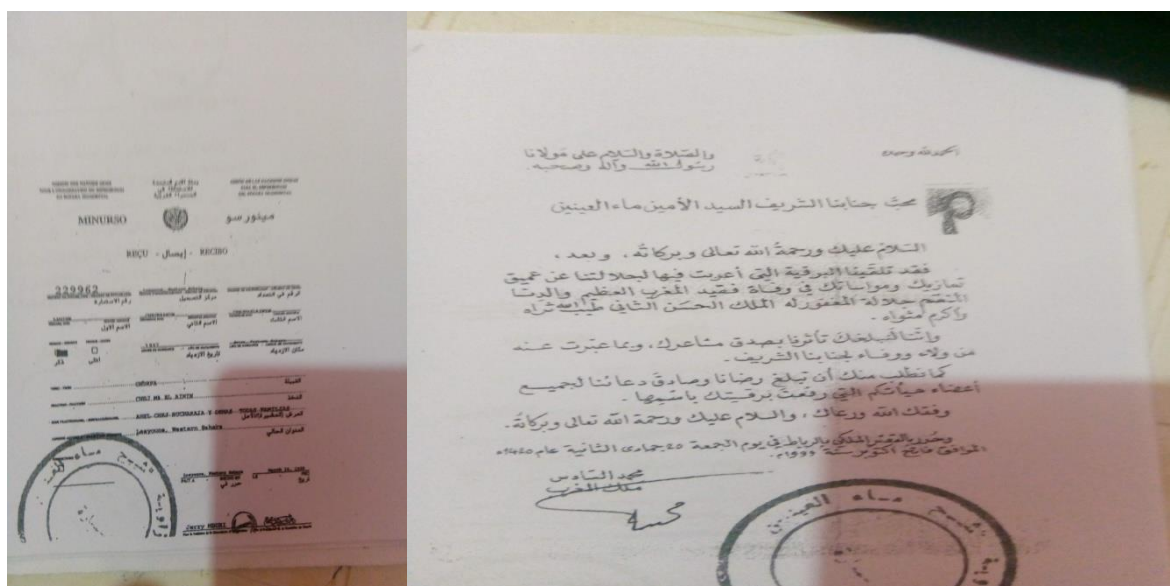
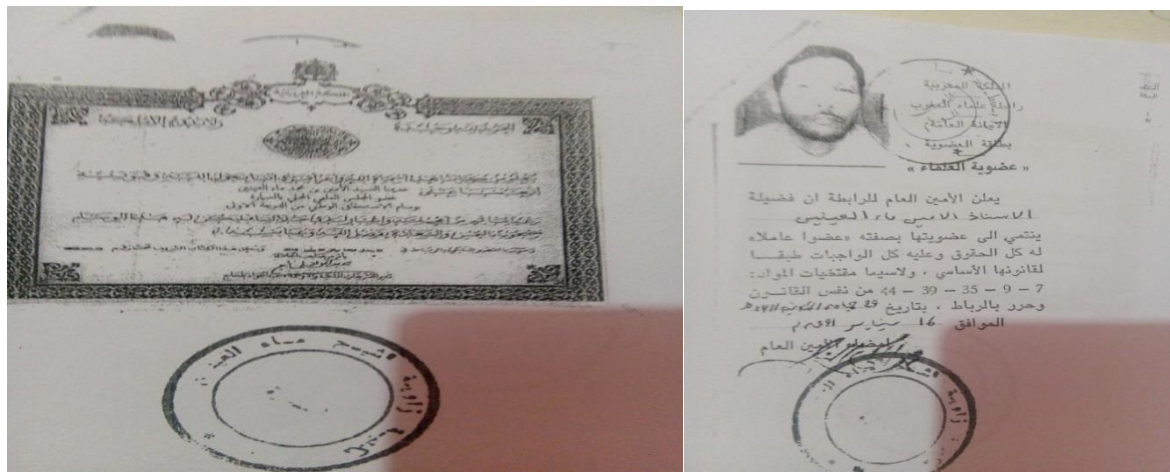
الصورة 10: قبيلة تحتفل بموسمها الديني بضريح الحسين بن مبارك بن علي نواحي بوجدور (صورة من صفحة بوجخان محمد على الفيس بوك).



الصورة 11: الجماعة البوذية (شخصان لم يرغبوا في التصوير)



الصورة 12: مكونات طبلة الشاي





الصورة 13: وثائق تعريفية للشيخ محمد الأمين ماء العينين.



الصورة 14: حضور رجال السلطة بمناسبة موسم زاوية أحمد بن يداس «قبيلة أولاد تيدرارين» (صورة من صفحة اللجنة الإعلامية للموسم على الفيس)



الصورة 15: لقاء تواصلي لقبيلة تـجـكانـت في قاعة خاصة